الموسوعة الكبرى
للمذاهب والفرق والأديان
ولادة السيد المسيح
ونشأة المسيحية
د. سليم الياس
مركز الشرق الأوسط الثقافي

# الموسوعة الكبرى

## للمذاهب والفرق والأديان

# الموسوعة الكبرى

## للمذاهب والفِرق والأديان

## ولادة السيّد المسيح ونشأة المسيحيّة

د. سليم الياس

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2008 م

مـركـز الـشـرق الأوسـط الـثـقـافـي
لـلـطـبـاعـة والـنـشـر والـتـرجـمـة والـتـوزيـع

The Middle East Cultural Center
*For Printing, Publishing, Translation & Distribution*

الإدارة الـعـامـة :
بـيـروت ـ الـحـدث، هـاتـف: ٤٦١٨٨٨ ـ ٥ ـ ٩٦١
فـاكـس: ٤٦١٧٧٧ـ٥ـ٩٦١ـ خـلـيـوي: ٦٤٠٤٩٠ـ٣ـ٩٦١
Web site: www.lccpublishers.tk

**General Management:**
**Beirut - Hadath, Tel: 961 -5 -461888**
**Fax: 961 - 5 - 461777, Mobile: 961 - 3 - 640490**
**E-mail: lcc_pub@Yahoo.com**

# الفصل الأول

## ـ مواضيع الفصل:

* المقدمة
* معنى كلمة «المسيح»
* يسوع المسيح
  - ـ النسب والعائلة
  - ـ الميلاد
  - ـ الطفولة وبداية حياة البلوغ
  - ـ العماد والتجربة على الجبل
  - ـ الخدمة والتبشير
  - ـ القبض على يسوع ومحاكمته وموته
  - ـ القيامة والصعود
* حقائق المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل

# المقدمة

ـ «وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[1].

ـ «أَرَاهُ وَلكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ لَيْسَ قَرِيباً. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيُحَطِّمُ طَرَفَيْ مُوآبَ، وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَغَى»[2].

ـ «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ»[3].

ـ «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا»[4].

ـ «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ»[5].

ـ «فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعاً، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمِنَةِ»[6].

---

(1) تك 12: 3.

(2) عدد 24: 17.

(3) تك 49: 10.

(4) أشعياء 9: 6 ـ 7.

(5) مي 5: 2.

(6) دانيال 9: 25.

- «فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ»(1).

- «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»(2).

- «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا»(3).

- «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ»(4).

- «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ»(5).

- «إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»(6).

- «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ»(7).

- «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ

---

(1) دانيال 7: 14.
(2) أشعياء 7: 14.
(3) أشعياء 40: 3.
(4) ملاخي 3: 1.
(5) ملاخي 4: 5.
(6) مزمور 2: 7.
(7) أشعياء 61: 1.

الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ[1]».

- «اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ»[2].

- «بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ»[3].

- «كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ. لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنّاً عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي»[4].

- «وأَحْصوا كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ»[5].

بمجيئه فَصَلَ الأزمنة، وتعاليمه أضحت قانوناً جديداً سارت وتسير عليه البشرية، ثبّت ما جاء في شريعة الله على يدي موسى، «ما جئت لأنقض بل لأتمّ». لكن في الحقيقة والواقع، ومن خلال بشارته ورسالته وتعاليمه وأعماله وأفعاله، فقد حطّم وكسّر جميع القيود والأعراف والتقاليد اليهودية والوثنية القديمة البالية، لم يحرّم الخمر، وبعض أنواع اللحوم، ولكنه لم يحللها، بل كانت عبارته الشهيرة «ليس كل ما يدخل فم الإنسان ينجسه، بل بكل كلمة تُغضب الله يتنجس»، ولكن دون إراقة نقطة دم واحدة بل اعتمد لغة الحوار والإقناع والحرية. دائماً كان يردّد في نهاية الموعظة: «من كان له أذنان فليسمع»... وفي الوقت نفسه نقض العديد من قوانين هذه الشريعة، ففي العهد القديم (التوراة) كان اليهود حسب الشريعة، يكاد لا يطهّر شيء إلا بالدم، ما من مغفرة

---

(1) أشعياء 53: 3 ـ 10.
(2) زكريا 9: 9.
(3) أشعياء 50: 6.
(4) مزمور 22: 7 ـ 9.
(5) مزمور 22: 17، 18.

بغير إراقة دم. فمنظر الدم سواء كان من إنسان أو حيوان اعتاد عليه الشعب، وهذا ما يولّد في نفسية الشعب سهولة القتل والذبح وضرورة منظره الدائم لأنه يدخل في التركيب النفسي للإنسان الذي يتربّى على هذه المشاهد والصور، وبالتالي رخّص حياة الإنسان وقيمته. أي باختصار يصبح الإنسان عبداً للوثنية!

فحينما أتى يسوع أبطل كل هذه التقاليد والشرائع، ليس بالقوة ولا بالحرب، بل فسّرها بهدوء وحكمة وحوار طويل مع تلاميذه والجموع. تمرّد عليها أثناء حياته هو وتلاميذه، وفيما بعد الكنيسة، وقد انتصر عليها بالإقناع لا بالسيف.

ألقاب كثيرة أُطلقت عليه، ملك السلام كان، إله المحبة والتسامح دُعيَ. الشريعة اليهودية قالت: «السنُّ بالسنّ والبادئُ أظلم، والزانية تُرجم حتى الموت» أما هو فقال: «من ضربك على خدك الأيمن فدر له الأيسر. من أخذ بالسيف به يُؤخذ. من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر».

هذا غيضٌ من فيض مما جاء متطابقاً أو مناقضاً للشريعة اليهودية، وهذا ما سنأتي عليه مفصلاً إن شاء الله في الأجزاء العشرة المخصصة للمسيحية من الموسوعة الشاملة للمذاهب والفرق والأديان.

لقد تقصدنا في بداية المقدمة بذكر بعض الآيات التي بشّرت بوجود المسيح الذي سيأتي، وبعض هذه الآيات يعود إلى سفر التكوين أي إلى مرحلة بدء الخليقة، «في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله». والكلمة صار جسداً أي أن «الكلمة كان الله والله صار جسداً».

إن المسيح في العقيدة المسيحية موجود مذ وجود الله لأن المسيح هو الله،لأن في البدء كان الكلمة إلخ... إذا انطلقنا من هذا المنطق أو من هذا الموضع في سفر التكوين يسهل على المسيحيين غير المطّلعين أو على غير المسيحيين فهم العقيدة المسيحية وتعاليمها. إذا انطلقنا من المنظار الواقعي للأمور فإن الله لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له شريكٌ أحد، وفي حقيقة الديانة المسيحية هذا المنطق هو صحيح بالكامل، حيث في جوهر فعل الإيمان المسيحي: نؤمن بإله واحدٍ آبٍ ضابط الكل إلخ... ولكن هنا يدخل سرّ التجسد الإلهي في المسيح، فإذا فهمنا هذا السرّ ـ وهو المدخل الرئيسي والجوهري للإيمان المسيحي ـ يصبح من السهل علينا فهم معنى إلوهية المسيح.

وتصبح باقي المواضيع مكملة ومتكاملة مع الجوهر.

لظهور المسيح دلالات هامة سابقة ولاحقة، وكانت مفصلية في مسار التاريخ، وبهذا الظهور أو التجسد بدَّل مفاهيم كثيرة كانت شائعة في تلك الأيام، ووضع بتجسده حداً فاصلاً بين أزمنة قديمة بالية بكل ما تحتويه، وبين زمنٍ جديد بتاريخه وتعاليمه وقوانينه، وانطلقت المعمورة نحو سلام دائم ودفء أبوي رباني بدلاً من سخط وانتقام رباني. كان الله في المفهوم القديم للشعوب هو إله انتقام وسبي وغزوات وحروب وقتل، وبعد المسيح أصبح الله إله محبة وسلام وتسامح. وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤالاً كبيراً ألا وهو هل أن الله تغيّر؟ أم كان لدى الشعوب القديمة مفهوماً خاطئاً عن الله؟ وهذا هو ما أكده بنفسه.

انطلقت المسيحية بعد قيامة المسيح من بين الأموات، وتحديداً في يوم عيد العنصرة بعد ظهور المسيح على تلامذته في جبل الكرمل، حيث امتلأوا من الروح القدس، وهذا ما سنأتي على ذكره مفصلاً في مواضع أخرى من موسوعتنا. فمع انطلاقة المسيحية عمت المحبة والسلام لمدة طويلة في الأرض رغم الاضطهاد الذي تعرضت له ورغم الحروب التي شُنت عليها تابعت طريقها حتى أصبحت من أولى الديانات السماوية في العالم من حيث عدد المؤمنين بها.

تعرضت المسيحية خلال تاريخها لانشقاقات كبيرة، تبعها ظهور بدع وهرطقات انطلقت في العديد من الأمكنة، ورغم هذه الانشقاقات تابعت المسيحية طريقها وسط الأمواج الهائجة، مقاومة جميع هذه الانشقاقات والبدع واضعةً أمام عينيها كلمات إلهها وفاديها: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

من هنا وبإذن الله تعالى سنقدم للقارئ الكريم دراسة شاملة ومفصلة عن المسيح والمسيحية منذ النشأة وحتى يومنا هذا سائلين المولى التوفيق.

# معنى كلمة «المسيح»

ليس للفظ «المسيح» قوة تعريف ولا يوضح جوهر شيء ما، كما أن كلمة «رجل» أو «أسد» أسماء لا توضح شيئاً عن جوهر حاملها بل تشير إليهم فقط، واسم «المسيح» يعلن عن شيء سوف نفسره.

في القديم حُسب مسرة الله مسح البعض بالزيت، وكانت المسحة علامة لهم على المملكة، الأنبياء أيضاً مُسِحوا روحياً بالروح القدس، ولذلك دعوا مسحاء لأن داود النبى ينشد معبراً عن الله نفسه فيقول: «لاَ تَمَسّوا مُسَحَائِي وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي»[1].

وحبقوق النبي يقول أيضاً: «خَرَجْتَ لِخَلاَصِ شَعْبِكَ لِخَلاَصِ مَسِيحِكَ»[2]. لكن بالنسبة للمسيح مخلص الكل، فقد مُسح، ليس بصورة رمزية مثل الذين مُسحوا بالزيت، ولم يُمسح لكي ينال نعمة وظيفة النبي، ولا مُسح مثل الذين اختارهم الله لتنفيذ تدبيره، أي مثل قورش الذي ملك على الفارسيين والماديين وقاد جيشاً ليستولي على أرض البابليين حسبما حركه الله ضابط الكل ولذلك قيل عنه: «هَكَذَا يَقُولُ اَلرب لِمَسِيحِهِ لِكُورَشَ اَلذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَماً وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلَّ. لأَفتَحَ أَمَامَهُ اَلْمِصْرَاعَيْنِ وَاَلأَبوَابُ لاَ تُغْلَقُ»[3]. ولا يجب أن ننسى أن الرجل «قورش» كان وثنياً إلا أنه دُعي «مسيحاً» كما لو كان الأمر السمائي قد مسحه ملكاً، لأنه بسبق معرفة الله قد نال قوة لقهر بلاد البابليين.

---

(1) مزمور 105: 15.

(2) حبقوق 3: 13.

(3) أشعياء 45: 1.

إن ما نريد أن نقوله بخصوص معنى كلمة «المسيح» هو التالي: بسبب تعدي آدم «لَكِنْ قَدْ مَلَكَ اَلْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى وَذَلِكَ عَلَى اَلذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدّي آدَمَ اَلذِي هُوَ مِثَالُ اَلآتِي»[1].

وفارق الروح القدس الطبيعة البشرية التي صارت مريضة في كل البشر. ولكي تعود الطبيعة البشرية من جديد إلى حالتها الأولى احتاجت إلى رحمة الله،لكي تُحسب بموجب رحمة الله مستحقة الروح القدس، لذلك صار الابن الوحيد كلمة الله إنساناً. وظهر للذين على الأرض بجسد من الأرض ولكنه خالي من الخطيئة، حتى فيه وحده تتوج الطبيعة البشرية بمجد عدم الخطيئة، وتغتني بالروح القدس، وتتجدد بالعودة إلى الله بالقداسة. لأنه هكذا تصل إلينا النعمة التي بدايتها المسيح البكر بيننا. ولهذا السبب يعلمنا داود النبي أن نرتل للابن: «أَحْبَبْتَ اَلْبِر وَأَبْغَضْتَ اَلإِثْمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ آللهُ إِلَهُكَ بِدُهْنِ اَلابْتِهَاجِ»[2]. فكان الابن قد مُسح كإنسان بمديح عدم الخطيئة.

وكما قلنا أن الطبيعة البشرية قد مُجدَت فيه وصارت مستحقة للحصول على الروح القدس الذي لن يفارقها كما حدث في البدء، بل صارت مسرته (أي الروح القدس) أن يسكن فينا. لذلك أيضاً كُتب أن الروح حل بسرعة (معنى حلول الروح القدس بشكل حمامة أي الطيران السريع علامة الشوق) على المسيح واستقر عليه: «وَشَهِدَ يُوحَنا: إني قَدْ رَأَيْتُ الروحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السمَاءِ فَاسْتَقَر عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِن الذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الذِي تَرَى الروحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِراً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الذِي يُعَمدُ بِالروحِ الْقُدُسِ»[3].

فالمسيح هو كلمة الله الذي لأجلنا صار إنساناً مثلنا، وفي صورة العبد، ومُسح كإنسان حسب الجسد، ولكنه كإله يمسح بروحه الذين يؤمنون به.

## ـ عمانوئيل:

الله الكلمة دُعي «عمانوئيل» لأنه «... بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ»[4]. كلمة أمسك

---

(1) رومية 5: 14.
(2) مزمور 45: 7.
(3) يوحنا 1: 32، 33.
(4) عبرانيين 2: 16.

تعني أنه ليس مجرد اتخاذ الجسد البشري، بل أن يُحسب مثل الناس لأنه صار ضمن الناس. ومثلنا، «تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ»[1].

وعمانوئيل تعنى «الله معنا» أو بالتدقيق «معنا الله» حسبما يظهر من أصلها العبراني، إذ تأتي كلمة «معنا» قبل كلمة «إيل». ونحن نعترف بأن الكلمة الله هو معنا دون أن يكون محصوراً في مكان ما، لأنه ليس من مكان لا يوجد فيه الله الذي يملأ كل الأشياء، وهو ليس معنا كما لو كان قد جاء لمساعدتنا مثلما قيل ليشوع: «لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ»[2].

ولكنه معنا لأنه صار مثلنا أي أخذ طبيعة بشرية دون أن يفقد طبيعته الإلهية لأن كلمة الله غير متغير بطبيعته. أما لماذا لَمْ يُدْعَ الله «عمانوئيل» رغم أنه قيل ليشوع «كما كنت مع موسى سأكون معك»؟. ولَمْ يدْعَ الله «عمانوئيل» رغم أنه كان مع كل القديسين والأنبياء؟ والسبب هو أن الله الكلمة أصبح معنا في الوقت الذي تحدث عنه باروخ هو أظهر ذاته على الأرض. وتحدث مع الناس، وأسس كل طرق التعليم، وأعطاه ليعقوب عبده ولإسرائيل حبيبه، لأنه هو إلهنا وليس آخر سواه: «دَعَاهَا فَقَالَتْ نَحْنُ لَدَيْكَ وَأَشْرَقَتْ مُتَهَلِّلَةً لِلذِي صَنَعَهَا. هَذَا هُوَ إِلَهُنَا وَلا يَعْتَبِرْ حِذَاءَهُ آخَرٌ. هُوَ وَجَدَ طَرِيقَ اَلتَّأَدبِ بِكَمَالِهِ وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبِ عَبْدَهُ وَلإِسْرَائِيلِ حَبِيبَه. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَاءَى عَلَى الأَرْضِ وَتَرَددَ بَيْنَ اَلْبَشَرِ»[3].

وكما يليق بطبيعته الإلهية لم يكن «معنا» بالمعنى الذي تحدث عنه باروخ، لأن الفروق بين اللاهوت والناسوت لا تسمح بالمقارنة بينهما فما أعظم الفرق بين الطبيعتين.

يشرح القديس كيرلس الكبير «عمانوئيل» على أنه اسم الله عندما صار معنا بالجسد، لأنه معنا منذ بداية العالم ولكنه أصبح معنا على نحو جديد فريد، لذلك وضع

(1) عبرانيين 2: 14.
(2) يشوع 1: 5.
(3) باروخ 3: 35 ـ 38.

كيرلس هذه العبارة لكي يدعم معنى «الله معنا». ولذلك يتكلم داود النبي عن العلاقة السرية التي كانت قبل التجسد، وبين الله الكلمة، وبيننا، ويقول بالروح: «يَا رَبّ لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ اَلضِيقِ؟»[1]. أما الآن فهو لا يتركنا، بل هو معنا عندما صار مثلنا دون أن يفقد ما له لأنه أمسك بنسل إبراهيم كما قلنا، بل أخذ صورة العبد ورآه البشر كإنسان يمشي على الأرض.

إن عمانوئيل والمسيح يخصان الابن الواحد نفسه، فهو المسيح لأنه مُسِح مثلنا كبشر، وأخذ الروح البشرية لأنه الأول وبداية الجنس البشرى الجديد، وبالمثل، هو نفسه كإله يَمْسَح بالروح القدس كل الذين يؤمنون به. وهو «عمانوئيل» لأنه صار معنا على النحو الذي شرحناه والذي يخبرنا به أشعياء النبي: «وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ اَلسيدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا اَلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ إِبْناً وَتَدْعُو اِسْمَهُ عِمانُوئِيلَ»[2]، لأن العذراء القديسة مريم حبلت بالروح القدس وولدت حسب الجسد ابناً، عند ذلك فقط، دُعي المولود «عمانوئيل»، لأن غير المتجسد أصبح معنا عندما وُلِد. وقد حدث ذلك طبقاً لما ذكره داود: «مِنْ صِهْيَوْنَ كَمَالِ اَلْجَمَالِ اَللهُ أَشْرَقَ. يَأْتِي إِلَهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدامَهُ تَأْكُلُ وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِداً»[3]. وهو ما أشار إليه أشعياء: «لِذَلِكَ يَعْرِفُ شَعْبِيَ اِسْمِي. لِذَلِكَ فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ يَعْرِفُونَ أَني أَنَا هُوَ اَلْمُتَكَلمُ. هَئَنَذَا»[4]. لأن الكلمة قبل أن يتجسد تحدث من خلال الأنبياء، ولكنه في مِلء الزمان صار معنا متجسداً.

## ـ معنى اسم يسوع:

إن تتابع تأملنا يلزمنا أن نتحدث عن الواحد ابن الله، فالمسيح وعمانوئيل ويسوع شخص واحد، والاسم «يسوع» جاء من الحقيقة: «فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»[5]. لأنه كما أن الاسم «عمانوئيل» يعني أن كلمة الله بسبب ميلاده من العذراء صار معنا.

---

(1) مزمور 10: 1.
(2) أشعياء 7: 14.
(3) مزمور 50: 2، 3.
(4) أشعياء 52: 6.
(5) متى 1: 22.

وهذا الاسم يوضح أنه الله بالحقيقة، ورب الطبيعة، لأنه لا يليق أن تكون الخليقة ملك للإنسان، بل من اللائق أن نقول أن كل الأشياء هي للابن الوحيد حتى وهو في الجسد. وربما اعترض البعض وقال أن شعب إسرائيل دُعِي شعب موسى، وعلى هذا نجيب أن شعب إسرائيل دُعِي شعب الله وهذا حقيقي، ولكن عندما تمردوا على الله وصنعوا العجل في البرية، حُرِموا من كرامة الانتساب لله، ورفض أن يدعوهم شعبه بل تركهم لرعاية البشر.

وعن هذا يقول داود النبي: «اعْلَمُوا أن اَلرب هُوَ اَللهُ. هُوَ صَنَعَنَا وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ»[1].

والمسيح يقول: «وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لأَنكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي»[2]. وكذلك أوصى بطرس الرسول: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبنِي... اِرْعَ خِرَافِي»[3].

**ـ كلمة الله إنساناً:**

الكلمة الذي من الله الآب (أي المولود من الآب) دُعِي إنساناً رغم كونه بالطبيعة الله، لأنه اشترك في الدم واللحم مثلنا[4]. وهذا جعل الذين على الأرض قادرين على مشاهدته. وعندما حدث ذلك (أي تجسد) لم يفقد شيئاً مما له (أي ألوهيته). وإذ أخذ طبيعة بشرية مثلنا (أي مثل طبيعتنا) لكنها كاملة (أي بلا خطيئة)، ظل أيضاً الله ورب الكل، لأنه هو هكذا فعلاً وبطبيعته وبالحق مولود من الله الآب رغم تجسده.

وهذا ما يرينا إياه بوضوح كافٍ الرسول بولس عندما يقول: «الإِنْسَانُ الأَولُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِي. الإِنْسَانُ الثانِي الرب مِنَ السمَاءِ»[5]. ورغم أن العذراء مريم ولدت الهيكل (شاع استخدام كلمة «الهيكل» للدلالة على ناسوت المسيح في كل الكتابات المسيحية منذ العهد الجديد) «أَجَابَ يَسُوعُ: انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيامٍ أُقِيمُهُ.

(1) مزمور 100: 3.
(2) يوحنا 10: 26، 27.
(3) يوحنا 21: 15.
(4) عبرانيين 2: 14.
(5) 1 كورونثوس 15: 47.

فَقَالَ الْيَهُودُ: فِي سِت وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيام تُقِيمُهُ؟، وَأَما هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ»[1]. وهو تعبير هام يؤكد أن ناسوت المسيح هو مكان حلول الله المتحد بالكلمة إلا أن عمانوئيل قيل عنه، وهذا حق، «من السماء» لأنه من فوق، مولود من جوهر الآب وإن كان قد نزل إلينا عندما صار إنساناً، إلا أنه من فوق.

وعن هذا شهد يوحنا: «اَلذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَالذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِي وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلمُ. اَلذِي يَأْتِي مِنَ السمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[2]...

والمسيح نفسه قال لشعب اليهود: «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أما أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا اَلْعَالَمِ أما أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا اَلْعَالَمِ»[3]. وأيضاً: «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السمَاءِ إلا الذِي نَزَلَ مِنَ السمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الذِي هُوَ فِي السمَاءِ»[4]...

ولذلك نقول أن ابن الإنسان نزل من السماء وهذا تدبير الاتحاد. لأن الكلمة وهب لجسده كل صفات مجده وكل ما هو فائق وخاص بالله. كلمة «التدبير» تعني أن هناك أموراً معينة قام بها المسيح مثل الجوع والعطش والألم... إلخ، وكل هذه كانت جزءاً أساسياً في خطة الخلاص أو كانت الخطة «التدبير» هي أن يكون للمسيح كل صفات الناسوت.

**ـ وحدانية المسيح «عمانوئيل»:**

يكتب بولس الرسول: «لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ»[5]. وأيضاً يقول يوحنا الرسول عن الله الكلمة: «كُل شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِما كَانَ»[6]. وجبرائيل يعلن البشارة المفرحة للعذراء القديسة قائلاً: «وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ إِبْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ»[7]. فبولس الرسول يعلن أن كل الأشياء

---

(1) راجع يوحنا 2: 19، 20.
(2) يوحنا 3: 31.
(3) يوحنا 8: 23.
(4) يوحنا 3: 13.
(5) 1 كورونثوس 8: 5 ـ 6.
(6) يوحنا 1: 3.
(7) لوقا 1: 31.

خلقت بيسوع المسيح، والإنجيلي الإلهي يؤكد قوة التعبير نفسه ويبشر أنه هو الله خالق كل الأشياء، وصوت الملاك أيضاً يشير إلى أن يسوع المسيح ولد حقاً من العذراء القديسة. والكنيسة لا تقول أن يسوع المسيح كان مجرد إنسان، ولا تعتقد بالله الكلمة بدون طبيعته الإنسانية!!. بل تقول أنه واحد من اثنين أي الإله المتجسد. وتردد الكنيسة وتقول: «واحد من اثنين، لاهوت قدوس بغير فساد مساوٍ للآب وناسوت طاهر مساوٍ لنا كالتدبير». هو نفسه وُلِد إلهياً من الآب لأنه الكلمة وإنسانياً من امرأة كإنسان، وهذا لا يعني أنه وُلِد مرة ثانية عندما قيل أنه ولد حسب الجسد، فهو مولود قبل كل الدهور.

وكما ذكرنا سابقاً، كثيرون قد دُعوا مسحاء ولكن يوجد واحد فقط يسوع المسيح الذي به خُلقت كل الأشياء. وهذا لا يعني بالمرة أن إنساناً صار خالق كل الأشياء، بل يعني أن الله الكلمة الذي به خُلِقت كل الأشياء صار مثلنا واشترك في الدم واللحم، ودُعي إنساناً دون أن يفقد ما له (أي ألوهيته). لأنه وإن كان قد صار جسداً لكنه بالحقيقة خالق الكل.

قيل عن الله الكلمة مرة واحدة وإلى الأبد وفي آخر الدهور أنه صار إنساناً كما يقول الرسول بولس: «فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَاراً كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ»[1].

وما هي هذه الذبيحة؟ هي جسده الذي قدمه كرائحة بخور زكية لله الآب، فقد دخل مرة واحدة إلى القدس، ليس بدم ماعز وتيوس بل بدمه ذاته: «وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِياً)[2].

كثيرون قبله كانوا قديسين ولكن ليس واحد منهم دُعي «عمانوئيل». لماذا؟ لأن الوقت لم يكن قد حان بعد ليكون هو معنا أي يجيء إلى طبيعتنا عندما يتجسد لأنه أسمى من كل المخلوقات.

واحد إذاً هو «عمانوئيل» لأنه هو الابن الوحيد الذي صار إنساناً عندما وُلد جسدياً من العذراء القديسة. لقد قال الله ليشوع «سأكون معك»[3] ولكن الله لم يُدْعَ في

(1) عبرانيين 9: 26.
(2) عبرانيين 9: 12.
(3) يشوع 1: 5.

ذلك الوقت «عمانوئيل»، وكان قبل ذلك مع موسى ولم يُدعَ «عمانوئيل». لذلك عندما نسمع اسم «عمانوئيل» أي «معنا الله» الذي أُعْطِي للابن، فلنعتقد بحكمة أنه ليس معنا كما كان في الأزمنة السابقة مع القديسين لأنه كان معهم كمعين فقط. ولكن هو معنا لأنه صار مثلنا دون أن يفقد طبيعته لأنه الله غير المتغير.

## ـ معنى الاتحاد:

عندما نقول أن كلمة الله اتحد بطبيعتنا فإن كيفية هذا الاتحاد تفوق فهم البشر، فهو اِتحاد لا يوصف وغير معروف لأي من الناس سوى الله وحده الذي يعرف كل شيء، وأي غرابة في أن يفوق اتحاد اللاهوت بالناسوت إدراك أي عقل؟ فنحن عندما نبحث بدقة عن أمورنا ونحاول إدراك كنهها نعترف أنها تفوق مقدرة الفهم الذي فينا. فما هي كيفية اتحاد نفس الإنسان بجسده؟ من يمكنه أن يخبرنا؟.

ونحن بصعوبة نفهم وبقليل نتحدث عن اتحاد النفس بالجسد، ولكن إذا طلِبَ منا أن نحدد كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت وهو أمر يفوق كل فهم بل صعب جداً، نقول أنه من اللائق أن نعتقد أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في «عمانوئيل» هو مثل اتحاد نفس الإنسان بجسده وهذا ليس خطأ لأن الحق الذي نتحدث عنه هنا تعجز عن وصفه كلماتنا. والنفس تجعل الأشياء التي للجسد هي لها رغم أنها بطبيعتها لا تشارك الجسد آلامه المادية الطبيعية أو الآلام التي تسببها للجسد الأشياء التي هي خارج الجسد لأن الجسد عندما يتحرك مدفوعاً نحو رغباته الطبيعية (الجسدية) فإن النفس التي فيه تعرف هذه الرغبات بسبب اتحاد النفس بالجسد، ولكنها (أي النفس) لا تشارك الجسد رغباته، ومع ذلك تَعْتبر أن تحقيق الرغبة هو تحقيق لرغبتها هي (أي النفس). فإذا ضُرب الجسد أو جُرح، مثلاً، فإن النفس تحزن مع جسدها، ولكن طبيعتها لا تتألم بالآلام المادية التي تقع على الجسد. ومع هذا يلزم أن نقول أن الاتحاد في «عمانوئيل» هو أسمى من أن يُشبه باتحاد النفس بالجسد، لأن النفس المتحدة بجسدها تحزن مع جسدها وهذا حتمي حتى أنها عندما تقبل الهوان تتعلم كيف تخضع لطاعة الله.

أما بخصوص الله الكلمة فإنه من الحماقة أن نقول أنه كان يشعر بلاهوته بالإهانات، لأن اللاهوت لا يشعر بما نشعر به نحن البشر. وعندما اتحد بجسد له نفس

عاقلة وتألم لم ينفعل اللاهوت بما تألم به، ولكنه كان يعرف ما يحدث له. وأباد كإله كل ضعفات الجسد، رغم أنه جعلها ضعفاته هو فهي تخص جسده.

لذلك بسبب هذا الاتحاد قيل عنه أنه عطش وتعب وتألم لأجلنا، ولعل التفرقة بين «يعرف» و«يشعر» هي من أهم ما تعلم به الكنائس الشرقية الأرثوذكسية عن آلام يسوع المسيح.

يُعبر كيرلس الكبير هنا عن التقوى الشرقية الأرثوذكسية بكل وضوح أن المتألم هو ربنا وليس لاهوته ورغم أن الآلام تخص جسده إلا أنها تنْسَبُ له كشخص واحد غير منقسم وهو ذات ما صرح به القديس ديوسقورس بطل الأرثوذكسية.

ولذا، فإن اتحاد الكلمة بطبيعتنا البشرية يُمكن على وجه ما أن يُقارن باتحاد النفس بالجسد، لأنه كما أن الجسد من طبيعة مختلفة عن النفس، ولكن الإنسان واحد من اثنين (النفس والجسد). هكذا المسيح واحد من الأقنوم الكامل لله الكلمة ومن الناسوت الكامل. والألوهة نفسها والناسوت نفسه في الواحد بعينه الأقنوم الواحد.

وكما قلنا، أن الكلمة يجعل آلام جسده آلامه هو، لأن الجسد هو جسده وليس جسد أحد آخر سواه. هكذا، يمنح الكلمة جسده كل ما يخص لاهوته من قوة، حتى أن جسده قادر على أن يقيم الموتى ويُبرئ المرضى.

اتحاد اللاهوت بالناسوت يعني أن كل من لمس جسد الابن الوحيد بالإيمان يحصل على كل ما يريده من الله (اللاهوت)، مثل المرأة النازفة الدم التي لمست طرف ثوبه وبرئت لأن قوة خرجت من المسيح. ولاحظ أن الرب يؤكد حقيقة الاتحاد عندما قال: «فَقَالَ يَسُوعُ: قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ لأني عَلِمْتُ أن قُوةً قَدْ خَرَجَتْ مِني»[1]. ولم يقل من لاهوتي. هكذا شرح القديس كيرلس المعجزة. ويؤكد الإنجيل في عدة مناسبات أن المعجزات كانت تتم بقوة منه، كما جاء في: «وَٱلْمُعَذبُونَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ. وَكَانُوا يَبْرَأُونَ. وَكُل ٱلْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ لأن قُوةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي ٱلْجَمِيعَ»[2]...

(1) لوقا 8: 46.
(2) لوقا 6: 18.

## ـ أمثلة كتابية عن كيفية الاتحاد:

وإذ يليق بنا في هذا المجال أن نستخرج تشابيه من الكتب الموحى بها من الله،لكي نوضح بعدة أمثلة كيفية الاتحاد، لذلك دعونا نتكلم من الكتب حسب طاقتنا:

### أ ـ الجمرة:

قال النبي أشعياء: «فَطَارَ إِلَي وَاحِدٌ مِنَ اَلسرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى اَلْمَذْبَحِ. وَمَس بِهَا فَمِي وَقَالَ: إن هَذِهِ قَدْ مَستْ شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفرَ عَنْ خَطِيتِكَ»[1]. إن الجمرة المتقدة هي مثال وصورة للكلمة المتجسد لأنه عندما يلمس شفاهنا أي عندما نعترف بالإيمان به فإنه ينقينا من كل خطية ويحررنا من اللوم الذي ضدنا. ويمكننا أن نرى أيضاً، الجمرة مثالاً لكلمة الله المتحد بالطبيعة البشرية دون أن يفقد خواصه، بل حول ما أخذه (الطبيعة البشرية) وجعله مُتحداً به، بل بمجده وبعمله، لأن النار عندما تتصل بالخشب تستحوذ عليه، ولكن الخشب يظل خشباً، فقط يتغير إلى شكل النار وقوتها، بل يصبح له صفات النار وطاقتها ويُعتبر واحداً معها.

هكذا أيضاً يجب أن يكون الاعتقاد في المسيح، لأن الله اتحد بالإنسانية بطريقة لا يُنطق بها، ولكنه أبقى على خواص الناسوت على النحو الذي نعرفه.

وهو نفسه لم يفقد خواص اللاهوت عندما اتحد بالناسوت، بل جعله واحداً معه، وجعل خواص الناسوت خواصه، بل هو نفسه قام بكل أعمال اللاهوت في الناسوت.

نرى هذا الأساس الآبائي للعبارة المشهورة في الاعتراف الأخير قبل التناول حيث يقول الكاهن: «وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير»، وهي تعبر عن إيمان سليم.

### ب ـ سوسنة الأودية:

قدم نشيد الأناشيد يسوع المسيح قائلاً: «أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ (وَرْدَةَ اَلْسِفُوحِ.. الترجمة السبعينية) سَوْسَنَةُ اَلأَوْدِيَةِ»[2]. وفي السوسنة الرائحة غير المجسمة (غير ظاهرة

---

(1) أشعياء 6: 6 ـ 7.

(2) نشيد الأناشيد 2: 1.

للعين) ولكنها لا توجد خارج السوسنة، ولذلك فالسوسنة واحدة من اثنين (الرائحة وجسم السوسنة)، وغياب رائحة السوسنة لا يجعلها سوسنة، وكذلك غياب جسم السوسنة لا يفسر وجود رائحة السوسنة، لأن في جسم السوسنة رائحتها.

هكذا هو الاعتقاد في ألوهية المسيح الذي يُعطر العالم برائحته الذكية ومجده الذي يفوق مجد الأرضيات. ولكي يُعَطر العالم كله استخدم اللاهوت الطبيعة البشرية، لأنه عندما أراد أن يُعلن عن ذاته من خلال الجسد جعل فيه كل ما يخص اللاهوت. لذلك من الصواب أن نعتقد أن الذي بطبيعته غير جسماني اتحد بجسده وأصبح الاتحاد مثل السوسنة لأن الرائحة العطرة وجسم السوسنة هما واحد ويسميان السوسنة. أي أن الجسد الذي أخذه، له نفس عاقلة، وأصبح جسد اللاهوت غير المجسم، وإذا فُصِل أيهما عن الآخر فإننا بالفصل نلغي يقيناً ونهائياً تدبير المسيح.

### ج ـ تابوت العهد:

إن خيمة الاجتماع التي أراد الله أن تُقام في البرية ترمز على «عمانوئيل» في أشياء كثيرة. الله إله الكل قال لموسى: «فَيَصْنَعُونَ تَابُوتاً مِنْ خَشَبِ اَلسنْطِ طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَتُغَشيهِ بِذَهَبٍ نَقِي. مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ تُغَشيهِ. وَتَصْنَعُ عَلَيْهِ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ»[1].

الخشب الذي لا يُسوس هو رمز للجسد الذي لم يفسد، لأن الأرز لا يُسوس، أما الذهب وهو يفوق كل الأشياء فهو يشير إلى جوهر اللاهوت الفائق. لكن لاحظ كيف غُطي التابوت كله بالذهب النقي من الداخل والخارج، لأن الله الكلمة اتحد بجسد مقدس وهو ما يشير إليه تغطية التابوت بالذهب من الخارج. والنفس العاقلة التي في جسده هي نفسه، وهذا ما يشير عليه تغشية التابوت من الداخل. لأن الذهب الذي غُطي به الخشب ظل كما هو ذهباً، أما الخشب فقد صار غنياً بمجد اللاهوت، ولكنه لم يفقد خصائصه كخشب.

وببراهين كثيرة يمكننا أن نتأكد من أن التابوت يرمز للمسيح لأنه كان يخرج أمام بني إسرائيل وكان هذا سبب عزاء لهم، وهكذا قال المسيح في موضع معين: «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلا فَإِني كُنْتُ

---

(1) خروج 25: 10 ـ 11.

قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِد لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطرِيقَ»[1].

تفسير خيمة الاجتماع على هذا النحو موجود عند الآباء قبل القديس كيرلس، وبالذات إيروناوس وهيبوليتوس. ومن يقرأ نص القديس كيرلس يشعر على الفور أنه كان يأخذ من كلمات ثيؤتوكية الأحد حيث ترتل الكنيسة: «التابوت المصفح بالذهب من كل ناحية المصنوع من خشب لا يسوس سبق أن دلنا على الله الكلمة الذي صار إنساناً بغير افتراق». . .

وشرعية تفسير الآباء قائمة على حقيقة أساسية أن كل ما هو متصل بظهور الله في العهد القديم قد تحقق بشكل أفضل وأكمل في العهد الجديد عندما اتحد وحل في الهيكل الحقيقي أي الطبيعة البشرية. وتتحدث الكنيسة عن التجسد ثم عن العذراء لأن كل ما يخص العذراء مرتبط بالتجسد.

### ـ الله الكلمة واحد من اثنين: لاهوت كامل وناسوت كامل

الله الكلمة صار إنساناً، وهو ليس إنساناً تشرف بصلة اللاهوت، كما أنه ليس إنساناً حصل على مساواة كرامة وسلطان الله الكلمة حسب زعم البعض. في هذه الفقرة يفرق القديس كيرلس بين هرطقتين وهما النسطورية التي ادعت أن المسيح حصل على مجرد صلة باللاهوت، والأريوسية التي ادعت أن الابن في الجسد مخلوق رُفع بمنحة إلهية من الآب إلى كرامة اللاهوت. ويمكن لأي إنسان يريد أن يتحاشى السقوط في هرطقة أن يتذكر دائماً أن يسوع المسيح ليس إنساناً تأله ولا إلهاً فقط بل هو واحد من اثنين: لاهوت وناسوت.

يقول الرسول بولس: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِر التقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَررَ فِي الروحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ»[2].

وهذا حقيقي لأن الله الكلمة ظهر في الجسد، وتبرر في الروح، لأننا لم نر فيه

(1) يوحنا 14: 14.

(2) 1 تيموثاوس 3: 16.

أي خضوع لضعفنا رغم أنه لأجلنا صار إنساناً إلا أنه بلا خطيئة. وشاهدته الملائكة فهم لم يجهلوا ميلاده حسب الجسد. وكُرز به للأمم كإله صار إنساناً، وهذا ما برهنه الرسول بولس: «لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ»[1].

فالأمم إذ كانوا بلا إله في العالم عندما كانوا بدون المسيح. ولكن عندما آمنوا بالمسيح أنه هو بالحقيقة وبالطبيعة الله،اعترف هو بهم بدوره كمعترفين بالإيمان، وهو (أي المسيح) رُفع بمجد (أي بمجد إلهي) لأن داود ينشد: «ارْتَفِعِ اَللهُم عَلَى اَلسمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُل اَلأَرْضِ مَجْدُكَ»[2]. لأنه بالحقيقة صعد بالجسد وليس باللاهوت وحده، لأن الله تجسد ولذلك يجب أن يُقال عنه أنه صعد أيضاً.

تقول الكنيسة الأرثوذكسية في فعل الإيمان: «إننا نؤمن بالرب الذي ظهر في شكل العبد والذي صار مثلنا بالحقيقة بطبيعة بشرية ولكنه ظل الله،لأن الله الكلمة عندما أخذ جسداً لم يفقد خواصه الإلهية بل ظل في نفس الوقت هو الله المتجسد».

وإذا قال أحد: أي ضرر يحدث إذا اعتقدنا أن إنساناً مثلنا قد حصل على الألوهة وليس الله هو الذي تجسد؟ سوف نجيب بأنه يوجد ألف دليل ضد هذا الرأي، وكل هذه الأدلة تؤكد لنا أنه علينا أن نجاهد بثبات ضد هذا الرأي وأن نرفضه. وقبل أي شيء آخر فلندرس التدبير الخاص بالتجسد ونفحص حالتنا جيداً.

يقول في ذلك القديس كيرلس: لقد تعرضت البشرية للخطر وهوت إلى أدنى حالات المرض أي اللعنة والموت، وزيادة على ذلك تدنست بقذارة الخطيئة وضلت وصارت في الظلام حتى أنها لم تعرفه وهو الله الحقيقي وعبدت المخلوقات دون الخالق. فكيف كان من الممكن أن تتحرر من فساد مثل هذا؟. هل بأن تعطى لها الألوهة؟ كيف وهي لا تعرف على وجه الإطلاق ما هي كرامة وسمو الألوهة؟

ألم تكن البشرية مقيدة بعدم المعرفة وفي ظلام، بل ومدنسة بلطخة الخطيئة؟ فكيف كان من الممكن أن ترتفع إلى الطبيعة الكلية النقاء، وتحصل على المجد الذي

---

(1) أفسس 2: 11 ـ 12.

(2) مزمور 67: 5.

لا يستطيع أحد أن يحصل عليه إلا إذا وُهب له؟. . .

لذلك فإنه غير ممكن لأي من الناس أن يرتقى إلى مجد الألوهة ولكن من اللائق بل من المعقول أن نعتقد أن الله الكلمة الذي به خُلقت كل الأشياء اشتهى أن يُخلص ما قد هلك، فنزل إلينا ونزل إلى ما دون مستواه حتى يرفع الطبيعة البشرية إلى ما هو فوق مستواها، أي ترتفع إلى أمجاد اللاهوت بسبب الاتحاد به. ويلخص القديس كيرلس في هذه السطور جوهر لاهوت مدرسة الإسكندرية ونظرتها العميقة للخلاص فهو:

**أولاً**: عودة إلى الاتحاد بالله بعد أن اغتربنا عنه بالخطيئة، وقد أصبح من الممكن أن نعود لله عندما اتحد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح.

**ثانياً**: إن الذي يحقق عودتنا لله في المسيح هو الروح القدس.

**ثالثاً**: إن الخلاص هو التصاق بالمسيح في المعمودية التي هي دفن وقيامة معه وفي شركة جسده في الإفخارستيا وفي فهم أسراره في الكلمة الإلهية، أو بالموت مثله في حالات الشهداء والنساك، وكل هذا مؤسس على حقيقة أساسية وهي صحة الاعتقاد بمجيء الله إلينا في الجسد وباتحاده بهذا الجسد.

لذلك كان ارتفاع الطبيعة البشرية إلى فوق بسبب التجسد مقبولاً ومعقولاً عن أن ترتفع الطبيعة البشرية على أمجاد اللاهوت بدون التجسد، وأن تنال عدم التغير الخاص بالله دون أن ينزل الله إليها. ومن اللائق أن ينزل غير الفاسد إلى الطبيعة المستعبدة للفساد حتى يحررها من الفساد. وكان من اللائق أن الذي لم يعرف خطيئة يصبح مثل الذين تحت الخطيئة ليُبطل الخطيئة.

ففي النور تصبح الظلمة بلا عمل، وحيث يوجد عدم الفساد يهرب الفساد. لأن الذي لم يعرف خطيئة (أي الله) جعل الذي تحت الخطيئة (الجسد) خاصاً به حتى تصير الخطيئة إلى عدم. وعلى الرغم من أنه قيل عن يسوع أنه كان: وَأما يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدمُ فِي اَلْحِكْمَةِ وَاَلْقَامَةِ وَاَلنِّعْمَةِ عِنْدَ اَللهِ وَاَلناسِ»[1]. فإن هذا يخص التدبير، لأن كلمة الله سمح لبشريته أن تنمو حسب خواصها وحسب قوانينها وعاداتها. ولكنه أراد شيئاً فشيئاً

(1) لوقا 2: 52.

أن يعطى مجد ألوهيته إلى جسده كلما تقدم في العمر حتى لا يكون مرعباً للناس إذا بدر منه عدم الاحتياج المطلق لأي شيء.

ولعل هذا المبدأ اللاهوتي الهام، هو ما يميز الأناجيل الأربعة عن غيرها من الأناجيل المزورة التي تنسب للمسيح في طفولته معجزات وخوارق غير عادية. ولذلك يجب أن نفرق بين اتحاد اللاهوت والناسوت الذي حدث في اللحظة التي تكوَّن فيها الجسد، وبين ظهور المجد الإلهي. فالاتحاد حدث دون انفصال لكن ظهور المجد الإلهي كان يحدث على فترات وفي مناسبات مثل السير على الماء أو التجلي.

ومع هذا تكلموا عنه: «فَتَعَجَّبَ اَلْيَهُودُ قَائِلِينَ: كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ اَلْكُتُبَ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟»[1]. فالنمو يحدث للجسد، كما أن التقدم في النعمة والحكمة يتلاءم مع مقاييس الطبيعة البشرية. وهنا يلزمنا أن نؤكد أن الله الكلمة المولود من الآب هو نفسه كلي الكمال لا ينقصه النمو أو الحكمة أو النعمة، بل أنه يُعْطي للمخلوقات الحكمة والنعمة وكل ما هو صالح. وعلى الرغم أنه قيل عن يسوع أنه تألم فإن الآلام هي أيضاً خاصة بالتدبير، هي آلامه هو، وهذا صحيح تماماً لأنه تألم في الجسد الذي يخصه هو، ولكنه كإله لا يتألم أي لا تقبل طبيعته الألم حتى عندما تجرأ صالبوه وعذبوه بقسوة.

عندما صار الابن الوحيد مثلنا لأنه دُعي في الأسفار التي أوحى بها الله بـ«ابن البشر»، وهذا حسب التدبير إلا أننا نعترف لأنه بطبيعته الله.

## ـ براهين كتابية على أن كلمة الله وإن كان قد صار إنساناً إلا أنه ظل إله:

### 1 ـ الكاروبيم:

يقول الله لموسى النبي شارحاً الأسرار الإلهية: «وَتَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِي طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَي اَلْغِطَاءِ. فَاصْنَعْ كَرُوباً وَاحِداً عَلَى اَلطَّرَفِ مِنْ هُنَا وَكَرُوباً آخَرَ عَلَى اَلطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ اَلْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ اَلْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ اَلْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى اَلْغِطَاءِ وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى اَلآخَرِ. نَحْوَ اَلْغِطَاءِ

(1) يوحنا 7: 15.

يَكُونُ وَجْهَا ٱلْكَرُوبِيْنِ»[1].

هذا رمز صحيح يدل على أن الله الكلمة الذي تأنس إلا أنه ظل الله، وعندما صار مثلنا من أجل التدبير لم يفقد مجده وعظمته. وعمانوئيل صار لنا كفارة بالإيمان: «الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ»[2]...

وهذا يبرهنه يوحنا أيضاً: «يَا أَوْلاَدِي الصِّغَارَ، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الأُمُورَ لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَلكِنْ، إِنْ أَخْطَأَ أَحَدُكُمْ، فَلَنَا عِنْدَ الآبِ شَفِيعٌ هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَار. فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لاَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِهِ»[3]...

وعلينا أن ننظر إلى الكروبين واقفين باسطين أجنحتهما على كرسي الرحمة، وهما يتطلعان إلى كرسي الرحمة وفي نفس الوقت يثبتان أعينهما على إرادة ربهما. وحشد الأرواح السمائية يثبتون عيونهم على إرادة الله الكلمة الذي تأنس إلا أنه ظل الله، وكلهم لا يشبع من النظر إلى الله.

هذا المنظر الأرضي (في خيمة الاجتماع) يذكرنا بالمنظر السمائي الذي رآه أشعياء النبي عندما رأى الابن جالساً على عرش عالي والسارافيم يخدمونه كالله: «فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزيا ٱلْمَلِكِ رَأَيْتُ ٱلسيدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِي عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ ٱلْهَيْكَلَ. السرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُل وَاحِدٍ سِتةُ أَجْنِحَةٍ. بِإِثْنَيْنِ يُغَطي وَجْهَهُ وَبِإِثْنَيْنِ يُغَطي رِجْلَيْهِ وَبِإِثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ: قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ رَب ٱلْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُل ٱلأَرْضِ»[4]...

### 2 ـ الحية النحاسية:

وموسى النبي قد أقيم في القديم لكي يحرر شعبه من ظلم المصريين ولكن كان من الضروري أولاً أن يتعلم الذين كانوا تحت نير العبودية أن الله تصالح معهم، لذلك أمر الله موسى أن يُجري معجزات، لأن المعجزة في بعض الأوقات تساعدنا على

---

(1) خروج 25: 17 ـ 20.

(2) رومية 3: 25.

(3) 1 يوحنا 2: 1 ـ 2.

(4) أشعياء 6: 1 ـ 3.

الإيمان، لذلك يقول موسى لله ضابط الكل: «فَأَجَابَ مُوسَى: وَلَكِنْ هَا هُمْ لاَ يُصَدِّقُونَنِي وَلاَ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي بَلْ يَقُولُونَ لَمْ يَظْهَرْ لَكَ اَلرب. فَقَالَ لَهُ الرب: مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟ فَقَالَ: عَصاً. فَقَالَ: اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ. فَطَرَحَهَا إِلَى اَلأَرْضِ فَصَارَتْ حَيةً فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُم قَالَ اَلرب لِمُوسَى: مُد يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا (فَمَد يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ فَصَارَتْ عَصاً فِي يَدِهِ). لِكَيْ يُصَدقُوا أَنهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ اَلرب إِلَهُ آبَائِهِمْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ»[1]. . .

لنتأمل هذا، إن الله بالطبيعة وبالحق هو عصا الآب لأن العصا هي علامة المملكة. لأن الآب في الابن له سلطان على الكل، وفي هذا يقول داود: «كُرْسِيكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ اَلدهُورِ. قَضِيبُ اِسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[2]. ولكنه (أي الآب) طرحها أو جعلها على الأرض في طبيعة بشرية، عند ذلك اتخذت (العصا) شبه الناس الخطاة، وأصبح واضحاً أن العصا التي صارت حية ترمز إلى شر الطبيعة البشرية، لأن الحية علامة على الشر.

ولكي نتأكد من هذا التفسير أن صواب، نجد أن يسوع المسيح نفسه يقول عن رموز التدبير بالجسد أنه مثل الحية النحاسية التي رفعها موسى لكي تشفي من عضات الحيات، لأنه يقول: «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيةَ فِي الْبَرية هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُل مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيةُ»[3]. والحية التي صُنعت من نحاس كانت سبب خلاص الذين كانوا في خطر، لأنهم عندما نظروا إليها خلصوا.

هكذا يسوع المسيح للذين ينظرونه وهو في شبه الناس الخطاة لأنه صار إنساناً ولكن لا يجهل أحد أنه الله الذي يقيم والذي يمنح الحياة والقوة للهرب من العضات الأليمة والسامة (أي القوات الشيطانية التي تحاربنا). . .

ويمضي القديس كيرلس فيقول: هناك وجه رمزي آخر وهو عصا موسى ابتلعت عصي السحرة التي ألقيت على الأرض، لأن العصا بعد أن طُرحت على الأرض

---

(1) خروج 4: 1 ـ 5.

(2) مزمور 45: 6.

(3) يوحنا 3: 14 ـ 15.

وصارت حية لم تظل حية بل رجعت إلى ما كانت عليه.

كذلك عصا الآب (أي الابن) الذي فيه يسود الآب على الكل صار في شبهنا كما قلت من قبل إلا أنه بعد أن أكمل التدبير عاد إلى السماء، فهو في يد الآب قضيب البر والملك «قَضِيبُ إِسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[1]. وهو يجلس عن يمين الآب في مجده، وله عرش الآب وهو في الجسد.

**ــ يد موسى البرصاء:**

قال الرب لموسى: «ثُم قَالَ لَهُ اَلرب أَيْضاً: أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبكَ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبهِ ثُم أَخْرَجَهَا وَإِذَا يَدُهُ بَرْصَاءُ مِثْلَ اَلثلْجِ. ثُم قَالَ لَهُ: رُد يَدَكَ إِلَى عُبكَ فَرَد يَدَهُ إِلَى عُبهِ ثُم أَخْرَجَهَا مِنْ عُبهِ وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ»[2]...

اليد يد الله الآب في الأسفار الإلهية هي الابن لأن هذا النص يشير إليه: «وَيَدِي أَسسَتِ اَلأَرْضَ وَيَمِينِي نَشَرَتِ اَلسمَاوَاتِ. أَنَا أَدْعُوهُن فَيَقِفْنَ مَعاً»[3]. وداود ينشد قائلاً: «بِكَلِمَةِ الرب صُنِعَتِ السمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُل جُنُودِهَا»[4].

وعندما كانت يد موسى مختبأة في حضنه لم تكن برصاء، ولكن عندما أخرجت صارت برصاء، وبعد فترة أدخلها مرة أخرى ثم أخرجها ولم تعد برصاء بل قيل: «وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ»[5]. لذلك عندما كان الله الكلمة في حضن الآب كان يشرق ببهاء الألوهة، ولكن عندما صار كما لو كان خارجاً بسبب التجسد أو لأنه صار إنساناً في شبه جسد الخطيئة: «... فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ اِبْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ اَلْخَطِيةِ وَلأَجْلِ اَلْخَطِيةِ دَانَ اَلْخَطِيةَ فِي اَلْجَسَد)[6]... و«لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ اَلأَعِزاءِ وَمَعَ اَلْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي اَلْمُذْنِبِينَ»[7].

لأن الرسول بولس يقول: «(لأَنهُ جَعَلَ اَلذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيةً، خَطِيةً لأَجْلِنَا،

(1) مزمور 45: 6.
(2) خروج 4: 6 ـ 7.
(3) أشعياء 48: 13.
(4) مزمور 33: 6.
(5) خروج 4: 7.
(6) رومية 8: 3.
(7) أشعياء 53: 12.

لِنَصِيرَ نَحْنُ بِر اَللهِ فِيهِ»[1]. إن البرص حسب الناموس كان نجساً، ولكنه عندما عاد إلى حضن الآب، لأنه صعد إلى هناك بعد قيامته من الأموات صار مثل يد موسى التي أدخلت في حضنه وصارت طاهرة.

هكذا سوف يأتي يسوع المسيح في الوقت المحدد ببهاء مجد الألوهة رغم أنه لم يخلع شبهنا. لأن بولس يقول أيضاً عن المسيح: «هَكَذَا اَلْمَسِيحُ أَيْضاً، بَعْدَمَا قُدِمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيةٍ لِلْخَلاَصِ لِلذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ»[2].

لذلك عندما تدعو الأسفار الإلهية المسيح يسوع في مناسبات متعددة، لا يظن أحد أنه مجرد إنسان بل لنعتقد أنه يسوع المسيح كلمة الله الحقيقي الذي من الله الآب حتى وإن صار إنساناً.

يقول الله عن البشر: «هَا أَيامٌ تَأْتِي يَقُولُ اَلرَّب وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. لَيْسَ كَالْعَهْدِ اَلذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ اَلرب. بَلْ هَذَا هُوَ اَلْعَهْدُ اَلذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ اَلأَيامِ يَقُولُ اَلرب: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً»[3]... و«إِني سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً»[4].

ويقول يسوع المسيح نفسه: «إِنْ أَحَبنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً.... هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي»[5].

وكذلك أيضاً دعينا هياكل الله: «أَنْتُمْ هَيْكَلُ اَللهِ اَلْحَي»[6]. ويقول أيضاً: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَن جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلروحِ اَلْقُدُسِ اَلذِي فِيكُمُ اَلذِي لَكُمْ مِنَ اَللهِ وَأَنكُمْ لَسْتُمْ

---

(1) 2 كورونثوس 5: 21.
(2) عبرانيين 9: 28.
(3) أرميا 33: 31 ـ 33.
(4) 2 كورونثوس 6: 16.
(5) يوحنا 14: 23 ورؤيا 3: 20.
(6) 2 كورونثوس 6: 16.

لأَنْفُسِكُمْ؟»[1].

عدما يتحدث بولس الرسول عن المسيح يقول: «الذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرفْ بِهِ بَنُو اَلْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ اَلْقِديسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ»[2]... و«السر الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ، لَكِنهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِديسِيهِ، الذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا السر فِي الأُمَمِ، الذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ. الذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُل إِنْسَانٍ، وَمُعَلمِينَ كُل إِنْسَانٍ، بِكُل حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُل إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»[3]...

فإذا كان المسيح إنساناً لبس اللاهوت وليس الله بالحقيقة، فكيف يصبح هو نفسه «غنى مجد السر» الذي يُبشر به الأمم؟ أو كيف يمكن أن يُقال أن الرسول بشر بالله بالمرة؟

«فَإني أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَي جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الذِينَ فِي لاَوُدِكِيةَ، وَجَمِيعِ الذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ تَتَعَزى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبةِ لِكُل غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِر اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ»[4].

---

(1) 1 كورونثوس 6: 19.
(2) أفسس 3: 5.
(3) كولوسى 1: 26 ـ 28.
(4) كولوسى 1: 1 ـ 2.

# يسوع المسيح

يسوع المسيح، وتعني كلمة المسيح «الممسوح بالزيت» التي اشتقت من كلمة المسيا اليهودية، ويعرف أيضاً بيسوع الناصري نسبة إلى مدينة الناصرة التي عاش فيها معظم أيام حياته. يسوع هو اسم باللغة الآرامية (؟؟؟؟). يسوع بالعبرية تنطق يشوع (؟؟؟؟؟) ومعناها الحرفي «يهوه شوع» أي «الله يخلص».

المسيح حسب الكتاب المقدس وحسب إيمان المذاهب المسيحية الأساسية الأرثوذكسية والكاثوليكية والغالبية البروتستانتية هو ابن الله، وهو الرب، وهو واحد مع الله الآب، وهو الله نفسه الذي ظهر في الجسد، (عقيدة الثالوث الأقدس)، بحسب قانون الإيمان الذي صاغه آباء الكنيسة في مجمع نيقية 325 م فإن المسيح هو الله المتجسد والمساوي للآب في الجوهر: إله من إله.. نور من نور.. إله حق من إله حق.. وهو الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس (الإله الواحد في ثلاث أقانيم متساوية ومتحدة في الجوهر).

ولد يسوع المسيح في بيت لحم كما توجب أن يولد، بحسب ما تنبأ عنه النبي ميخا. تذكر الأناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) شهادات حية مما رأوه وتعلموه وكانوا شهوداً له لما عمل من أعمال. كانت ولادته معجزية من غير أب، إذ حل الروح القدس على السيدة مريم العذراء، فحبلت به، ثم ولدته في بيت لحم، كما جاء في الكتاب المقدس.

يؤمن المسيحيون أنه صلب ومات من أجل دفع ثمن خطايا جميع البشر، كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. ثم أقيم من قبره في اليوم الثالث، قاهراً الموت بالموت، كما تنبأ عنه في العهد القديم. ثم ظهر لتلاميذه وبقي

معهم أربعين يوماً ومن ثم صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب وسوف يأتي في اليوم الأخير ليدين الأحياء والأموات وملكه لن يكون له انقضاء.

## ـ حياته وتعاليمه بحسب الإنجيل:

تعتبر الأناجيل القانونية الأربعة (إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا) المنابع الرئيسية الأساسية بالنسبة للتقليد المسيحي للحصول على معلومات عن حياة السيد المسيح والتي سنأتي عليها مفصلة في الأجزاء اللاحقة.

## ـ النسب والعائلة:

بين الأناجيل الأربعة اختصت بشارتي «متى» و«لوقا» فقط بالحديث عن نسب يسوع والسلالة التي انحدر منها، حيث تحدث متى الإنجيلي عن نسب يسوع المنحدر من ناحية أبيه القانوني أمام الشرع اليهودي وهو يوسف النجار خطيب السيدة مريم العذراء فيقول: «كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ. إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحُبْعَامَ. وَرَحُبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً»[1].

---

(1) متى 1: 1 ـ 17.

ومتى، كاتب سلسلة نسب المسيح، فقد كان في الأصل عشاراً يهودياً، اسمه العبراني لاوي، واسمه اليوناني متى، واسم أبيه حلفى، وكان عمله في خدمة الحكومة الرومانية يستلزم أن يكون صاحب معرفة، ولا سيما في الأمور المالية والتجارية، كما كان من ذوي اليُسْر المالي. وتبدأ مقدمة بشارة متى بالقول: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته». ثم يذكر أربعين شخصاً من رجال ونساء آخرهم «يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح». وواضح أن متى يتابع سلسلة نسب المسيح من يوسف، خطيب العذراء مريم. بينما يملُّ القارئ المتعجِّل من مطالعة هذا الجدول، يدرك العاقل أهميته الفائقة، لأن فيه إيضاحات مهمة للأصل البشري، الذي منه تسلسل هذا الشخص العجيب الذي «صار جسداً وحلَّ بيننا». ويسوع هو الإنسان الوحيد في التاريخ البشري الذي حُفظ قيد تسلسله من أب البشر آدم. وهو الوحيد الذي ـ بالإضافة إلى جوهره الأسمى ـ تتوقف قيمته الإنسانية على سلسلة أجداده، لأن منها نعرف أنه ابن داود، المخلص المنتظر.

أما لوقا الإنجيلي فقد تكلم أيضاً عن نسب يسوع من ناحية يوسف ولكن استناداً إلى تفاسير أخرى، فقد مر خط نسب المسيح في إنجيل لوقا عبر سلالة والدته مريم، ولكن بشكل عام كِلا الإنجيليين يرجعون نسب المسيح إلى داود الملك ومنه إلى النبي إبراهيم: «وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ بْنِ هَالِي، بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ مَلْكِي بْنِ يَنَّا بْنِ يُوسُفَ، بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّايِ، بْنِ مَآثَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ شِمْعِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ بْنِ نِيرِي، بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرِ، بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي، بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ، بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ، بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ، بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ آرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ، بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللّهِ»[1].

(1) لوقا 3: 23 ـ 38.

وقد أورد لوقا في بشارته جدولاً آخر لنسب المسيح يختلف بعض الاختلاف عن الذي أورده متى. ولكننا نقول إن الجدولين متفقان في أن يوسف رجل مريم أم يسوع هو الحلقة الأخيرة فيهما. ويتفقان أيضاً في حلقات النسب بين إبراهيم وداود. ويتفقان في اسمي شألتئيل وزربابل في وقت سبي بابل، لكنهما يختلفان اختلافاً فرح له المنتقدون. من هذا الاختلاف أن متى يقدّم أسماء الأجيال من يسوع راجعاً إلى إبراهيم، وأما لوقا فإلى آدم. ويتبع متى سلسلة سليمان بن داود، أما لوقا فيتبع سلسلة ناثان بن داود. ويذكر متى أن يوسف (خطيب مريم) ابن يعقوب، أما لوقا فيجعله ابن هالي والد مريم، وكان اليهود أحياناً ينسبون الرجل لوالد زوجته[1]. والحلقات في متى بين داود ويوسف تنقص كثيراً عنها في لوقا. فالأمر ظاهر أن بعض الحلقات متروكة، لأن كلمة «ابن» وكلمة «وَلَدَ» تردان أحياناً في هاتين السلسلتين بالمعنى الواسع، مثل القول إن يسوع ابن داود ابن إبراهيم، لأن متى يذكر أربع حلقات فقط في أيام القضاة بين راحاب وداود، مع أن المدة 450 سنة. كما أن جدول لوقا يختصُّ بمريم، والآخر في متى يختص بيوسف، لأن بيان تسلسل الاثنين ضروري.

على أن البشيرين متى ولوقا يوضّحان أصل المسيح الإلهي، فمتّى بعد أن يقول في كل الحلقات السابقة «فلان ولد فلان» لا يقول ـ كما كان يُنتظَر ـ يوسف ولد يسوع، بل «يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذي يدعى المسيح» ولوقا يقول: «وهو على ما كان يُظَنُّ: ابن يوسف».

ولو كان بالجدولين ما يستحق الهجوم والمعارضة لفعل قادة اليهود ذلك منذ البدء، خصوصاً وأن تسلسل النسب يبرهن أن يسوع هو ابن داود المخلص الآتي. وصَمْت اليهود عن مهاجمة سلسلتي متى ولوقا دليل على صحتهما.

لم تخبرنا الأناجيل الأربعة عن يوسف خطيب السيدة العذراء إلا في الفترة ما قبل ولادة يسوع وبعدها القليل أثناء طفولته، وقد كان اليهود يعتقدون أن يوسف ذاك هو والد يسوع فكانوا يعرفونه على أنه يسوع الناصري ابن يوسف النجار، أثناء حادثة الصلب طلب المسيح من تلميذه المحبوب أن يعتني بأمه مريم ومن هذا نستدل بأن يوسف كان ربما قد مات قبل الصلب بفترة غير معروفة. وتتحدث بعض أسفار العهد الجديد

(1) قارن ما حدث مع عائلة برزلاي عزرا 2: 61 ونحميا 7: 63.

كإنجيل متى ومرقس والرسالة إلى الغلاطيين عن وجود أقارب ليسوع بما في ذلك إخوة وأخوات، الكلمة اليونانية المستعملة في هذه النصوص هي (adelphos) والتي تترجم إخوة في الكثير من ترجمات العهد الجديد، ولكن الكلمة بشكل عام قد تدل على أي قرابة عائلية كما أن المسيحيين الكاثوليك والأرثوذوكس وبعض البروتستانت يؤمنون بأن إخوة يسوع هؤلاء هم أبناء عمومته وأنسباؤه أو أبناء يوسف خطيب أمه من زوجة أخرى وذلك لإيمانهم ببتولية مريم قبل وأثناء وبعد ولادتها ليسوع المسيح.

**ـ الميلاد:**

استناداً لمتى ولوقا فقد ولد يسوع في مدينة بيت لحم في اليهودية، وأمه هي العذراء مريم التي حبلت وولدت به بطريقة معجزية بواسطة الروح القدس بدون أي اتصال جسدي، حيث يحدثنا إنجيل لوقا عن زيارة الملاك جبرائيل لها ليخبرها بأنه قد اختيرت لتكون والدة ابن الله[1].

واستناداً إلى نفس الإنجيل فقد صدر في تلك الفترة أمر من أغسطس قيصر روما بأن يكتتب كل سكان الإمبراطورية أي أنه أمر بإجراء إحصاء عام لهم، وهذا ما دفع مريم وخطيبها يوسف إلى مغادرة مكان سكنهم في مدينة الناصرة والتوجه إلى مدينة داود مدينة بيت لحم ليكتتبوا هناك لكونهم من بيت داود وعشيرته، وعندها كانت أيام مريم قد تمت لتضع مولودها ولأنه لم يكن لهم مكان في نزل أو فندق بسبب ازدحام المدينة باتوا ليلتهم في حظيرة للحيوانات حيث ولد يسوع، «أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارّاً وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرّاً. وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ (اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا). فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ

(1) لوقا 1: 26 ـ 38.

يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ»[1].

وفي تلك الأثناء قام ملاك الرب بزيارة رعاة ساهرين على حراسة أغنامهم ويبشرهم بولادة المخلص فقام هؤلاء الرعاة وجاؤوا وشاهدوا الطفل وأمه ثم نشروا ذلك الخبر في كل تلك المنطقة. ويخبرنا الإنجيلي متى عن قدوم مجوس من الشرق محملين بالهدايا لزيارة الطفل المولود ملك اليهود بعد أن تبعوا نجماً ظهر في السماء آمنوا بأنه إشارة من السماء على ولادة الملك المسيا المنتظر. «وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟ فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرّاً وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ. فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدّاً وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرّاً. ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ»[2].

وبعدها يتكلم إنجيل متى عن هروب يوسف ومريم وطفلها إلى مصر هرباً من أمر الملك هيرودس بإعدام كل أطفال بيت لحم ونواحيها من عمر سنتين فما دون، ولكنهم عادوا بعدها إلى ديارهم بعد زوال الخطر. «وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: مِنْ مِصْرَ

(1) متى 1: 18 ـ 25.
(2) متى 2: 1 ـ 12.

دَعَوْتُ ابْنِي. حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدّاً فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ. فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ. فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً»(1).

واستناداً إلى الإنجيل، المكان الذي قضى فيه يسوع طفولته هو مدينة الناصرة التي في الجليل، وبحسب إنجيل لوقا عاش يوسف ومريم في الناصرة قبل ولادة يسوع وعادوا إليها عقب ولادته، أما بالنسبة لإنجيل متى فقد بقيت العائلة في مصر حتى وفاة الملك هيرودس، ولما عادوا إلى أرض إسرائيل علم يوسف بأن ابن هيرودس ملك على اليهودية مكان والده فخشي يوسف العودة بأسرته إلى هناك، وبوحي من الله جاءه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل إلى مدينة الناصرة.

## ـ الطفولة وبداية حياة البلوغ:

بحسب إنجيل لوقا كان عمر يسوع حين تعمد حوالي الثلاثين عاماً، والحادثة الوحيدة المذكورة في الإنجيل عن الفترة ما بين الولادة والعماد هي تلك التي يتحدث عنها إنجيل لوقا عن ضياع الطفل يسوع في الهيكل أثناء زيارته لأورشليم مع أبويه. «وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ

(1) متى 2: 13 ـ 23.

وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ! فَقَالَ لَهُمَا: لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟. فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»[1].

وفي إنجيل مرقس دُعي يسوع بالنجار، وفي إنجيل متى بابن النجار، ومن هذا نعرف بأن يسوع قضى حداثته بتعلم تلك المهنة من مربيه يوسف.

**ـ العماد والتجربة على الجبل:**

فاتحة إنجيل مرقس هي قصة المعمودية، أي عماد يسوع على يد يوحنا المعمدان، والتي يعتبرها العديد من دارسي الكتاب المقدس بداية انطلاق يسوع في دعوته العلنية، فبحسب مرقس فقد جاء يسوع إلى نهر الأردن ليعتمد حيث كان يوحنا المعمدان يعظ الشعب ويعمدهم معمودية التوبة. «بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ: كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقَوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً. وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ. وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!». وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ»[2].

---

(1) لوقا 2: 41 ـ 52.

(2) مرقس 1: 1 ـ 13.

ويضيف إنجيل متى هنا الحوار الذي دار بين يسوع ويوحنا عندما امتنع يوحنا في البداية عن عماد يسوع طالباً منه بأن يعمده هو، ولكن امتثل يوحنا أخيراً لرغبة يسوع وعمده «حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ! فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ»(1).

بعد المعمودية وبحسب إنجيل متى فقد اقتيد يسوع من الروح إلى البرية وصام هناك أربعين نهاراً وأربعين ليلة، وعندما جاع أخيراً بدأ الشيطان يجربه ليدفعه لاستخدام قوته الروحية كدليل على أنه ابن الله ولكن يسوع كان يرفض دائماً إغراءات إبليس متسلحاً بآيات من أسفار «العهد القديم»، وتتفق الأناجيل الأربعة على أن يسوع جُرب ثلاث مرات، وبعد أن فشل الشيطان بالانتصار عليه فارقه إلى حين وجاءت الملائكة لتخدم يسوع «ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَاعَ أَخِيراً. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً. فَأَجَابَ: مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ. ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ. ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضاً إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدّاً وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ. ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ»(2).

### ـ الخدمة والتبشير:

يقدم لنا الإنجيل يسوع على أنه المسيا أي المسيح المنتظر، والذي أُرسِل «لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»(3)، ولكي يبشر بالأخبار السارة «إِنَّهُ يَنْبَغِي

---

(1) متى 3: 13 ـ 15.
(2) متى 4: 1 ـ 11.
(3) مرقس 10: 45.

لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضاً بِمَلَكُوتِ اللهِ، لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ»[1].

وخلال مسيرة حياته قام يسوع باجتراح المعجزات الباهرات كمن له سلطان، فشفى المرضى وأخرج الأرواح النجسة من الممسوسين ومشى على المياه وأقام العديد من الأموات، كإقامته لإلعازر من الموت بعد أن قضت جثته أربعة أيام في القبر.

وبعد ذلك يذكر لنا مرقس معجزة شفاء الأبرص. أن الكلمة «برص» في حد ذاتها استُخدمت لتصف العديد من الأمراض الجلدية الأخرى. ويقول قاموس الكتاب المقدس: «إن تحليل الأعراض المختلفة... يكشف بوضوح عن أن التعبير «برص» كان يستخدم بشكل عام وشائع عما هو اليوم. ويقترح بعض المفسرين أن لاويين 13 يدمج سبعة أمراض مختلفة تحت التعبير العام الشائع «برص». فبعض الأعراض التي يصفها ذلك الإصحاح تشبه داء الصدف أكثر مما تشبه البرص.

وقدم العهد القديم تعليمات وافية بالنسبة لمن شُخصت حالته بواسطة الكاهن، على أنه مصاب بالبرص. فكان عليه الانفصال عن بيته ومجتمعه والعيش بعيداً في عزلة تامة[2]. كما كان محظوراً عليه دخول المدينة[3]. ويتوجب عليه أن يلبس ملابس ممزقة ويُطيل شعره ويرخيه وينادي حيثما سار «نجس، نجس»، أو كلما اقترب منه أحد[4]. وهذه المظاهر كانت على ما يبدو ما تزال شائعة في أيام المسيح. ولكن الأبرص المذكور في مرقس 1:40 جاء إلى حيث كان يسوع واقترب منه بل وجثا عند رجليه ملتمساً أن يشفيه ويطهره.

إن حقيقة كون السيد المسيح قد سمح للأبرص بالاقتراب منه، بل ومد السيد المسيح يده ولمسه كاسراً بذلك التقاليد المتبعة في زمانه، تظهر بوضوح عطفه الزائد.

ومن بعد ذلك يذكر مرقس معجزة شفاء المفلوج. فقصة المفلوج الذي أنزلوه من السقف تدهش الناس في كل عصر ومكان. فهي تعبر عن الذكاء والبراعة والتصميم. ولا يمكننا إلا أن نظهر التقدير للرجال الأربعة الذين وجدوا الطريق إلى المسيح من

---

(1) لوقا 4: 43.
(2) عد 1: 5 ـ 4؛ 9: 12 ـ 15؛ 2 ملوك 5: 15.
(3) 2 ملوك 3: 7.
(4) لاويين 45: 13 و46.

خلال ثقب أحدثوه في السقف وأنزلوا منه المفلوج، بعد أن تعذر عليهم الدخول من الباب نظراً لكثرة الزحام. كافأ السيد المسيح إيمان الرجال الذين أحضروا المفلوج، ولكن ليس بالطريقة التي توقعوها. فهو كان يعرف ما لم يعرفوه هم بأن حمل المفلوج الأثقل لم يكن جسدياً بل روحياً. إن الشعور بالذنب والخوف والغضب والاستياء والغيرة والعزلة والإجهاد له تأثير مدمر على الصحة. فعلى رغم أن المفلوج أراد الشفاء الجسدي، فقد تاق بالأكثر إلى السلام مع الله كدليل يقين على أن خطاياه قد غُفرت. لهذا قال له السيد المسيح: «يا بني مغفورة لك خطاياك»[1].

## ـ القبض على يسوع ومحاكمته وموته:

استناداً إلى الإنجيل فإن يسوع جاء مع أتباعه إلى أورشليم في عيد الفصح اليهودي، حيث اجتمع هناك حشد كبير لاستقباله، وكان الحاضرون يهتفون «أُوصنّا! مُباركٌ الآتِي بِاسْمِ الرّبِّ! مِلِكُ إِسْرائِيل»[2]، وبعد دخوله كمنتصر لأورشليم تخبرنا الأناجيل بأن يسوع قام بخلق فوضى عارمة في باحة الهيكل، فقلب موائد الصيارفة وباعة الحمام وأخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه لأنه رأى بأنهم قد حولوا هيكل الرب إلى مغارة لصوص.

### 1 ـ العشاء السري والوصية الأخيرة:

لاحقاً، وفي ذات الأسبوع تتحدث الأناجيل عن قيام يسوع والتلاميذ بتحضير ما يُعرف بال«عشاء السري» أو «العشاء الأخير» وكان ذلك اليوم هو يوم الخميس، وفي أثناء تناولهم العشاء أنبأهم يسوع عما سيحل به وعن خيانة أحدهم له: «أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى. فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيءٍ إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفةً واتزر بها ثم صب ماءً في مغسلٍ وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة

---

(1) مرقس 5: 2.
(2) يوحنا 12: 13 ـ 16.

التي كان متزراً بها. فجاء إلى سمعان بطرس. فقال له ذاك: «يا سيد أنت تغسل رجلي!» أجاب يسوع: «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد». قال له بطرس: «لن تغسل رجلي أبداً!» أجابه يسوع: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب». قال له سمعان بطرس: «يا سيد ليس رجلي فقط بل أيضاً يدي ورأسي». قال له يسوع: «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم». لأنه عرف مسلِّمه لذلك قال: «لستم كلكم طاهرين». فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم: «أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعضٍ لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه. لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتمّ الكتاب: الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه. أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أني أنا هو. الحق الحق أقول لكم: الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني». لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال: «الحق الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلِّمني». فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعضٍ وهم محتارون في من قال عنه. وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه. فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه. فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: «يا سيد من هو؟» أجاب يسوع: «هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه». فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعةٍ». وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به لأن قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له: اشتر ما نحتاج إليه للعيد أو أن يعطي شيئاً للفقراء. فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت. وكان ليلاً. فلما خرج قال يسوع: «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه. إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً. يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد. ستطلبونني وكما قلت لليهود: حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن. وصيةً جديدةً أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون

أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضاً لبعضٍ». قال له سمعان بطرس: «يا سيد إلى أين تذهب؟» أجابه يسوع: «حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستتبعني أخيراً». قال له بطرس: «يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن؟ إني أضع نفسي عنك». أجابه يسوع: «أتضع نفسك عني؟ الحق الحق أقول لك: لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات»[1].

«لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إلي حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق». قال له توما: «يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» قال له يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه». قال له فيلبس: «يا سيد أرنا الآب وكفانا». قال له يسوع: «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس! الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب في؟ الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال. صدقوني أني في الآب والآب في وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها. الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي. ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله. «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم. بعد قليلٍ لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني. إني أنا حي فأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم».

«الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي». قال له يهوذا ليس الإسخريوطي: «يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟» أجاب يسوع: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه

---

(1) يوحنا 13: 1 ـ 38.

أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم. «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني. وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء. ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب وكما أوصاني الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا»[1].

«أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام. كل غصنٍ في لا يأتي بثمرٍ ينزعه وكل ما يأتي بثمرٍ ينقيه ليأتي بثمرٍ أكثر. أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به. اثبتوا في وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمرٍ من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا في. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت في وأنا فيه هذا يأتي بثمرٍ كثيرٍ لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً».

«إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق. إن ثبتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمرٍ كثيرٍ فتكونون تلاميذي. كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته. كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم. هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه».

«أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمرٍ ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي. بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً. «إن كان العالم يبغضكم

---

(1) يوحنا 14: 1 ـ 31.

فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم».

«اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني. لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم».

«الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سببٍ. ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء»[1].

«قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمةً لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني. لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية لأني كنت معكم. وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيةٍ وعلى بر وعلى دينونةٍ. أما على خطيةٍ فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً. وأما على دينونةٍ فلأن رئيس هذا العالم قد دين».

«إن لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمورٍ آتيةٍ. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم. بعد قليلٍ لا تبصرونني ثم بعد قليلٍ أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب».

---

(1) يوحنا 15: 1 ـ 27.

«فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعضٍ: «ما هو هذا الذي يقوله لنا: بعد قليلٍ لا تبصرونني ثم بعد قليلٍ أيضاً ترونني ولأني ذاهب إلى الآب؟». فتساءلوا: «ما هو هذا القليل الذي يقول عنه؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم». فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه فقال لهم: «أعن هذا تتساءلون فيما بينكم لأني قلت: بعد قليلٍ لا تبصرونني ثم بعد قليلٍ أيضاً ترونني. الحق الحق أقول لكم: إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرحٍ. المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان في العالم. فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم. وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً. الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً».

«قد كلمتكم بهذا بأمثالٍ ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثالٍ بل أخبركم عن الآب علانيةً. في ذلك اليوم تطلبون باسمي. ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب».

قال له تلاميذه: «هوذا الآن تتكلم علانيةً ولست تقول مثلاً واحداً! الآن نعلم أنك عالم بكل شيءٍ ولست تحتاج أن يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من الله خرجت». أجابهم يسوع: «ألآن تؤمنون؟ هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحدٍ إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم»[1].

تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: «أيها الآب قد أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً إذ أعطيته سلطاناً على كل جسدٍ ليعطي حياةً أبديةً لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم. «أنا

---

(1) يوحنا 16: 1 ـ 33.

أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك. والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني. من أجلهم أنا أسأل».

«لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك. وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي وأنا ممجد فيهم. ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك. أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك. الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن. حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك. الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب. أما الآن فإني آتي إليك. وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم».

«أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدسهم في حقك. كلامك هو حق. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق. ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني».

«وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحدٍ وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني. أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»[1]. وبعد العشاء ذهب يسوع والتلاميذ إلى بستان الزيتون المدعو جثسيماني ليصلوا.

وفي البستان قضى يسوع ساعات بمناجاة الآب السماوي، بعدها جاء جند الهيكل

(1) يوحنا 17: 1 ـ 26.

ليقبضوا عليه بأمر من السنهدريم ـ المجمع اليهودي الأعلى ـ وبأمر من رئيس الكهنة قيافا، وقد تم الاعتقال تحت جنح الليل لتجنب الشغب الذي قد يحدثه أنصار يسوع إذا ما تم اعتقاله في وضح النهار، فشعبية يسوع كانت تزداد بين الناس.

وبحسب الأناجيل فإن يهوذا الإسخريوطي أحد تلامذة يسوع قام بخيانة سيده وتسليمه لليهود مقابل ثلاثين من الفضة، فيهوذا كان يعرف الأماكن التي اعتاد يسوع وأتباعه على الاجتماع فيها، فكان برفقة الجنود عندما أتوا إلى بستان الزيتون واتفق معهم على أن الذي سيقبله سيكون هو يسوع الناصري ولكن يهوذا ندم لاحقاً على فعلته وقام بشنق نفسه، وأثناء إلقاء القبض على يسوع هب تلميذه بطرس مستلاً سيفه ليهاجم أحد الحراس فقطع أذنه ولكن يسوع وبحسب إنجيل لوقا فقد أعاد أذن الرجل إلى مكانها وشفاه، ثم أمر بطرس بأن يعيد سيفه لغمده وقال «رُدَّ سَيْفَكَ إِلى مكانِهِ. لأنَّ كُلَّ الّذِين يأْخُذُون بالسّيْف بِالسّيْفِ يهْلِكُون»[1]، وبعد أن أخذ الجنود يسوع فرّ تلاميذه واختبأوا.

خلال المحاكمة أمام السنهدريم قام شهود زور ليشهدوا ضد يسوع ولكن شهاداتهم لم تتفق فيما بينها، فسأل رئيس الكهنة والشيوخ يسوع بشكل مباشر «أفأنْت ابْنُ اللهِ؟» فقال لهُمْ: «أنْتُمْ تقُولُون إنِّي أنا هُو»[2]، فأدانوا عندها يسوع بتهمة التجديف وعقوبة هذه التهمة هي الموت.

في صباح اليوم التالي يوم الجمعة أرسل رئيس الكهنة يسوع إلى الحاكم الروماني بيلاطس البنطي ليحكم عليه لأنه لم يكن يحق للمحاكم اليهودية تنفيذ قصاص الموت بحق أحد دون الرجوع إلى الرومان، فقدم اليهود يسوع لبيلاطس البنطي على أنه مثير للشغب وبأنه يدعي لنفسه ملك اليهود وبأنه أمر الناس بعدم دفع الجزية للقيصر، أما بيلاطس فأثناء استجوابه ليسوع لم يجد فيه أي علة تدفعه لقتله بل علم بأن اليهود إنما يريدون قتل يسوع بدافع الحسد والغيرة[3]، ولكن الجموع كانت تُلح عليه لكي يأمر بصلبه، وعندما علم بيلاطس بأن يسوع من الجليل قام بإرساله إلى هيرودس حاكم تلك

---

(1) متى 26: 52.

(2) لوقا 22: 70.

(3) مرقس 15: 10.

المنطقة إذ كان آنذاك في زيارة لأورشليم وكان هناك عداوة بين بيلاطس وهيرودس، ولما لم يحكم هيرودس على يسوع بشيء رده إلى بيلاطس فصار الحاكمان صديقين منذ ذلك اليوم.

وكان بيلاطس يطلق لليهود كل عام أي سجين يختارونه فتوجه للحشد وقال لهم «أنا لسْتُ أجِدُ فِيهِ عِلّةً واحِدة ولكُمْ عادةٌ أنْ أُطْلِق لكُمْ واحِداً فِي الْفِصْحِ. أفتُرِيدُون أنْ أُطْلِق لكُمْ مِلِك الْيهُودِ؟ فصرخُوا أيْضاً جمِيعُهُمْ قائِلِين: ليْس هذا بلْ باراباس!. وكان باراباسُ لِصّاً»[1].

بعد ذلك أمر بيلاطس بأن يُجلد يسوع علّ ذلك يرضي الشعب لأنه كان يعلم بأن يسوع بريء ولا يستحق الموت، كما أن إنجيل يوحنا يقول بأن بيلاطس كان خائفاً من قتل يسوع لأنه ادعى بنوته لله، كما أن زوجته أرسلت إليه طالبة أن يرأف به لأنها تألمت من أجله في حلم[2]، وعندما عرض بيلاطس يسوع أمام الناس ازداد هيجانهم وطالبوا أكثر بأن يُصلب، ولكن بيلاطس كان متردداً في ذلك فصرخ اليهود «إِنْ أطْلقْت هذا فلسْت مُحِبّاً لِقيْصر. كُلُّ منْ يجْعلُ نفْسهُ ملِكاً يُقاوِمُ قيْصر»[3]، فخشي بيلاطس على نفسه وفضّل إرضاء الشعب فغسل يديه وأعلن بأنه بريء من دم يسوع فهتف اليهود «دمُهُ عليْنا وعلى أوْلادِنا»[4].

عندها أسلم يسوع لمشيئتهم ليُصلب، فأخذه الجنود وألبسوه ثوباً أرجوانياً ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه وكانوا يستهزئون به ويبصقون عليه، ثم حمّلوه صليبه وأخذوه إلى الموضع الذي يُسمى جلجلة أي الجمجمة وصلبوه هناك مع لصين واحداً من على يمينه والآخر من على يساره، وكان بيلاطس قد أمر بأن توضع لوحة فوق صليبه كتب عليها يسوع الناصري ملك اليهود هذا على الرغم من اعتراض قادة اليهود على ذلك[5]، لم يكن أحد من أتباعه معه عند الصليب سوى أمه ويوحنا بن زبدي وبعض النسوة.

---

(1) يوحنا 18: 38 ـ 40.
(2) متى 27: 19.
(3) يوحنا 19: 12.
(4) متى 27: 25.
(5) يوحنا 19: 19.

على الصليب نطق يسوع جمله السبع الشهيرة، فغفر لصالبيه ووعد اللص التائب بالفردوس، وأوكل إلى التلميذ المحبوب أمر الاعتناء بأمه من بعده، وطلب الماء ولكنه لم يشربه، وتلا الآية الأولى من المزمور الثاني والعشرين ثم قال قد أُكمِل وصرخ بصوت عظيم «يا أبتاهُ، فِي يديْك أسْتوْدِعُ رُوحِي»[1] وأسلم الروح.

تجُمع الأناجيل الأربعة على أن يسوع مات قبل نهاية النهار، وتتحدث عن معجزات ترافقت مع حادثة الصلب حيث أظلمت السماء ثلاث ساعات من الساعة الثانية عشرة حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر ثم تزلزلت الأرض وظهر أموات صالحين لكثيرين.

بعد موت يسوع قام يوسف الرامي ـ رجل يهودي ثري من أعضاء السنهدريم آمن بالبشارة بحسب إنجيلي مرقس ولوقا ـ قام بطلب جسد يسوع من بيلاطس فأذن له بيلاطس بأن يأخذه فقام الرامي بإنزاله عن الصليب وبدفنه في قبر كان قد نحته لنفسه في بستانه وبحسب إنجيل يوحنا فإن نيقوديموس الفريسي وهو أحد أتباع يسوع كان قد ساعد الرامي بعملية الدفن، وكانت هناك أيضاً مجموعة من النسوة المؤمنات بيسوع تنظر أين دَفنوا الجسد «وتبِعتْهُ نِساءٌ كُنّ قدْ أتيْن معهُ مِن الْجلِيلِ، ونظرْن الْقبْر وكيْف وُضِع جسدُه. فرجعْن وأعْددْن حنُوطاً وأطْياباً. وفِي السّبْتِ اسْترحْن حسب الْوصِيّةِ»[2].

**2 ـ القيامة والصعود:**

بحسب الإنجيل فإن يسوع قد قام من الموت في اليوم الثالث لصلبه. ويخبرنا إنجيل متى عن ظهور ملاك قرب قبر يسوع وبلّغ خبر قيامته للنسوة الذين كن قد جئن إلى هناك ليُطيبن جسده بحسب العادة التي كانت جارية آنذاك، وبحسب إنجيل لوقا كان هناك ملاكين في القبر، أما إنجيل مرقس فيتحدث عن وجود شاب يرتدي لباساً أبيض. وفي إنجيل مرقس نجد أن مريم المجدلية كانت أول من ظهر له المسيح في صبيحة القيامة[3]، وفي إنجيل يوحنا نقرأ بأن مريم المجدلية نظرت إلى داخل القبر فرأت هناك ملاكين سألاها عن سبب بكاؤها، ثم التفتت خارجاً فرأت شخصاً تكلم إليها ولم تدرك أنه يسوع بنفسه حتى نطق باسمها[4].

---

(1) لوقا 23: 46.

(2) لوقا 23: 55 ـ 56.

(3) مرقس 16: 9.

(4) يوحنا 20: 11 ـ 18.

في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد نرى بأن يسوع قد ظهر لعدة أشخاص في عدة أماكن مختلفة خلال فترة أربعين يوماً بعد يوم قيامته، وكان قد ظهر بعد قيامته بساعات لاثنين من أتباعه بينما كانا مسافرين في الطريق صوب قرية عمواس، وظهر بعد ذلك على تلاميذه عندما كانوا مجتمعين في العليّة بدون توما، ومرة أخرى عندما كان توما معهم حيث أعطى يسوع هناك التطويبة الشهيرة للذين آمنوا ولم يروا[1].

وبينما كان يسوع قد توجه بتبشيره أثناء حياته لليهود بشكل خاص فقد أوصى تلاميذه بعد قيامته بنقل الأخبار السارة إلى كل العالم، فقد قال لهم أثناء صعوده إلى السماء بعد أربعين يوماً من قيامته «ستنالُون قُوّةً متى حلّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عليْكُمْ وتكُونُون لِي شُهُوداً فِي أُورُشلِيم وفِي كُلِّ الْيهُودِيّةِ والسّامِرةِ وإِلى أقْصى الأرْضِ»[2]، وبحسب أعمال الرسل فإن يسوع ظهر لاحقاً لبولس الرسول أثناء سفره إلى دمشق، وقد وعد يسوع بأنه سيأتي مرة أخرى ليتمم كل ما تبقى من نبوات عنه حول الأيام الأخيرة.

(1) يوحنا 20: 29.

(2) أعمال 1: 8.

# حقائق المسيح
# في القرآن والتوراة والإنجيل

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1]. في هذه الرسالة القصيرة ستجد بعض الحقائق الصريحة عن يسوع المسيح كما وردت في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل.

**الحقيقة الأولى: ولادة المسيح العذرية**

﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِياً. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِياً. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِياً. فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياً﴾[2].

**الحقيقة الثانية: حياة المسيح المنزهة عن الخطية**

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِياً﴾[3]. وكلمة زكيا تعني طاهراً بطبيعته من الذنوب والعيوب.

---

(1) آل عمران: 49 ـ 50.

(2) سورة مريم: 16 ـ 22.

(3) سورة مريم: 19.

وجاء في الإنجيل عن حياة المسيح المنزهة عن الخطية ما يلي: «الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر»[1]. «وتعلمون أن ذاك أظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية»[2].

ويخاطب المسيح الجموع قائلاً: «من منكم يبكتني على خطية»[3]. ولم يجسر أحد أن يوجه إليه إصبع اتهام. لم يولد قط إنسان أو نبي ولادة عذرية وبلا خطية سوى المسيح طبقاً لشهادة القرآن والتوراة والإنجيل.

* فآدم أخطأ: ﴿قَالا (آدم وحواء) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[4].

* وإبراهيم أبو المؤمنين أخطأ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[5].

* وموسى كليم الله أخطأ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[6].

* ويونس النبي أخطأ: ﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[7].

فيسوع المسيح هو الوحيد الذي ينفرد بين كافة البشر بأنه منزه عن الخطية، طبقاً لشهادة القرآن والتوراة والإنجيل.

يقول الملاك لمريم العذراء: «ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع». «فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»[8].

---

(1) 1 بطرس 2: 22.
(2) 1 يوحنا 3: 5.
(3) يوحنا 8: 46.
(4) سورة الأعراف: 23.
(5) سورة الشعراء: 82.
(6) سورة القصص: 16.
(7) سورة الصافات: 142 ـ 144.
(8) لوقا 1: 31 و34 ـ 35.

وكلمة «ابن الله» هي بنوية روحية لا علاقة لها بالزواج أو العلاقات الجسدية البشرية. فقولنا «ابن النيل» مثلاً يعني أنه يحمل صفات أهل النيل ويوجد نفسه معهم وأن هناك توافقاً وتماثلاً وتطابقاً بينه وبين أهل النيل. وهذا يصدق في قولنا، ابن البادية أو ابن الصحراء. وبنفس هذا القياس يقول الكتاب أن المسيح هو ابن الله.

**الحقيقة الثالثة: أعمال المسيح المعجزية**

﴿... وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

**الحقيقة الرابعة: قدرة المسيح على خلق المخلوقات الحية**

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ..﴾[2].

**الحقيقة الخامسة: تكلم في المهد صبياً**

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى﴾[3].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي المَهْدِ صَبِياً. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً. وَبَراً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً. وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وَلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَياً﴾[4].

من هذه الآيات أيضاً نلاحظ ثلاثة أيام مهمة في حياة المسيح: «يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً»، فأين هي هذه الأيام الثلاثة يا ترى؟

---

(1) سورة آل عمران: 49.

(2) سورة آل عمران: 49.

(3) المائدة: 110.

(4) سورة مريم: 29 ـ 33.

**الحقيقة السادسة: إن المسيح هو كلمة الله الحية**

﴿إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾[1]. وقد سمي المسيح كلمة الله لأن الكلمة هي وسيلة التعبير عن ذات الله.

**الحقيقة السابعة: كفارة المسيح لفداء البشرية**

إن الإنسان بطبيعته البشرية خاطئ ويحتاج إلى غفران الله. ثم أن الخطية لا تتفق مع طبيعة الله الذي قال: «النفس التي تخطئ هي تموت»[2]. «لكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»[3].

هذا هو السبب الرئيسي لولادة المسيح العذرية وحياته المنزهة عن الخطية وأعماله المعجزية وموته الكفاري لفداء البشرية.

إن المسيحيين والمسلمين واليهود يؤمنون بالفداء والتضحية، حين يحتفل المسلمون بعيد الأضحى واليهود بعيد الكفارة بتقديم ذبائح دموية للتكفير عن خطاياهم، والمسيحيون يؤمنون بموت المسيح (الذبح العظيم) للتكفير عن خطايا البشر. والسبب في ذلك هو أن الله كلي القداسة وأن الإنسان كلي النجاسة وهيهات أن تجتمع القداسة والنجاسة معاً. إن الله يأمر الإنسان بالإحسان وينهاه عن المنكر لكن الإنسان يجد نفسه ضعيفاً لا حول له ولا قوة فيعمل المنكر ويرتكب الشرور.

إن العدالة الإلهية تطالب الله بأن يقتص من الإنسان الذي عصى أمره وأنكر فضله ولكن محبته تطالبه بأن يغفر للإنسان الخاطئ ذنبه. والسؤال الذي يخطر على البال هو كيف يمكن لله عز وجل أن يوفق بين عدالته ومحبته. إنه لا يقدر على ذلك بأي شكل من الأشكال إلا في الصليب. فعلى الصليب استوفت العدالة الإلهية حقها في موت المسيح وظهرت محبة الله في أعلى معانيها «ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»[4].

---

(1) سورة آل عمران: 45.
(2) حزقيال 18: 20.
(3) رومية 5: 8.
(4) رومية 5: 8.

وهكذا صار المسيح الذبح العظيم: «هوذا حمل الله (الذي بلا عيب ولا دنس) الذي يرفع خطية العالم»[1].

هذا هو السبب الرئيسي لموت المسيح البار بديلاً عن الأثمة الفجار. وبهذه المشيئة تحققت وتمت كل الذبائح التي يقدمها المسلمون واليهود إذ حل المرموز إليه محل الرمز في «الذبح العظيم» حمل الله الكريم.

قال يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي»[2].

---

(1) يوحنا 1: 29.

(2) يوحنا 14: 6.

# الفصل الثاني

## ـ مواضيع الفصل:

* المعجزات في زمن الخلاص
* التلاميذ الأربعة

ـ الرسل الاثني عشر

ـ نبذة عن الرسل الاثنا عشر

ـ الجموع الكثيرة والسبعين تلميذ

# المعجزات في زمن الخلاص

إن موضوع المعجزات كما أسلفنا هو للمسيحيّ العائش في ذهنية متشربة بالعقلانية العلمية الموضوعية من أصعب المواضيع اللاهوتية والأشدها تعقيداً. ولكن، مهما كان هذا الموضوع صعباً ومعقداً، لا يجوز لنا أن نتجاهله. فالمعجزات تمثل إحدى ركائز الإيمان؛ والكتاب المقدس، في كلا العهدين القديم والجديد، يحتوي على روايات كثيرة للمعجزات، بحيث يشكل إهمالها إهمال جزء أساسي من الكتاب والمقدس. وفي هذه الفقرة المخصصة لدراسة المعجزات سيبين ما للمعجزات من أهمية كبرى في الكتاب المقدس.

ولكن، قبل الشروع في درس هذا الموضوع بالتفصيل، يجدر بنا أن نلقي نظرةً لاهوتيةً عامة على المعجزات، بعنوان «المعجزات في تاريخ الخلاص». سنقسِّم موضوعنا إلى خمس نقاط: المعجزات في الخلق، المعجزات في العهد القديم، المعجزات في حياة يسوع المسيح، المعجزات في حياة الكنيسة، المعجزات في نهاية الزمن. فتاريخ الخلاص يشمل علاقة الله بالإنسان منذ الخلق حتى نهاية الزمن. وهذه العلاقة تتسم بطابع المعجزة من بدء الزمن إلى نهايته.

### 1 ـ المعجزات في الخلق:

عندما نتكلم عن المعجزات، كثيراً ما نتصورها أعمالاً خارقةً يكسر بها الله نظام الطبيعة. فأن تشرق الشمس كل يومٍ، لا نرى في ذلك معجزة. أما أن تظلم الشمس ولا تعود تعطي ضوءها، فنعد ذلك معجزة. أن يشفى مريضٌ بالعلاج الطبي، لا نرى في ذلك معجزة، أما أن يشفى بكلمة من السيد المسيح أو من أحد أنبياء الله أو قديسيه، فنعد ذلك معجزة.

هذه النظرة ليست على جانب كاف من الدقة. فالكتاب المقدس يرى في المعجزة علامة تدخل الله، سواء كان ذلك في المجرى الطبيعي للأمور أم في كسر هذا المجرى والقيام بأعمال خارقة لنظام الطبيعة. لذلك فالخلق هو المعجزة الأولى التي صنعها الله. فالإيمان بالله الخالق هو الإيمان بأن الطبيعة لم تكونْ نفسها بنفسها، بل إن ثمة إلهاً تدخل بقدرته الفائقة الطبيعة ليخلقها. حتى وإن أخذنا بنظرية التطور، نؤكد كمؤمنين أن الله هو الذي تدخل ليعطي الطبيعة القدرة على التطور.

وهذا ما يقوله الله لأيوب: «إني سائلك فأخبرني: أين كنت حين أسست الأرض؟... هل وصلت إلى ينابيع البحر، أم جلت في أعماق الغمر؟... أين الطريق إلى مقر النور؟ والظلمة أين موضعها؟... هل وصلت إلى مخازن الثلج، أم عاينت مخازن البرد؟...»[1].

وبعد تعداد كل ما خلقه الله، يجيب أيوب: «قد علمت أنك قادرٌ على كل شيء، فلا يستحيل عليك مراد... إني قد أخبرت من غير أن أدرك بعجائب تفوقني ولا أعلم»[2].

كل ما صنعه الله في الخلق هو عجائب، لأنه يظهر أن «الله قادرٌ على كل شيء، ولا يستحيل عليه مراد». هذا ما نستخلصه من الخلق في تحديد المعجزات. فالمعجزة هي علامة وجود الله، وعلامة قدرته.

## 2 ـ المعجزات في العهد القديم:

هذا التحديد للمعجزة يتبين هو نفسه من خلال معجزات العهد القديم. فخروج بني إسرائيل من مصر على يد موسى وعبورهم البحر الأحمر، ثم إغراق جيش فرعون فيه[3]، هما المعجزة الكبرى في تاريخ شعب العهد القديم، وهذه المعجزة هي دليلٌ على وجود الله مع شعبه، وعلى «قدرته التي لا يستحيل عليها مراد». والله نفسه هو الذي قاد الشعب عبر الصحراء إلى أرض الميعاد، بمعجزات كثيرة: فحلى مياه مارة المرة[4]،

(1) أيوب 38: 3 ـ 4، 16، 19.
(2) أيوب 42: 2 ـ 3.
(3) خر 14.
(4) خر 15: 23 ـ 25.

وأنزل لهم المن من السماء ليأكلوا[1]، وأنبع لهم الماء من الصخرة ليشربوا[2]، وخلصهم من لذعات الحيات المميتة[3]، وحارب إلى جانبهم ونصرهم على جميع الملوك وفتح في وجههم أرض الميعاد.

هذه المعجزات الكثيرة يذكرها المزمور 136 الذي كان اليهود يرتلونه بنوعٍ خاص في احتفالهم السنوي بعيد الفصح، والذي يجمع بين معجزات الخلق ومعجزات مرافقة الله لشعبه:

«اعترفوا للرب، فإنه صالح، فإن إلى الأبد رحمته. هللويا.

صانع العجائب العظيمة وحده، فإن إلى الأبد...

الذي صنع السماوات بفطنة، فإن إلى الأبد...

الذي أسس الأرض على المياه، فإن إلى الأبد...

الذي صنع النيرات العظام، فإن إلى الأبد...

الذي ضرب مصر في أبكارها، فإن إلى الأبد...

الذي أخرج إسرائيل من بينهم، فإن إلى الأبد...

الذي قسم بحر القصب إلى قسمين، فإن إلى الأبد...

الذي سير شعبه في البرية، فإن إلى الأبد...

الذي ضرب ملوكاً عظماء، فإن إلى الأبد...

الذي أعطى أرضهم ميراثاً، فإن إلى الأبد...

الذي يرزق كل ذي بشرٍ خبزه، فإن إلى الأبد...

ولما استسلم ملوك إسرائيل لعبادة بعل، أرسل الله إلى شعبه من جديد نبياً عظيماً، هو النبي إيليا ومنحه موهبة صنع المعجزات، ليظهر استمرار وجوده إلى جانب شعبه.

---

(1) خر 16.

(2) خر 17.

(3) خر 21.

فكانت معجزة الدقيق والزيت[1]، ومعجزة إحياء ابن الأرملة[2]، ومعجزة إنزال نار من السماء على المحرقة، «ليعلم هذا الشعب أنك، أيها الرب، أنت الإله»[3]، ومعجزة إنزال المطر من السماء[4]، ومعجزة ارتفاع إيليا إلى السماء[5]؛ ثم عاد النبي أليشع، تلميذ النبي إيليا، وصنع هو أيضاً المعجزات. ففلق برداء إيليا مياه الأردن[6]، وحلى ماء النبع، وأخرج دبتين من الغاب لقتل إثنين وأربعين صبياً كانوا يهزأون به[7].

ويذكر أيضاً سفر دانيال معجزة إنقاذ دانيال من فم الأسود[8]. وسؤال الملك داريوس لدانيال يوضح معنى المعجزة: «هل استطاع إلهك الذي تواظب على عبادته أن ينقذك من الأسود؟»[9]. فالمعجزة هي دليلٌ على وجود الله إلى جانب الذين يؤمنون به».

وتوجز معنى المعجزات في العهد القديم الآية التالية: «أي إله عظيم مثل إلهنا؟ أنت الإله الصانع العجائب وحدك»[10]. فالمعجزة هي دليل عمله الدائم في تاريخ الخلاص.

### 3 ـ معجزات يسوع المسيح:

إن المعجزات التي أجراها الله في الخلق وفي العهد القديم قد بلغت اكتمالها في شخص يسوع المسيح وفي أعماله وفي قيامته. فتكوين طبيعة يسوع البشرية كانت معجزةً على مثال تكوين الإنسان الأول. فلدى الخلق الأول، يقول لنا سفر التكوين إن «روح الله كان يرفرف على وجه المياه»[11]. وفي الخلق الجديد، يقول الملاك لمريم

---

(1) 1 مل 17: 7 ـ 16.
(2) 1 مل 17: 17 ـ 24.
(3) 1 مل 18: 38.
(4) 1 مل 18: 41 ـ 46.
(5) 2 مل 2: 1 ـ 13.
(6) 2 مل 2: 14.
(7) 2 مل 2: 23 ـ 24.
(8) دانيال 6: 17 ـ 25.
(9) دانيال 6: 21.
(10) مز 77: 14 ـ 25.
(11) تك 1: 2.

العذراء الذي تسأله: «كيف يكون لي ولدٌ وأنا لا أعرف رجلاً؟» هو الروح القدس يحل عليك، وقدرة العلي تظللك؛ لذلك فالمولود منك قدوسٌ وابن العلي يدعى»[1].

ثم إن المعجزات الكثيرة التي صنعها يسوع في حياته كانت هي أيضاً الدليل على رسالته، وعلى حضور الله نفسه في شخصه. فلما أراد يوحنا المعمدان أن يتيقن من أن يسوع هو حقاً المسيح، أوفد إليه تلاميذه يقولون له: «أأنت الآتي، أم ننتظر آخر؟» فأجاب يسوع وقال لهم: «إذهبوا وبلغوا يوحنا ما تسمعون وما ترون: إن العمي يبصرون، والعرج يمشون باستواء، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يشك فيَّ»[2]. وفي هذه المعجزات يتحقق ما وعد به الأنبياء: فأن يبصر العمي ويطهر البرص، ويسمع الصم، وينهض الموتى ويبشر المساكين، تلك دلائل تنبأ بها أشعيا النبي عن مجيء المسيح، الذي يحل عليه روح الله،فيستطيع أن يقوم بأعمال الله[3]؛ راجع أيضاً خطاب يسوع في مجمع الناصرة[4]. وبعد أن روى يوحنا معجزة قانا الجليل، قال: «تلك كانت أولى آيات يسوع، صنعها في قانا الجليل وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه»[5].

لم تكن معجزات يسوع مجرد مشاهد خارقة تبهر الجموع. وقد رفض يسوع دوماً أن يعمل «آيات من المساء»[6]. فالمعجزات إنما هدفها أن تحمل على التأمل وتقود إلى الإيمان. ومن ناحيةٍ أخرى العيون والآذان المؤمنة وحدها تستطيع أن تفقه ما يحدث في عمل يسوع[7]. هكذا عجائبه هي آيات توضح إرادة الله في الخلاص والفداء، وعلاماتٌ بأن ملكوت الله قد بدأ. «إذا كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت الله»[8]. فإقامة الأموات تظهر إلى أعلى درجة قدرة الله التي كان أناس ذلك

(1) لو 1: 35.
(2) متى 11: 2 ـ 6.
(3) أش 35: 5 ـ 6.
(4) لوقا 4: 16 ـ 22.
(5) يوحنا 2: 11.
(6) مر 8: 11 ـ 13؛ لوقا 11: 29؛ يوحنا 6: 3.
(7) متى 11: 4 ـ 6؛ لوقا 10: 23 ـ 24.
(8) لوقا 11: 20؛ متى 12: 28.

الزمان يرون عملها أيضاً في شفاء المرضى. وتسكين العاصفة على بحيرة جنيسارت[1] هو أعجوبة خلاص تظهر قدرة العون الإلهي الحاضرة في شخص يسوع. وتكثير الخبزات، المزين بجملة زخارف، هو في الأساس أعجوبة عطاء، تضع نصب أعيننا وفرة صلاح الله، وتوزيع خيراته، اللذين تجليا في مسيرة إسرائيل في البرية، ويتجليان اليوم أيضاً من خلال مسيحه بمشاركة يسوع الطعام مع التلاميذ والشعب[2]. بذلك يتضح أن الله هو غالب المرض والألم والموت والشر. كما تتضح قدرة يسوع الإلهية وسيادته التي لم تزل محجوبةً في حياته على الأرض. ويتبين أنْ قد تجلى في يسوع «لطف الله ومحبته للبشر»[3].

وقيامة يسوع أيضاً كانت معجزةً. «فقد أقامه الله ساحقاً قيود الموت»[4]. ويصفها إنجيل متى كما توصف المعجزات الكبرى: «وإذا زلزالٌ شديدٌ قد حدث، لأن ملاك الرب قد نزل من السماء، وأتى ودحرج الحجر وجلس عليه»[5]. وعندما يطلب اليهود من يسوع «آيةً من السماء»، يقدم لهم «آية يونان، أي موته وقيامته»[6]. وهذه القيامة، على غرار الحبل به، قد تمت بقدرة الروح القدس. وهي الدليل على وجود الله، وعلى تدخله تدخلاً خلاصياً في تاريخ البشر.

### 4 ـ المعجزات في زمن الكنيسة:

لقد وعد يسوع تلاميذه بأنهم سيصنعون معجزات مثله، وأعظم من تلك التي صنعها: «الحق الحق أقول لكم إن من آمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أعملها، بل يعمل أعظم منها لأني منطلقٌ إلى الآب، وكل ما تسألونه باسمي أعمله لكي يتمجد الآب في الابن»[7]. ذلك أن ملكوت الله الذي بدأه يسوع يستمر على مدى

---

(1) مرقس 4: 35 ـ 41.
(2) مرقس 6: 34 ـ 44.
(3) تيطس 3: 4.
(4) أعمال 2: 24.
(5) متى 28: 2.
(6) متى 12: 38 ـ 40.
(7) يوحنا 14: 12 ـ 13.

الزمن. ولأن المسيح حي في السماء، يبقى اسمه فاعلاً على الأرض: «ها هي ذي الآيات التي تصحب الذين يؤمنون: إن هم شربوا سماً قاتلاً فلا يؤذيهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون»[1]. وهذا ما نقرأه في سفر أعمال الرسل. فعندما شفى بطرس الرسول مقعد الباب الجميل، قال له: «باسم يسوع المسيح الناصري، قم، وامش»[2]. كما يروي سفر أعمال الرسل خبر معجزة إحياء فتاة من قبل بطرس الرسول في يافا: «طابيثا، قومي!»[3]، على مثال إحياء يسوع ابنة يائير: «طليثا، قومي!»[4].

ومن جهة أخرى، فالروح القدس الذي كان يسوع يصنع المعجزات بقدرته، قد أرسله يسوع إلى التلاميذ، وسيبقى معهم إلى منتهى الدهر، هو الذي سيصنع أيضاً المعجزات بواسطتهم، كما يبين ذلك بولس الرسول إذ يذكر من بين مواهب الروح القدس موهبة صنع المعجزات، قائلاً: «فلقد وضع الله البعض في الكنيسة: أولاً رسلاً، وثانياً أنبياء، وثالثاً معلمين، ثم من أوتوا موهبة صنعِ العجائب، فمواهب الشفاء، فالإعانة، فالتدبير، فأنواع الألسنة. أيكون الجميع رسلاً؟ والجميع أنبياء؟ والجميع معلمين؟ والجميع صانعي عجائب؟ أتكون للجميع مواهب الشفاء؟ والجميع ينطقون بألسنة؟ والجميع يترجمون؟»[5].

يذكر تاريخ الكنيسة قديسين كثيرين أوتوا موهبة صنع المعجزات. وهناك قديسون كثيرون لم يصنعوا معجزات. فمواهب الروح القدس متنوعة، كما قال بولس الرسول، وبالتالي طرق القداسة أيضاً متنوعة. فإذا وضعنا جانباً ما تكدس على سير القديسين من زخرفات، لا يمكننا أن نرفض وجود موهبة صنع المعجزات في الكنيسة. ولقد وضعت السلطة الكنسية اليوم قواعد شديدة للتأكد من المعجزات، وهي وحدها مؤهلة لأن تقول بوجود معجزة ما في هذه الحالة أو تلك.

---

(1) مرقس 16: 17 ـ 18.
(2) أعمال 3: 6.
(3) أعمال 9: 40.
(4) مرقس 5: 41.
(5) 1 كو 13: 28 ـ 30.

## 5 ـ المعجزات في نهاية الزمن:

كما بدأ الخلق بعملٍ عجيبٍ من قبل قدرة الله، كذلك سينتهي بعمل عجيب من قبل قدرة الله الذي سيخلق أرضاً جديدةً وسماءً جديدة. ويصور الكتاب المقدس نهاية العالم في صور مرعبة كان لها باستمرار تأثيرٌ بالغٌ في مختلف الأزمنة: فالشمس والقمر يظلمان، والكواكب تتساقط من السماء، وأبنية العالم تنهار، والعناصر تنحل[1]، والإزائيين[2]. ويوضح القديس أوغسطينوس، بالإشارة إلى هذا القول: «الهيئة تزول، وليس الطبيعة». ولذلك فالكلمة الأخيرة في الكتاب المقدس ليست للقلق من الفناء، بل للرجاء بخلق جديد للعالم[3]. فالله أمينٌ تجاه خليقته.

إن مجد الله الذي ظهر في الخلق وتاريخ الخلاص سيظهر ظهوراً نهائياً من خلال الأرض الجديدة والسماء الجديدة التي سيخلقهما. لذلك ينتهي سفر الرؤيا على وصف آخر معجزة يظهر فيها مجد الله وقدرته الخلاقة: «ورأيت المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلةً من السماء، من عند الله، مهيأة كعروس مزينةً لعريسها. وسمعت صوتاً جهيراً من العرش، يقول: هوذا مسكن الله مع الناس؛ سيسكن معهم، ويكونون له شعباً، وهو الله معهم يكون إلههم؛ ويمسح كل دمعة من عيونهم؛ ولا يكون بعد موتٌ، ولا نوحٌ ولا نحيبٌ، لأن الأوضاع الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها إني أجعل كل شيء جديداً»[4].

في النهاية، إن ما يرويه الكتاب المقدس في كلا العهدين القديم والجديد، يطرح علينا اليوم مشكلات كثيرة. لا بد أولاً من القول إن المفهوم السائد لدينا للأعجوبة، والمرسوم بما نعرفه من علوم الطبيعة، الذي يتساءل عن إمكانية خرق نواميس الطبيعة، هو غريبٌ عن الكتاب المقدس. فنظرة الكتاب المقدس هي نظرة إيمان بالله، الذي هو خالق العالم وسيد التاريخ، والذي هو «عجيبٌ» في كل ما يصنعه، ولكنه يستطيع أن يعلن قدرته في أعمال خارقة. أما كيف تحدث تلك الأعمال، وما هي علاقتها بالعلل

---

(1) مر 13: 24 ـ 25.

(2) 2 بطرس 3: 10.

(3) متى 19: 28؛ رؤ 3: 21.

(4) رؤيا 21: 2 ـ 5.

والقوى الطبيعية، التي يمكن أن يستخدمها الله،فالكتاب المقدس لا يفكر في هذه الأمور، بحيث يبدو لنا تصوره منافياً للعقل وساذجاً.

ويضاف إلى ذلك مشكلاتٌ تاريخية. فالمعجزات في الكتاب المقدس تروى بحسب الطرق الروائية المعهودة في ذلك العصر. وهكذا تتكدس فوق هذه التصورات الكلي طبقات، تجعل فهمها عسيراً علينا: فهناك تفكيرٌ غريبٌ عنا، له علاقةٌ بالطبيعة مختلفةٌ عن علاقتنا بها نحن اليوم، وهناك مفهومٌ آخر للروايات «التاريخية»، وطريقة تصور أخرى لا تبرز واقع الأحداث بقدر ما تبرز نماذج عنها.

على الرغم من هذه الصعوبات، لا يجسر أي نقد تاريخي، وإن متشدداً، أن يشك في أن أحداثاً خارقةً يصعب تفسيرها، ولا سيما أشفية، قد جرت على يد يسوع. فغالباً ما تنطوي روايات الأشفية على معلومات دقيقة عن الأشخاص المعنيين مع الأسماء والظروف. فسعي الإنسان إلى يسوع، وصيت يسوع الذي ينتشر، وعجز مقاوميه الذين لا يستطيعون أن ينكروا أعماله، وتقليد روايات المعجزات الذي قام حالاً بعد الفصح والذي يعود إلى زمن كان الذين عاينوا وسمعوا يسوع لا يزالون فيه على قيد الحياة: كل هذا لا يمكن تفسيره تفسيراً آخر.

علم الطبيعة الحديث، في نظرته إلى الواقع، يقتصر عن قصد منه على ما في داخل العالم، ويترك جانباً مسألة الله. هذا له ما يبرره بالنظر إلى الشروط المنهجية التي ترتكز عليها علوم الطبيعة. ولكن مشاهدة العالم من وجهة نظر نواميس الطبيعة هي إحدى الطرق، ولكنها ليست الطريقة الوحيدة لفهم الواقع. أما أن تعتبر هذه النظرة مطلقة، فهذا ما لا يمكن الإيمان أن يرضى به. الإيمان الحي بالله خالق السماء والأرض يفقد مضمونه، إن لم يحسبْ أي حساب لإمكانية وحقيقة تدخل الله على نحو خارق في الزمن والتاريخ. ومثل هذا الإيمان لا جدوى منه»[1].

من هنا نستنتج ما يلي:

1 ـ الإيمان بالمعجزات في الكتاب المقدس لا يمكن فصله عن الإيمان بقدرة الله،وبأن الله قد أجرى المعجزات في الخلق وفي التاريخ بواسطة أنبيائه وبواسطة

---

(1) «التعليم المسيحي للبالغين»، أساقفة ألمانيا، سنة 1985، ص 154 ـ 155.

السيد المسيح، وأنه لا يزال يعمل اليوم بواسطة السيد المسيح الحي والحاضر معنا من خلال روحه القدوس. فمن يؤمن بالله لا يمكنه إلا أن يؤمن بإمكانية المعجزات على يد السيد المسيح، وعلى يد أنبياء الله وقديسيه.

2 ـ المعجزة لا يمكن أن يقبلها إلا المؤمن، والمؤمن الحقيقي، أي الإنسان المنفتح على الله. لا يمكن القول إن المعجزة هي وحدها السبيل الذي يقود إلى الإيمان. فهناك حركةٌ ديالكتية بين الإيمان والمعجزة. فالمعجزة تفترض الإيمان إيماناً أولياً، أي انفتاحاً على وجود الله وعلى عمله في التاريخ. فالملحد المتحجر والمنغلق على نفسه لا يمكنه أن يرى في المعجزة أي علامة لوجود الله ولعمله في التاريخ. أما الملحد المنفتح على المطلق فيمكن أن يرى تلك العلامة الإلهية، ويصل بواسطة المعجزة إلى الإيمان؛ وكذلك المؤمن يمكن أن تقوي المعجزة إيمانه.

3 ـ المعجزة تتوجه إلى حرية الإنسان. فالفريسيون وتلاميذهم رأوا المعجزات التي صنعها يسوع، ولكنهم لم يؤمنوا، كما آمن تلاميذ يسوع. لماذا؟ لأن التمسك بحرفية الناموس كان قد أعمى عيونهم، لذلك لم يستطيعوا أن يروا عمل الله في يسوع المسيح. لقد صار الناموس لديهم حاجزاً يمنعهم من الاتصال الشخصي الحر بالله. بقي يسوع يصنع أمامهم المعجزات مدة ثلاث سنوات، ومع ذلك جاؤوا إليه «يطلبون منه آية من السماء». المعجزات التي صنعها كانت أعمالاً تتوجه إلى حريتهم، وإلى علاقتهم الشخصية مع الله. أما هم فطلبوا «آية من السماء»، أي عملاً خارقاً يزيل الحرية، ويرغمهم على القبول. وإلغاء الحرية هو بالفعل عينه إلغاء الإيمان، لأن الإيمان مبني على الحرية. عندما نرى الشمس مشرقة، نحن مرغمون على القول: الشمس مشرقة؛ لا حرية لنا في ذلك. أما عندما نرى معجزةً، سواء كانت الكون كله، أو عملاً عجيباً فيه، نستطيع أن نقول: إن الكون كون نفسه بنفسه، أو أن نقول: هناك كائنٌ مطلقٌ قد كونه، وهو الله، ونحن نؤمن بالله وندخل في علاقة معه. وعن المعجزة يمكن أن نقول، كما قال الفريسيون: إنه ببعل زبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين؛ أو أن نؤمن بأن يسوع يخرج الشياطين بقدرة الله، كما قال هو نفسه: «إذا كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت الله»[1]، ونؤمن بيسوع وندخل به ومعه هذا

(1) لوقا 11: 20.

الملكوت الإلهي. وإذا كنا نؤمن بأن المسيح حي في مجد الله وحاضرٌ معنا على الأرض بروحه القدوس، لا بد لنا من أن نؤمن أيضاً بأنه يستطيع أن يصنع اليوم أيضاً المعجزات بواسطة قديسيه الذين يمنحهم على الأرض موهبة صنع العجائب. فالمعجزة تتوجه إلى حرية الإنسان، وتدعوه إلى الدخول في علاقة إيمان مع الله.

4 ـ في قراءة روايات المعجزات التي يتضمنها الكتاب المقدس، يجب الجمع بين الإيمان بقدرة الله العجيبة القادرة على صنع المعجزات والفكر الناقد الذي يعرف أن يميز بين مضمون الرواية والأسلوب الذي وردت فيه. وهنا تكمن الصعوبة الحقيقية التي لا بد من الإقرار بها، والتي لا يزال مفسرو الكتاب المقدس يعالجونها، وقد اختلفوا فيها اختلافاً شديداً. فمنهم من يبقى، في تفسيره، قريباً من حرف الرواية، ومنهم من يميل بشدة إلى الرمزية، فيبتعد عن حرف النص إلى حد أنه لا يبقي شيئاً من الحدث التاريخي. هل من سبيل للتوفيق بين هذين الموقفين المتطرقين؟

ويتحدث إنجيل يوحنا عن مرور ثلاثة أعياد يهودية مختلفة خلال حياة يسوع التبشيرية، فنستدل من هذا بأن الفترة العلنية التي كرز فيها يسوع كانت قرابة الثلاثة أعوام، هذا مع العلم بأن بعض التفسيرات للأناجيل المتوازية «أناجيل متى ومرقس ولوقا» تقترح بأن فترة خدمة يسوع كانت سنة واحدة فقط. كان كل التركيز أثناء حياة يسوع التبشيرية موجه نحو أقرب الموالين له وهم رسل المسيح الإثنا عشر (التلاميذ الاثني عشر)، ولذلك دُعي العديد من أتباعه «تلاميذ المسيح». لقد دفع يسوع العديدين للإيمان بأن الحجاب سوف يُرفع عن الأسرار التي تعج بها الكتب القديمة وبأن نهاية العالم الزائل سوف تأتي بشكل غير متوقع، لذلك كان يطلب من أتباعه أن يكونوا دائماً يقظين وممتلئين بالإيمان.

وفي قمة عطائه جذب يسوع الآلاف للإصغاء إليه، خصوصاً سكان منطقتي الجليل وحوض الأردن، ومن أشهر تعاليمه تلك الوصايا التي لقنها للجموع أثناء موعظته الشهيرة على الجبل، والتي تضمنت «التطويبات» وجاء فيها: «طُوبى لِلْمساكِينِ بِالرُّوحِ لأنّ لهُمْ ملكُوت السّماواتِ. طُوبى لِلْحزانى لأنّهُمْ يتعزّوْن. طُوبى لِلْوُدعاءِ لأنّهُمْ يرِثُون الأرْض. طُوبى لِلْجِياعِ والْعِطاشِ إلى الْبِرِّ لأنّهُمْ يُشْبعُون. طُوبى لِلرُّحماءِ لأنّهُمْ يُرْحمُون. طُوبى لِأنْقِياءِ الْقلْبِ لأنّهُمْ يُعايِنُون اللّه. طُوبى لِصانِعِي السّلامِ لأنّهُمْ أبْناء اللّهِ يُدْعوْن. طُوبى لِلْمطْرُودِين مِنْ أجْلِ الْبِرِّ لأنّ لهُمْ ملكُوت السّماواتِ. طُوبى لكُمْ إذا

عيّرُوكُمْ وطردُوكُمْ وقالُوا عليْكُمْ كُلّ كلِمةٍ شِرِّيرةٍ مِنْ أجْلِي كاذِبِين. اَفْرحُوا وتهلّلُوا لأنّ أجْركُمْ عظِيمٌ فِي السّماواتِ فإِنّهُمْ هكذا طردُوا الأنْبِياء الّذِين قبْلكُمْ»(1).

وفي هذه الموعظة أيضاً أعطى يسوع تعاليمه للتلاميذ والجموع المؤمنة، وكانت هذه التعاليم بمثابة دستور للتلاميذ وللكنيسة فيما بعد حيث قال: «أنْتُمْ مِلْحُ الأرْضِ ولكِنْ إنْ فسد الْمِلْحُ فبِماذا يُملّحُ؟ لا يصْلُحُ بعْدُ لِشيْءٍ إلاّ لأنْ يُطْرح خارِجاً ويُداس مِن النّاسِ».

«أنْتُمْ نُورُ الْعالمِ. لا يُمْكِنُ أنْ تُخْفى مدِينةٌ موْضُوعةٌ على جبلٍ ولا يُوقِدُون سِراجاً ويضعُونهُ تحْت الْمِكْيالِ بلْ على الْمنارةِ فيُضِيءُ لِجمِيعِ الّذِين فِي الْبيْتِ. فلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكذا قُدّام النّاسِ لِكيْ يروْا أعْمالكُمُ الْحسنة ويُمجِّدُوا أباكُمُ الّذِي فِي السّماواتِ».

«لا تظُنُّوا أنِّي جِئْتُ لأنْقُض النّامُوس أوِ الأنْبِياء. ما جِئْتُ لأنْقُض بلْ لِأُكمِّل. فإِنِّي الْحقّ أقُولُ لكُمْ: إلى أنْ تزُول السّماءُ والأرْضُ لا يزُولُ حرْفٌ واحِدٌ أوْ نُقْطةٌ واحِدةٌ مِن النّامُوسِ حتّى يكُون الْكُلُّ. فمنْ نقض إحْدى هذِهِ الْوصايا الصُّغْرى وعلّم النّاس هكذا يُدْعى أصْغر فِي ملكُوتِ السّماواتِ. وأمّا منْ عمِل وعلّم فهذا يُدْعى عظِيماً فِي ملكُوتِ السّماواتِ. فإِنِّي أقُولُ لكُمْ: إنّكُمْ إنْ لمْ يزِدْ بِرُّكُمْ على الْكتبةِ والْفرِّيسِيِّين لنْ تدْخُلُوا ملكُوت السّماواتِ».

«قدْ سمِعْتُمْ أنّهُ قِيل لِلْقُدماءِ: لا تقْتُلْ ومنْ قتل يكُونُ مُسْتوْجِب الْحُكْمِ. وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: إنّ كُلّ منْ يغْضبُ على أخِيهِ باطِلاً يكُونُ مُسْتوْجِب الْحُكْمِ ومنْ قال لأخِيهِ: رقا يكُونُ مُسْتوْجِب الْمجْمعِ ومنْ قال: يا أحْمقُ يكُونُ مُسْتوْجِب نارِ جهنّم. فإِنْ قدّمْت قُرْبانك إلى الْمذْبحِ وهُناك تذكّرْت أنّ لأخِيك شيْئاً عليْك فاتْرُكْ هُناك قُرْبانك قُدّام الْمذْبحِ واذْهبْ أوّلاً اصْطلِحْ مع أخِيك وحِينئِذٍ تعال وقدِّمْ قُرْبانك».

كُنْ مُراضِياً لِخصْمِك سرِيعاً ما دُمْت معهُ فِي الطّرِيقِ لِئلّا يُسلِّمك الْخصْمُ إلى الْقاضِي ويُسلِّمك الْقاضِي إلى الشُّرطِيِّ فتُلْقى فِي السِّجْنِ. الْحقّ أقُولُ لك: لا تخْرُجُ مِنْ هُناك حتّى تُوفِي الْفلْس الأخِير! قدْ سمِعْتُمْ أنّهُ قِيل لِلْقُدماءِ: لا تزْنِ. وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: إنّ كُلّ منْ ينْظُرُ إلى امْرأةٍ لِيشْتهِيها فقدْ زنى بِها فِي قلْبِهِ. فإِنْ كانتْ

(1) متى 5: 3 ـ 12.

عيْنُك الْيُمْنى تُعْثِرُك فاقْلعْها وأَلْقِها عنْك لأنّهُ خيْرٌ لك أنْ يهْلِك أحدُ أعْضائِك ولا يُلْقى جسدُك كُلُّهُ فِي جهنّم. وإنْ كانتْ يدُك الْيُمْنى تُعْثِرُك فاقْطعْها وأَلْقِها عنْك لأنّهُ خيْرٌ لك أنْ يهْلِك أحدُ أعْضائِك ولا يُلْقى جسدُك كُلُّهُ فِي جهنّم. وقِيل: منْ طلّق امْرأتهُ فلْيُعْطِها كِتاب طلاقٍ وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: إنّ منْ طلّق امْرأتهُ إلاّ لِعِلّةِ الزّنى يجْعلُها تزْنِي ومنْ يتزوّجُ مُطلّقةً فإنّهُ يزْنِي. أيْضاً سمِعْتُمْ أنّهُ قِيل لِلْقُدماءِ: لا تحْنثْ بلْ أوْفِ لِلرّبِّ أقْسامك. وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: لا تحْلِفُوا الْبتّة لا بِالسّماءِ لأنّها كُرْسِيُّ اللّهِ ولا بِالأرْضِ لأنّها موْطِئُ قدميْهِ ولا بِأُورُشلِيم لأنّها مدِينةُ الْملِكِ الْعظِيم. ولا نحْلِفْ بِرأْسِك لأنّك لا تقْدِرُ أنْ تجْعل شعْرةً واحِدةً بيْضاء أوْ سوْداء. بلْ لِيكُنْ كلامُكُمْ: نعمْ نعمْ لا لا. وما زاد على ذلِك فهُو مِن الشِّرِّيرِ. سمِعْتُمْ أنّهُ قِيل: عيْنٌ بِعيْنٍ وسِنٌّ بِسِنٍّ. وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: لا تُقاوِمُوا الشّرّ بلْ منْ لطمك على خدِّك الأيْمنِ فحوِّلْ لهُ الآخر أيْضاً. ومنْ أراد أنْ يُخاصِمك ويأْخُذ ثوْبك فاتْرُكْ لهُ الرِّداء أيْضاً. ومنْ سخّرك مِيلاً واحِداً فاذْهبْ معهُ اثْنيْنِ. منْ سألك فأعْطِهِ ومنْ أراد أنْ يقْترِض مِنْك فلا تردّهُ. سمِعْتُمْ أنّهُ قِيل: تُحِبُّ قرِيبك وتُبْغِضُ عدُوّك. وأمّا أنا فأقُولُ لكُمْ: أحِبُّوا أعْداءكُمْ. بارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُمْ وصلُّوا لأجْلِ الّذِين يُسِيئُون إليْكُمْ ويطْرُدُونكُمْ لِكيْ تكُونُوا أبْناء أبِيكُمُ الّذِي فِي السّماواتِ فإنّهُ يُشْرِقُ شمْسهُ على الأشْرارِ والصّالِحِين ويُمْطِرُ على الأبْرارِ والظّالِمِين. لأنّهُ إنْ أحْببْتُمُ الّذِين يُحِبُّونكُمْ فأيُّ أجْرٍ لكُمْ؟ أليْس الْعشّارُون أيْضاً يفْعلُون ذلِك؟ وإنْ سلّمْتُمْ على إخْوتِكُمْ فقطْ فأيّ فضْلٍ تصْنعُون؟ أليْس الْعشّارُون أيْضاً يفْعلُون هكذا؟ فكُونُوا أنْتُمْ كامِلِين كما أنّ أباكُمُ الّذِي فِي السّماواتِ هُو كامِلٌ»[1].

«اْحترِزُوا مِنْ أنْ تصْنعُوا صدقتكُمْ قُدّام النّاسِ لِكيْ ينْظُرُوكُمْ وإلّا فليْس لكُمْ أجْرٌ عِنْد أبِيكُمُ الّذِي فِي السّماواتِ. فمتى صنعْت صدقةً فلا تُصوِّتْ قُدّامك بِالْبُوقِ كما يفْعلُ الْمُراؤُون فِي الْمجامِعِ وفِي الأزِقّةِ لِكيْ يُمجّدُوا مِن النّاسِ. الْحقّ أقُولُ لكُمْ: إنّهُمْ قدِ اسْتوْفوْا أجْرهُمْ! وأمّا أنْت فمتى صنعْت صدقةً فلا تُعرِّفْ شِمالك ما تفْعلُ يمِينُك لِكيْ تكُون صدقتُك فِي الْخفاءِ. فأبُوك الّذِي يرى فِي الْخفاءِ هُو يُجازِيك علانِيةً»[2].

(1) متى 5: 13 ـ 48.

(2) متى 6: 1 ـ 4.

«لا تدِينُوا لِكيْ لا تُدانُوا لأنّكُمْ بِالدّيْنُونةِ الّتِي بِها تدِينُون تُدانُون وبِالْكيْلِ الّذِي بِهِ تكِيلُون يُكالُ لكُمْ. ولِماذا تنْظُرُ الْقذى الّذِي فِي عيْنِ أخِيك وأمّا الْخشبةُ الّتِي فِي عيْنِك فلا تفْطنُ لها؟ أمْ كيْف تقُولُ لأخِيك: دعْنِي أُخْرِجِ الْقذى مِنْ عيْنِك وها الْخشبةُ فِي عيْنِك. يا مُرائِي أخْرِجْ أوّلاً الْخشبة مِنْ عيْنِك وحِينئِذٍ تُبْصِرُ جيِّداً أنْ تُخْرِج الْقذى مِنْ عيْنِ أخِيك! لا تُعْطُوا الْمُقدّس لِلْكِلابِ ولا تطْرحُوا دُرركُمْ قُدّام الْخنازِيرِ لِئلّا تدُوسها بِأرْجُلِها وتلْتفِت فتُمزِّقكُمْ».

«اسْألُوا تُعْطوْا. اطْلُبُوا تجِدُوا. اقْرعُوا يُفْتحْ لكُمْ. لأنّ كُلّ منْ يسْألُ يأْخُذُ ومنْ يطْلُبُ يجِدُ ومنْ يقْرعُ يُفْتحُ لهُ. أمْ أيُّ إِنْسانٍ مِنْكُمْ إِذا سألهُ ابْنُهُ خُبْزاً يُعْطِيهِ حجراً؟ وإِنْ سألهُ سمكةً يُعْطِيهِ حيّةً؟ فإِنْ كُنْتُمْ وأنْتُمْ أشْرارٌ تعْرِفُون أنْ تُعْطُوا أوْلادكُمْ عطايا جيِّدةً فكمْ بِالْحرِيِّ أبُوكُمُ الّذِي فِي السّماواتِ يهبُ خيْراتٍ لِلّذِين يسْألُونهُ. فكُلُّ ما تُرِيدُون أنْ يفْعل النّاسُ بِكُمُ افْعلُوا هكذا أنْتُمْ أيْضاً بِهِمْ لأنّ هذا هُو النّامُوسُ والأنْبِياءُ».

«ادْخُلُوا مِن الْبابِ الضّيِّقِ لأنّهُ واسِعٌ الْبابُ ورحْبٌ الطّرِيقُ الّذِي يُؤدِّي إِلى الْهلاكِ وكثِيرُون هُمُ الّذِين يدْخُلُون مِنْهُ! ما أضْيق الْباب وأكْرب الطّرِيق الّذِي يُؤدِّي إِلى الْحياةِ وقلِيلُون هُمُ الّذِين يجِدُونهُ!».

«احْترِزُوا مِن الأنْبِياءِ الْكذبةِ الّذِين يأْتُونكُمْ بِثِيابِ الْحُمْلانِ ولكِنّهُمْ مِنْ داخِلٍ ذِئابٌ خاطِفةٌ! مِنْ ثِمارِهِمْ تعْرِفُونهُمْ. هلْ يجْتنُون مِن الشّوْكِ عِنباً أوْ مِن الْحسكِ تِيناً؟ هكذا كُلُّ شجرةٍ جيِّدةٍ تصْنعُ أثْماراً جيِّدةً وأمّا الشّجرةُ الرّدِيّةُ فتصْنعُ أثْماراً ردِيّةً لا تقْدِرُ شجرةٌ جيِّدةٌ أنْ تصْنع أثْماراً ردِيّةً ولا شجرةٌ ردِيّةٌ أنْ تصْنع أثْماراً جيِّدةً. كُلُّ شجرةٍ لا تصْنعُ ثمراً جيِّداً تُقْطعُ وتُلْقى فِي النّارِ. فإِذاً مِنْ ثِمارِهِمْ تعْرِفُونهُمْ».

«ليْس كُلُّ منْ يقُولُ لِي: يا ربُّ يا ربُّ يدْخُلُ ملكُوت السّماواتِ. بلِ الّذِي يفْعلُ إِرادة أبِي الّذِي فِي السّماواتِ. كثِيرُون سيقُولُون لِي فِي ذلِك الْيوْمِ: يا ربُّ يا ربُّ أليْس بِاسْمِك تنبّأْنا وبِاسْمِك أخْرجْنا شياطِين وبِاسْمِك صنعْنا قُوّاتٍ كثِيرةً؟ فحِينئِذٍ أُصرِّحُ لهُمْ: إِنِّي لمْ أعْرِفْكُمْ قطُّ! اذْهبُوا عنِّي يا فاعِلِي الإِثْمِ!».

«فكُلُّ منْ يسْمعُ أقْوالِي هذِهِ ويعْملُ بِها أُشبِّهُهُ بِرجُلٍ عاقِلٍ بنى بيْتهُ على الصّخْرِ. فنزل الْمطرُ وجاءتِ الأنْهارُ وهبّتِ الرِّياحُ ووقعتْ على ذلِك الْبيْتِ فلمْ يسْقُطْ لأنّهُ كان مُؤسّساً على الصّخْرِ. وكُلُّ منْ يسْمعُ أقْوالِي هذِهِ ولا يعْملُ بِها يُشبّهُ بِرجُلٍ جاهِلٍ بنى

بيْتهُ على الرّمْلِ. فنزل الْمطرُ وجاءتِ الأنهارُ وهبّتِ الرّياحُ وصدمتْ ذلِك الْبيْت فسقط وكان سُقُوطُهُ عظِيماً!»[1].

وكذلك في هذه الموعظة علّم يسوع الجموع بما يعرف اليوم في الكنيسة بال«الصلاة الربية»، وهي على الشكل التالي كما جاءت في إنجيل متى الرسول: «ومتى صلّيْت فلا تكُنْ كالْمُرائِين فإنّهُمْ يُحِبُّون أنْ يُصلُّوا قائِمِين فِي الْمجامِعِ وفِي زوايا الشّوارِعِ لِكيْ يظْهرُوا لِلنّاسِ. الْحقّ أقُولُ لكُمْ: إنّهُمْ قدِ اسْتوْفوْا أجْرهُمْ! وأمّا أنْت فمتى صلّيْت فادْخُلْ إلى مِخْدعِك وأغْلِقْ بابك وصلِّ إلى أبِيك الّذِي فِي الْخفاءِ. فأبُوك الّذِي يرى فِي الْخفاءِ يُجازِيك علانِيةً. وحِينما تُصلُّون لا تُكرِّرُوا الْكلام باطِلاً كالأُممِ فإنّهُمْ يظُنُّون أنّهُ بِكثْرةِ كلامِهِمْ يُسْتجابُ لهُمْ. فلا تتشبّهُوا بِهِمْ. لأنّ أباكُمْ يعْلمُ ما تحْتاجُون إليْهِ قبْل أنْ تسْألُوهُ».

«فصلُّوا أنْتُمْ هكذا: أبانا الّذِي فِي السّماواتِ لِيتقدّسِ اسْمُك. لِيأْتِ ملكُوتُك. لِتكُنْ مشِيئتُك كما فِي السّماءِ كذلِك على الأرْضِ. خُبْزنا كفافنا أعْطِنا الْيوْم. واغْفِرْ لنا ذُنُوبنا كما نغْفِرُ نحْنُ أيْضاً لِلْمُذْنِبِين إليْنا. ولا تُدْخِلْنا فِي تجْرِبةٍ لكِنْ نجِّنا مِن الشِّرِّيرِ. لأنّ لك الْمُلْك والْقُوّة والْمجْد إلى الأبدِ. آمِين».

«فإنّهُ إنْ غفرْتُمْ لِلنّاسِ زلّاتِهِمْ يغْفِرْ لكُمْ أيْضاً أبُوكُمُ السّماوِيُّ. وإنْ لمْ تغْفِرُوا لِلنّاسِ زلّاتِهِمْ لا يغْفِرْ لكُمْ أبُوكُمْ أيْضاً زلّاتِكُمْ»[2].

وعن ممارسة الصوم قال يسوع: «ومتى صُمْتُمْ فلا تكُونُوا عابِسِين كالْمُرائِين فإنّهُمْ يُغيِّرُون وُجُوههُمْ لِكيْ يظْهرُوا لِلنّاسِ صائِمِين. الْحقّ أقُولُ لكُمْ: إنّهُمْ قدِ اسْتوْفوْا أجْرهُمْ. وأمّا أنْت فمتى صُمْت فادْهُنْ رأْسك واغْسِلْ وجْهك لِكيْ لا تظْهر لِلنّاسِ صائِماً بلْ لأبِيك الّذِي فِي الْخفاءِ. فأبُوك الّذِي يرى فِي الْخفاءِ يُجازِيك علانِيةً»[3].

وعن المال والهموم المعيشية اليومية قال يسوع: «لا تكْنِزُوا لكُمْ كُنُوزاً على الأرْضِ حيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ والصّدأُ وحيْثُ ينْقُبُ السّارِقُون ويسْرِقُون. بلِ اكْنِزُوا لكُمْ كُنُوزاً فِي السّماءِ حيْثُ لا يُفْسِدُ سُوسٌ ولا صدأٌ وحيْثُ لا ينْقُبُ سارِقُون ولا يسْرِقُون

(1) متى 7: 1 ـ 27.
(2) متى 6: 5 ـ 15.
(3) متى 6: 16 ـ 18.

لأنّهُ حيْثُ يكُونُ كنزُك هُناك يكُونُ قلْبُك أيْضاً. سِراجُ الْجسدِ هُو الْعيْنُ فإنْ كانتْ عيْنُك بسِيطةً فجسدُك كُلُّهُ يكُونُ نيّراً وإنْ كانتْ عيْنُك شِرّيرةً فجسدُك كُلُّهُ يكُونُ مُظْلِماً فإنْ كان النُّورُ الّذِي فِيك ظلاماً فالظّلامُ كمْ يكُونُ!».

«لا يقْدِرُ أحدٌ أنْ يخْدِم سيِّديْنِ لأنّهُ إمّا أنْ يُبْغِض الْواحِد ويُحِبّ الآخر أوْ يُلازِم الْواحِد ويحْتقِر الآخر. لا تقْدِرُون أنْ تخْدِمُوا اللّه والْمال. لِذلِك أقُولُ لكُمْ: لا تهْتمُّوا لِحياتِكُمْ بِما تأْكُلُون وبِما تشْربُون ولا لأجْسادِكُمْ بِما تلْبسُون. أليْستِ الْحياةُ أفْضل مِن الطّعامِ والْجسدُ أفْضل مِن اللِّباسِ؟ أنْظُرُوا إلى طُيُورِ السّماءِ: إنّها لا تزْرعُ ولا تحْصُدُ ولا تجْمعُ إلى مخازِن وأبُوكُمُ السّماوِيُّ يقُوتُها. ألسْتُمْ أنْتُمْ بِالْحرِيِّ أفْضل مِنْها؟ ومنْ مِنْكُمْ إذا اهْتمّ يقْدِرُ أنْ يزِيد على قامتِهِ ذِراعاً واحِدةً؟ ولِماذا تهْتمُّون بِاللِّباسِ؟ تأمّلُوا زنابِق الْحقْلِ كيْف تنْمُو! لا تتْعبُ ولا تغْزِلُ. ولكِنْ أقُولُ لكُمْ إنّهُ ولا سُليْمانُ فِي كُلِّ مجْدِهِ كان يلْبسُ كواحِدةٍ مِنْها. فإنْ كان عُشْبُ الْحقْلِ الّذِي يُوجدُ الْيوْم ويُطْرحُ غداً فِي التّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللّهُ هكذا أفليْس بِالْحرِيِّ جِدّاً يُلْبِسُكُمْ أنْتُمْ يا قلِيلِي الإيمانِ؟ فلا تهْتمُّوا قائِلِين: ماذا نأْكُلُ أوْ ماذا نشْربُ أوْ ماذا نلْبسُ؟ فإنّ هذِهِ كُلّها تطْلُبُها الأُممُ. لأنّ أباكُمُ السّماوِيّ يعْلمُ أنّكُمْ تحْتاجُون إلى هذِهِ كُلِّها. لكِنِ اطْلُبُوا أوّلاً ملكُوت اللّهِ وبِرّهُ وهذِهِ كُلُّها تُزادُ لكُمْ. فلا تهْتمُّوا لِلْغدِ لأنّ الْغد يهْتمُّ بِما لِنفْسِهِ. يكْفِي اليوْم شرُّهُ»[1].

عند انتهاء الموعظة نزل يسوع من الجبل، حيث يقول إنجيل متى بأنه «لمّا أكْمل يسُوعُ هذِهِ الأقْوال بُهِتتِ الْجُمُوعُ مِنْ تعْلِيمِهِ، لأنّهُ كان يُعلِّمُهُمْ كمنْ لهُ سُلْطانٌ وليْس كالْكتبةِ»[2].

وكان يسوع معتاداً على تعليم الناس بواسطة استخدام الأمثال كمثل الابن الضال ومثل الزارع، وكان أبرز محاور تعاليمه يدور حول التضحية الشخصية غير المشروطة في سبيل محبة الله وجميع الناس بغض النظر عن خلفياتهم وانتماءاتهم، وفي معظم عظاته كان يؤكد على خدمة الآخرين وعلى ضرورة التواضع في تلك الخدمة، كما كان يركز بشكل كبير على مغفرة الخطايا وعلى الإيمان وعلى إدارة الخد الآخر للخصوم وعلى

---

(1) متى 6: 19 ـ 34.

(2) متى 7: 28 ـ 29.

مقابلة شر الأعداء بمحبتهم كمحبة الأصدقاء، كما كانت تعاليمه تُبرز الحاجة إلى الإنقياد إلى روح الناموس والشريعة وليس ظاهرها[1].

كان يسوع يجتمع كثيراً بالمنبوذين من قبل المجتمع اليهودي المتزمت، فكثيراً ما جالس العشارين (أي جباة الضرائب لصالح الرومان والذين كانوا مكروهين جداً في محيطهم)، لا بل إن يسوع اختار أحد هؤلاء العشارين ليكون من تلاميذه الاثني عشر وهو متى الذي كتب لاحقاً أحد الأناجيل الأربعة.

وعندما اعترض الفريسيون، وهم من أبرز طوائف اليهود المتدينة والذين يعتقدون ببرهم الذاتي، عندما اعترضوا على اجتماع يسوع بالعشارين والزناة أجابهم بأنه «لا يحْتاجُ الأصِحّاءُ إِلى طبِيبٍ بلِ الْمرْضى. فاذْهبُوا وتعلّمُوا ما هُو: إِنِّي أُرِيدُ رحْمةً لا ذبِيحةً، لأنِّي لمْ آتِ لأدْعُو أبْراراً بلْ خُطاةً إِلى التّوْبةِ»[2].

بحسب إنجيلي لوقا ويوحنا فإن يسوع بذل جهده لإيصال بشارته للسامريين، والذين كانوا يؤمنون بكتاب التوراة أي كتب موسى الخمسة الأولى ويرفضون بقية كتب الأنبياء التي يؤمن بها اليهود، وكان هذا أحد أسباب العداوة القائمة بين الطرفين، إلا أن ذلك لم يمنع يسوع من التوجه لهم وإخطارهم ببشارة ملكوت الله.

---

(1) متى 5 ـ 7.

(2) متى 9: 9 ـ 13.

# التلاميذ الأربعة

في الفصل الأول من إنجيل مرقس، دعى يسوع أربعة رجال من البحيرة في الجليل، وهم: سمعان والذي سُمي الصخرة أو بطرس، وأخوه أندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا بن زبدي (الذين سُميا لاحقاً ابنا الرعد «بوانرجس»).

إن الأناجيل تشترك بذكر هذا الحدث: «وإِذْ كان يسُوعُ ماشِياً عِنْد بحْرِ الْجلِيلِ أبْصر أخويْنِ: سِمْعان الّذِي يُقالُ لهُ بُطْرُسُ وأنْدراوُس أخاهُ يُلْقِيانِ شبكةً فِي الْبحْرِ فإِنّهُما كانا صيّاديْنِ. فقال لهُما: هلُمّ ورائِي فأجْعلُكُما صيّادِي النّاسِ. فلِلْوقْتِ تركا الشِّباك وتبِعاهُ. ثُمّ اجْتاز مِنْ هُناك فرأى أخويْنِ آخريْنِ: يعْقُوب بْن زبْدِي ويُوحنّا أخاهُ فِي السّفِينةِ مع زبْدِي أبِيهِما يُصْلِحانِ شِباكهُما فدعاهُما. فلِلْوقْتِ تركا السّفِينة وأباهُما وتبِعاهُ»[1].

## ـ الرسل الاثني عشر:

الكلمة اليونانية المترجمة «رسول» في العهد الجديد هي «أبوستولوس» (Apostolos) وهي مشتقة من الفعل أبو ستّلين (Apostellein) بمعنى يرسل فمعناها: «رسول مرسل، مبعوث» وقد استعملت الترجمة السبعينية للعهد القديم نفس الكلمة اليونانية لترجمة كلمة «أرسل»[2].

استخدمت كلمة «رسول» في العهد الجديد عن يسوع نفسه: «رسول اعترافنا ورئيس كهنته»[3]، فهو الذي أرسله الآب «مخلصناً للعالم». ويُذكر كثيراً في إنجيل

(1) متى 4: 18 ـ 22.
(2) تك 45: 4 ـ 8، 1 مل 14: 6.
(3) عب 3: 1.

يوحنا أن «الآب أرسل الابن»[1] «ليتكلم بكلام الله»، وليعمل أعمال الله»[2] ويتمم مشيئة الله، وليعلن الله وليعطي حياة أبدية[3]. وكل رسول بعد ذلك، إنما هو مرسل من الرب يسوع المسيح[4]، ومن يقبله المسيح، ومن يسمع منه يسمع من المسيح[5]. فقد استخدمت الكلمة بمعناها المطلق في قول المسيح: «ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله»[6]، واستخدمت الكلمة في الإشارة إلى مبعوثين من الكنائس كما استخدمت للدلالة على الذين أرسلهم الله إلى شعبه قديماً، إذ «قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون»[7]. وترد كلمة «رسول» أو رسل عشر مرات في الأناجيل، وثماني وعشرين مرة في سفر أعمال الرسل، وثماني وثلاثين مرة في الرسائل، وثلاث مرات في سفر الرؤيا، وفي معظم هذه المرات، تشير إلى أشخاص دعاهم المسيح لخدمة معينة في الكنيسة. وأول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة «رسول» أسماء الاثني عشر رسولاً وبولس الرسول، ولكن الكلمة أطلقت على غير هؤلاء أيضاً، فيبدو أن يعقوب أخا الرب كان يعتبر رسولاً[8]، كما كانت كلمة «رسول» تطلق على برنابا، ويجمع الرسول بولس بينه وبين برنابا في قوله: أما أنا وبرنابا وحدنا ليس لنا سلطان أن لا نشتغل» رغم أنهما لم يكونا من الاثني عشر كما يمكن اعتبار سلوانس وتيموثاوس رسولين[9]، وكذلك «أندونكوس ويونياس اللذين هما مشهورين بين الرسل» ويبدو أن الرسول بولس يضم إليه «أبلوس» ضمن الرسل اللذين «صاروا منظر للعالم للملائكة والناس»[10]. ويوصي في رسالته الثانية إلى الكنيسة في كورنثوس، بأخوين ـ لم يذكر اسميهما ـ يقول عنهما إنهما «رسولا الكنائس

---

(1) يو 7: 28 و29، 8: 42.
(2) يو 3: 34؛ 5: 36، 6: 29.
(3) يو 17: 2 و3.
(4) يو 7: 18 ـ 26، 20: 21 ـ 23.
(5) لو 10: 16.
(6) يو 13: 16.
(7) لو 10: 49.
(8) غل 1: 19، 2: 9، أنظر أيضاً 1 كو 15: 7.
(9) 1 تس 1: 1 ـ 2: 6.
(10) 1 كو 4: 6 و9.

ومجد المسيح». وقد وجد من الضروري أن يكشف بعض الأشخاص باعتبار أنهم: «رسل كذبة فعلة ماكرون مغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح»[1]، وفي هذا دليل على أنه في الكنيسة الأولى، لم تكن فكرة الرسولية مقتصرة على الاثنى عشر أو الثلاثة عشر، «إذ لو كان عدد الرسل محدداً، لبطلت من ذاتها دعوى أولئك المتطفلين» (كما يقول ليتفوت Lihgfoot في تعليقه على الرسالة إلى غلاطية).

**ـ نبذة عن الرسل الاثني عشر:**

تركِّز الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل معظم الانتباه على بعض من التلاميذ الذين دعاهم المسيح عند الجبل وأوكلهم بمهام وسماهم الرسل الاثنا عشر. وهذه أسماؤهم حسب ذكرهم في الأناجيل القانونية الأربعة:

1 ـ **أندراوس**: حيث يذكر إنجيل متى ولوقا بأنه أخ لسمعان بطرس، كان صياداً من بيت صيدا في الجليل وهو أول رسول دعاه يسوع وكان قبل ذلك تلميذ يوحنا المعمدان.

والقديس أندراوس (باليونانية Ανδρέας ومعناه الرجل، بالإنكليزية Andrew) ويلقب في التقليد الأرثوذكسي بـ Protocletos أي أول المدعوين، هو أحد رسل يسوع المسيح وهو شقيق بطرس الرسول.

**ـ حياته:**

بحسب التقليد الكنسي فإن أندراوس ولد في بيت صيدا قرب بحر الجليل ـ بحيرة طبرية ـ، وكان يعيش مع بطرس في مدينة كفرناحوم، ولأن أندراوس يهودي الأصل فإن اسمه أندراوس قد لا يكون اسمه الحقيقي من حيث أنه ليس اسماً آرامياً أو عبرياً.

كان أندراوس تلميذ يوحنا المعمدان، وبعد ذلك أصبح من أوائل من تبعوا يسوع المسيح. وبحسب الإنجيل فإن أندراوس كان من بين مجموعة التلاميذ الأكثر قرباً ليسوع والذين اختصهم لمعاينة أحداث مهمة للغاية. وقد ذُكر مرة واحدة فقط في سفر أعمال الرسل.

---

(1) 2 كو 11: 13.

بحسب المؤرخ الكنسي أوسابيوس القيصري (275 ـ 339 م) فإن أندراوس قام بالتبشير بالديانة المسيحية في آسيا الصغرى وسيكثيا وعلى طول ساحل البحر الأسود حتى نهر الفولغا، لذلك فقد أصبح القديس الشفيع الرئيسي لكل من روسيا ورومانيا. ويعد تقليدياً أول أساقفة بيزنطة (القسطنطينية).

ـ جثمانه:

يُعتقد بأنه قُتل صلباً في مدينة باتراي في اليونان وكان صليبه على شكل حرف x، وبسببه أخذ هذا الشكل من الصلبان لاحقاً اسم صليب القديس أندراوس، وبحسب التقليد الكنسي فإن جثمانه دفن في مدينة باتراي وبعد ذلك نُقِل منها إلى القسطنطينية ومن هناك نقل مرة أخرى إلى بلدة سُميت باسم القديس أندراوس تقع على الساحل الشرقي لاسكتلندا، وتتحدث القصص الشعبية المحلية عن أن جثمان هذا القديس بيع للرومان على يد الكهنة المحليين مقابل أن ينشئ الرومان خزان مياه للمدينة، وفي السنين التالية حُفِظ الجسد في مدينة الفاتيكان ولكنه أُعيد إلى مدينة باتراي اليونانية عام 1964م بأمر من البابا بولس السادس.

إن صندوق جثمان الرسول أندراوس والذي يحتوي على أصبعه وجزء من جمجمته محفوظ اليوم في كنيسة القديس أندراوس في مدينة باتراي في مقام خاص، ويقام له احتفال مميز في 30 تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام.

يُقدّم أندراوس في معظم الإيقونات واللوحات على أنه رجل عجوز متكئ على صليبه ذي الشكل x، وهناك عدة أماكن يُظن بأنها تحتوي على جزء من جثمانه وهي:

* بازيليك القديس أندراوس، باتراي ـ اليونان.

* قبة القديس أندراوس، أمالفي ـ إيطاليا.

* كاتدرائية القديسة مريم، إيدينبورغ ـ (الضريح الوطني للقديس أندراوس) اسكتلندا.

* كنيسة القديسين أندراوس وألبيرت، وارسو ـ بولندا.

يوجد كتاب سُمي بـ«أعمال أندراوس» وهو من كتب الأبوكريفا (الكتب غير القانونية بالنسبة للكنيسة) تحدث عنه أوسابيوس القيصري وآخرون. يصنف هذا الكتاب

ضمن مجموعة الكتب التي تتحدث عن أعمال الرسل والتي تدعى بـ Leucius Charinus ويتوقع أنه تمت كتابته في القرن الثالث، تم تنقيح هذا الكتاب ونشره بواسطة قسطنطين فان تيشوندروف في ألمانيا عام 1821م.

2 ـ «سمعان المدعو «بطرس»: بطرس الرسول أو القديس بطرس هو سمعان بن يونا الملقب بسمعان بطرس Πέτρος باليونانية، بالعربية الصفا وبالسريانية ܫܡܥܘܢ ܟܐܦܐ شمعون كيفا، وبالإنكليزية Simon Peter ومعنى اللقب بطرس هو الصخرة وقد نال لقبه هذا من السيد المسيح بحسب الكتاب المقدس. كان بطرس الرسول واحد من نخبة الرسل الإثني عشر الذين اختارهم المسيح من بين أتباعه وسموا بالتلاميذ. وقد دُونت بعض محطات حياته في الكتاب المقدس (الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل).

ـ حياته:

ولد ونشأ بطرس في قرية بيت صيدا في فلسطين، عمل هناك صياداً للسمك مع أخيه أندراوس قبل أن يدعوه يسوع ليكون أحد أتباعه. وأصبح بعد ذلك قائداً لبقية رسل المسيح كما أن الكنيسة الأولى أقرت بسلطته.

يعترف أغلب المسيحيين بقداسة سمعان بطرس وبأنه أول باباوات روما بما في ذلك الكاثوليك الشرقيين. بينما تعتبره طوائف مسيحية أخرى بأنه أول أساقفة أنطاكية ومن ثم أصبح أسقف روما. ولكن لا يؤخذ هذا بأنه كان يملك سلطاناً أسقفياً على بقية الأسقفيات أو الأبرشيات في مختلف أنحاء العالم.

ومع هذا توجد فئة أخرى من المسيحيين لا ترى بأن بطرس كان يمتلك فعلاً مهام الأسقف. ذلك بأن هذه الوظيفة أو المهمة تحددت خصائصها وطبيعتها في الكنيسة في فترة لاحقة لزمن هذا الرسول. وعلاوة على ذلك فإن الكثير من المسيحيين البروتستانت لا يستعملون لقب القديس في الحديث عنه ويكتفون بلقب تلميذ أو رسول.

ـ وفاته:

يؤكد كل من بابياس وإيرونيموس وإكليمندس الإسكندري وترتوليانوس وكايوس وأوريجانوس ويوسابيوس وهم من آباء أو مؤرخي الكنيسة القدامى بأنه استشهد في 29 حزيران/يونيو من عام 64م. بينما يذهب بعض الباحثين إلى أن وفاته كانت في 13

تشرين الأول/أكتوبر من عام 64م. وبحسب تقليد مختلف الكنائس يعتقد بأنه قتل صلباً بيد السلطات الرومانية. واستناداً إلى أحد كتب الأبوكريفا ـ أي الكتب الدينية المرفوضة من آباء الكنيسة، والذي يسمى بكتاب أعمال بطرس ـ فإنه صلب بشكل مقلوب أي رأسه إلى الأسفل وقدماه للأعلى بناءً لطلبه كي لا يتشبّه بصلب السيد المسيح. ويحدد تقليد الكنيسة الكاثوليكية مكان دفنه تحت المذبح العالي في بازيليك القديس بطرس في الفاتيكان. ونستطيع أن نتبين ملامح شخصية بطرس الرسول من خلال ما ذكر عنه في الكتاب المقدس بأنه كان شخصية حماسية مندفعة.

ويرجح بعض دارسي العهد الجديد بأنه كان في البدء تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل أن يلتحق بالسيد المسيح ويصبح الشخص الأبرز بينهم حيث تم ذكره بشكل أكبر من بقية التلاميذ في الإنجيل فكان السباق في طرح الأسئلة على سيده كما أنه كان السباق أيضاً في إعطاء الأجوبة. إضافة إلى ذلك، اختصه السيد المسيح مع يعقوب ويوحنا بمعاينة أحداث عظيمة يرويها الإنجيل كحادثة التجلي وغيرها. يتحدث الكتاب المقدس عن إنكار بطرس معرفته بالمسيح ثلاث مرات أثناء المحاكمة التي سبقت صلب المسيح ولكنه ندم على ذلك لاحقاً وقبلت توبته، وبعد موت وقيامة يسوع من الموت نال بطرس ورفاقه الرسل قوة من الروح القدس واندفعوا يبشرون بإيمانهم في كل مكان.

كتب الرسول بطرس سفرين من أسفار العهد الجديد هما رسالة بطرس الأولى والثانية، في معظم اللوحات التي رسمت له نراه يحمل في يديه مفاتيح ملكوت السموات (رمز قيادته للكنيسة).

3 ـ فيلبس: القديس فيلبس (بالإنكليزية Philip) هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر وكان مثل بطرس وأندراوس من سكان بيت صيدا الواقعة على بحيرة جنيسارات ـ بحيرة طبرية ـ . وبحسب إنجيل يوحنا فإن يسوع دعاه ليكون واحداً من أتباعه وهو قام بدوره بدعوة نثنائيل (الذي قد يكون برثولماوس)، وقد ورد ذكره في عدة مواقف يذكرها إنجيل يوحنا، ففي (6: 5 ـ 7) سأل يسوع فيلبس كم سيكلف ثمن الخبز لإطعام خمسة آلاف رجل، وفي (12: 20 ـ 50) قام فيلبس بتقديم مجموعة من الهيلينيين إلى يسوع استجابة لطلبهم، وفي العشاء الأخير سأل فيلبس يسوع بأن يريه الآب فأجابه يسوع «أنا معكُمْ زماناً هذِهِ مُدّتُهُ ولمْ تعْرِفْنِي يا فِيلُبُّسُ! الّذِي رآنِي فقدْ رأى الآب، فكيْف تقُولُ أنْت: أرِنا الآب؟».

ـ حياته:

بحسب إكليمندس الإسكندري ـ عاش في القرنين الثاني والثالث ـ فإن القديس فيلبس كان متزوجاً ولديه أولاد، وبحسب التقليد الكنسي فإنه بعد صعود يسوع إلى السماء وحصول تلاميذه على قوة الروح القدس لصنع المعجزات انطلق فيلبس ليبشر في الجليل ثم بلاد اليونان وسوريا وفريجيا في آسيا الصغرى، ويستشهد المؤرخ الكنسي أوسابيوس القيصري بحديث لبوليكراتوس ـ من القرن الثاني ـ عن أن فيلبس دفن في مدينة هيرابوليس، وفي فريجيا كان فيلبس يبشر برفقة برثلماوس وهناك قاما بالصلاة فأمات الله ثعباناً عظيماً كان يعيش في معبد مخصص لعبادة الثعابين، وشفيا الكثير من الناس الذين تعرضوا للدغات الأفاعي، فأمر حاكم المدينة ورئيس كهنة الأوثان بقتل فيلبس وبرثلماوس صلباً، وأثناء صلبهما تزلزلت الأرض بقوة كبيرة فصلى فيلبس ليحفظ الله الناس من الأذى فهدأ الزلزال عندها طالبت الجموع بإطلاق سراح الرسولين، ولكن على الرغم من نجاة برثلماوس من الموت فإن فيلبس وحاكم المدينة ورئيس كهنة الأوثان ماتوا جميعاً في ذلك اليوم.

نسب الغنوصيون إلى فيلبس العديد من كتبهم، ككتاب إنجيل فيلبس الذي اكتشف في منطقة نجع حمادي في مصر عام 1945م، يُخلط أحياناً بين القديس فيلبس أحد رسل المسيح الإثنا عشر وبين الشماس فيلبس المذكور في سفر أعمال الرسل في كتاب العهد الجديد.

**4 ـ يعقوب بن زبدي:** أو القديس يعقوب الكبير بالعبرية יעקב ومعنى الاسم «الذي يمسك العقب أو الذي يحل محل آخر»، اسمه بالإنجليزية James the Great، هو ابن زبدي وسالومة وشقيق يوحنا وكان الشقيقان من تلاميذ المسيح. لُقِّب يعقوب بالكبير لتمييزه عن رسل وقديسين آخرين يحملون ذات الاسم. وبحسب الإنجيل كان يعقوب مع شقيقه يوحنا من تلاميذ يوحنا المعمدان، والمعمدان نفسه قدم لهما يسوع ومن ثم تلقيا دعوة يسوع أثناء وجودهما مع أبيهما عند المركب فقد كانا صيادين فتركا كل شيء وأصبحا من تلاميذه، إن أصل الرسول يعقوب الجليلي قد يفسر بدرجة معينة الطاقة القوية والحماسة الفذة التي تميز بها مع أخوه يوحنا والتي دفعت يسوع إلى أن يسميهما بـ«بوانرجس ـ ابني الرعد»، وكان معروف عن الجليليين أنهم يتميزون بالتدين والقوة والصلابة والنشاط وبأنهم كانوا دائماً المدافعين عن الأمة اليهودية.

ـ قرابته من يسوع:

بعض علماء العهد الجديد يقارنون بين النصوص الواردة في (يوحنا 19 : 25) و (متى 27 :56) و(مرقس 15 :40)، والتي تذكر أسامٍ لعدة نساء، فينسبون شخصية مريم أم يعقوب الصغير ويوسف في إنجيلي مرقس ومتى إلى مريم زوجة كلوبا التي ذكرت في نص إنجيل يوحنا، ويتكرر اسم مريم المجدلية في النصوص الثلاثة، فيبقى اسم سالومة في إنجيل مرقس وينسبونها إلى «أم بني زبدي» التي ذكرت في إنجيل متى، وأخيراً ينسبون سالومة إلى «أخت أمه مريم» التي ذُكرت في إنجيل يوحنا، فاستناداً إلى المقاربة الأخيرة يعتقدون بأن إنجيل يوحنا كان يتكلم عن أربع نساء، فإذا كان هذا الافتراض الأخير هو الصحيح فإن سالومة أم يعقوب ويوحنا بن زبدي ستكون شقيقة مريم العذراء وعليه فإن يعقوب ويوحنا بن زبدي سيكونان أولاد خالة يسوع، وهذا الأمر قد يفسر العلاقة المميزة بينهم، حيث نجد في (متى 20 : 20 ـ 23) أن سالومة تقدمت إلى يسوع وطلبت منه أن يجلس ولديها واحد عن يمينه والآخر عن يساره في مملكته، وعند صلب المسيح عهد يسوع بأمه مريم إلى ابن أختها ـ الافتراضي ـ يوحنا بن زبدي، ولكن في نهاية الأمر لا يسعنا التأكد من حقيقة هذه القرابة ـ إن وجدت ـ بين يسوع وبين الأخوين يعقوب ويوحنا بن زبدي لأن غاية تلك النصوص كانت الحديث عن وجود شهود على عملية الصلب والدفن وليس الحديث عن قرابات أو علاقات عائلية.

ـ موته:

استشهد يعقوب بسبب إيمانه قرابة العام 44 م بأمر من الملك هيرودس أكريبا بن أريستوبولوس وحفيد هيرودس الكبير، وكان الملك هيرودس أكريبا قد تسلم الملك حديثاً وكان جل اهتمامه إرضاء اليهود في مملكته، لأجل ذلك بدأ بإثارة اضطهاد ضد الكنيسة الناشئة وأمر بقتل يعقوب بن زبدي بالسيف[1] لأنه كان يعلم مكانة الرسول يعقوب العظيمة بالنسبة للمسيحيين وبأن قتله سيشكل ضربة قوية لهم، وبحسب أوسابيوس القيصري فإن الجلاد الذي نفذ حكم الإعدام بحق يعقوب تأثر بشهادة ابن زبدي عن يسوع المسيح واعتنق هو نفسه الديانة المسيحية. هناك روايات تتحدث

(1) أعمال 12: 1 ـ 2.

عن أنه بشّر في شبه الجزيرة الأيبيرية ثم عاد إلى فلسطين، وبعد موته فيها تم نقل جثمانه إلى إسبانيا وهي محفوظة هناك، كما يُظن أيضاً بأنها موجودة في كنيسة القديس ساتورنين في تولوز ـ فرنسا.

5 ـ يوحنا بن زبدي: أو القديس يوحنا الإنجيلي، (بالعبرية יוחנן يوحانون ومعناه «الله يتحنن»، اسمه بالإنكليزية John) ويعرف أيضاً بيوحنا الرائي وبيوحنا الحبيب، هو ابن زبدي وسالومة وشقيق يعقوب وكان الشقيقان من تلاميذ المسيح الإثني عشر، وبحسب التقليد المسيحي فإنه كاتب إنجيل يوحنا ـ لذلك يلقب بالإنجيلي ـ وكاتب الرسائل الثلاث التي تنسب إليه وأخيراً كاتب سفر الرؤيا.

ـ القديس يوحنا في الإنجيل:

بحسب الإنجيل فإن يوحنا هو ابن زبدي وشقيق يعقوب بن زبدي، يعقوب الكبير واسم أمه سالومة، وكان الأخوان يعملان مع والدهما زبدي بصيد السمك في بحيرة جنيسارات ـ بحيرة طبرية ـ . كان في البدء من تلاميذ يوحنا المعمدان وبعد ذلك أصبح واحداً من رسل المسيح الإثني عشر، وهو من القديسين الكبار بالنسبة لمعظم المسيحيين وتعيّد له الكنيسة الكاثوليكية في 27 كانون الأول/ديسمبر من كل عام، بينما تُعيّد له الكنائس الأرثوذكسية في 26 أيلول/سبتمبر من كل عام.

كان ليوحنا موقع بارز بين رسل المسيح الإثني عشر، فكان يسوع يختصه مع بطرس ومع يعقوب شقيقه لمعاينة أحداث مهمة وخاصة، فقد شهد هؤلاء الثلاثة حادثة إقامة يسوع لابنة أحد رؤساء اليهود من الموت[1]، وحادثة تجلي يسوع على الجبل[2]، والآلام في بستان جثسيماني[3]، وقد كان يوحنا وبطرس هما الوحيدان اللذان أرسلهما يسوع إلى المدينة لتحضير عشاء الفصح أو العشاء الأخير، وفي أثناء العشاء كان ليوحنا مركزاً مميزاً على المائدة، فقد كان جالساً إلى جانب يسوع ومتكئاً على صدره[4]، وبحسب معظم تفاسير الإنجيل فإن يوحنا كان «التلميذ الآخر» الذي تبع مع بطرس

---

(1) مرقس 5: 37.
(2) متى 17: 1.
(3) متى 26: 37.
(4) يوحنا 13: 23 ـ 25.

يسوع بعد القبض عليه وأخذه إلى بيت رئيس كهنة اليهود، ويوحنا كان التلميذ الوحيد المتواجد عند أقدام الصليب، وأثناء وجود يسوع على الصليب طلب منه الاعتناء بأمه مريم العذراء من بعده[1]، وبعد القيامة ذهب يوحنا مع بطرس عدواً إلى قبر يسوع للتأكد من خبر قيامته ووصل يوحنا إلى هناك أولاً وكان أول من آمن ـ من التلاميذ ـ بقيامة المسيح[2]، ولاحقاً عندما ظهر يسوع لسبعة من تلاميذه على شاطئ بحيرة طبرية ـ بحيرة جنيسارات ـ كان يوحنا مرة أخرى أول من تعرف على يسوع.

كان يوحنا معتاداً أثناء كتابة الإنجيل على عدم ذكر اسمه بل كان يكتب «التلميذ الذي كان يسوع يحبه». وبعد صعود يسوع إلى السماء أخذ يوحنا مع بطرس مكانة هامة في قيادة الكنيسة الناشئة، ومع بطرس قام بشفاء كسيح على باب الهيكل[3]، ومع بطرس أيضاً أُلقي في السجن بسبب تبشيرهما بالمسيح[4]، كما أنه كان أيضاً برفقة بطرس عندما زارا السامرة لمباركة المهتدين الجدد[5].

بعد صعود يسوع إلى السماء بقي يوحنا مع تلاميذ آخرين في فلسطين قرابة الإثني عشر عاماً، وبعد أن بدأ اضطهاد الملك هيرودس أكريبا للمسيحيين تفرق الرسل في مختلف الإمبراطورية الرومانية، ويُعتقد أن يوحنا كان قد توجه حينها إلى آسيا الصغرى للمرة الأولى حيث بشر هناك، وعلى كل حال، كانت جماعات مسيحية في أفسس قبل وصول بولس الرسول إليها، ولكن من المؤكد بحسب الإنجيل أن يوحنا عاد مع عدد من التلاميذ إلى أورشليم وعقدوا فيها ما عرف بمجمع الرسل حوالي العام 51م، وقد ذكر الرسول بولس في رسالته إلى الغلاطيين بأنه زار أورشليم والتقى فيها ببطرس ويوحنا ويعقوب الصغير وسماهم بـ«أعمدة الكنيسة»، وأخذ منهم يمين الشركة أي اعترفوا به كرسول للمسيح[6]، وهذا يدل على أهمية يوحنا في جسم الكنيسة الأولى.

---

(1) يوحنا 19: 25 ـ 27.
(2) يوحنا 20: 2 ـ 10.
(3) أعمال 3: 1.
(4) أعمال 4: 3.
(5) أعمال 8: 14.
(6) غلاطية 2: 9.

- **يوحنا في التقليد الكنسي:**

يُعتقد بأن يوحنا هو كاتب خمسة أسفار من أسفار كتاب العهد الجديد وهي: «إنجيل يوحنا»، «رسائل يوحنا الثلاث»، و«سفر الرؤيا». وبحسب التقليدين الأرثوذوكسي والكاثوليكي فإن يوحنا انتقل وبرفقته مريم العذراء إلى مدينة أفسس جنوب آسيا الصغرى، حيث اعتنى يوحنا بالعذراء كابن متفان حتى وفاتها، ويعتقد أنه كتب في تلك المدينة الرسائل الثلاث المنسوبة إليه، بعد ذلك أُلقي القبض عليه من قبل السلطات الرومانية ونفي إلى جزيرة بطمس اليونانية، ويُظن أنه كتب هناك سفر الرؤيا، وبحسب كتابات ترتليانوس فإن الرومان حاولوا تعذيب يوحنا قبل إرساله إلى منفاه وذلك بوضعه في قدر زيت مغلي كبير، ولكن ذلك لم يؤذه بشيء، ويُعتقد أنه الوحيد الذي مات موتةً طبيعية بين التلاميذ الإثني عشر، ويُعتقد أن قبره موجود في مدينة سيلجوك Selçuk التركية.

في الأيقونات واللوحات والأعمال الفنية يصور القديس يوحنا وهو حامل إنجيله ويوجد نسر أو ملاك خلفه دلالة على فكر يوحنا اللاهوتي الكبير.

- **يوحنا في لوحة العشاء الأخير:**

بعد النجاح الكبير الذي حققته رواية «دان براون» (شفرة دافنشي) أثيرت أسئلة كثيرة حول شخصية يوحنا في لوحة العشاء الأخير للفنان ليوناردو دافنشي والذي كان موقعه فيها إلى جانب المسيح حيث قدمته الرواية على أنه مريم المجدلية، ولكن بكل الأحوال جنح معظم الفنانين المعاصرين لليوناردو دافنشي بإيحاء من روايات التقليد الكنسي على تصوير يوحنا في لوحاتهم على أنه شاب يافع جداً لم تنبت لحيته بعد وهو ذو ملامح أنثوية تماماً كالعادة التي درجوا عليها برسم شبان إيطاليا في ذلك الوقت، وتجدر الملاحظة إلى وجود بعض اللوحات لهؤلاء الرسامين تظهر رسل المسيح الإثنا عشر والرسل الآخرين أيضاً بذات المظهر الأنثوي.

**6 ـ برثلماوس:** أو القديس برثولماوس (بالإنكليزية Bartholomew) هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر، وبرثولماوس هو اللفظ اليوناني لاسمه الآرامي الأصل «ܒܪܬܘܠܡܝ برتولماي» أي ابن تولماي. وبشكل عام يفترض أن اسمه الثاني هو نثنائيل والذي ذكر في عدة مواقع من العهد الجديد، وفي الأناجيل الأربعة متى، مرقس، لوقا، ـ يُذكر اسما الرسولين فيلبس وبرثولماوس معاً دائماً، بينما لا يذكر اسما فيلبس ونثنائيل أبداً. ولكن في إنجيل يوحنا يذكر اسمهما فيلبس ونثنائيل ولا يذكر شيئاً عن برثولماوس.

وقد يكون اسمه الأول نثنائيل واسم والده ثولماي فدعي ابن ثولماي أي برثولماوس.

في إنجيل يوحنا يقدم نثنائيل على أنه صديق لفيلبس، وقد كان من جملة اليهود المتوقعين ظهور المسيا في وقت قريب على الأغلب لتحريرهم من عبودية الرومان، «فِي الْغدِ أراد يسُوعُ أنْ يخْرُج إلى الْجلِيلِ، فوجد فِيلُبُّس فقال لهُ: اتْبعْنِي. وكان فِيلُبُّسُ مِنْ بيْتِ صيْدا، مِنْ مدِينةِ أنْدراوُس وبُطْرُس. فِيلُبُّسُ وجد نثنائِيل وقال لهُ: وجدْنا الّذِي كتب عنْهُ مُوسى فِي النّامُوسِ والأنْبِياءُ يسُوع ابْن يُوسُف الّذِي مِن النّاصِرةِ. فقال لهُ نثنائِيلُ: أمِن النّاصِرةِ يُمْكِنُ أنْ يكُون شيْءٌ صالِحٌ؟ قال لهُ فِيلُبُّسُ: تعال وانْظُرْ. ورأى يسُوعُ نثنائِيل مُقْبِلاً إليْهِ، فقال عنْهُ: هُوذا إسْرائِيلِيٌّ حقّاً لا غِشّ فِيهِ. قال لهُ نثنائِيلُ: مِنْ أيْن تعْرِفُنِي؟ أجاب يسُوعُ وقال لهُ: قبْل أنْ دعاك فِيلُبُّسُ وأنْت تحْت التِّينةِ، رأيْتُك. أجاب نثنائِيلُ وقال لهُ: يا مُعلِّمُ، أنْت ابْنُ اللّهِ! أنْت ملِكُ إسْرائِيل! أجاب يسُوعُ وقال لهُ: هلْ آمنْت لأنِّي قُلْتُ لك إنِّي رأيْتُك تحْت التِّينةِ؟ سوْف ترى أعْظم مِنْ هذا! وقال لهُ: الْحقّ الْحقّ أقُولُ لكُمْ: مِن الآن تروْن السّماء مفْتُوحةً، وملائِكة اللّهِ يصْعدُون وينْزِلُون على ابْنِ الإنْسانِ».

بعض علماء العهد الجديد يعتقدون أن قول يسوع لنثنائيل «قبْل أنْ دعاك فِيلُبُّسُ وأنْت تحْت التِّينةِ، رأيْتُك» كان تعبيراً يهودياً يفيد بأنه كان يدرس التوراة. في نهاية إنجيل يوحنا يذكر بأن هذا التلميذ كان من بين التلاميذ الذين التقوا يسوع على ضفة بحيرة طبرية بعد قيامته من الموت، وفي أعمال الرسل الفصل الأول يظهر برثلماوس كأحد شهود صعود يسوع إلى السماء. بحسب التقليد السرياني فإن الاسم الحقيقي لهذا الرسول كان يشوع ـ الاسم الآرامي ليسوع ـ مما اضطره إلى أن يتخذ له اسماً آخر وهو نثنائيل أو برثولماوس.

يُعتقد أنه بعد صعود يسوع إلى السماء انطلق برثولماوس للتبشير بالمسيحية في الهند وهناك خلّف وراءه نسخة من إنجيل متى، واستناداً إلى التراث الكنسي الأرمني فإن برثولماوس بشّر برفقة زميله تداوس في بلاد أرمينيا في القرن الأول للميلاد ولذلك يدعوا الأرمن كنيستهم بالكنيسة الرسولية، ويعتبرون الرسولين برثولماوس وتداوس الشفيعان الرئيسيان للكنيسة الأرمنية الرسولية.

في الأعمال الفنية يصور القديس برثولماوس وهو حامل سكين كبيرة، مثال على ذلك لوحة الرسام الإيطالي مايكل أنجلو «الدينونة الأخيرة» حيث يظهر فيها برثولماوس

وهو يحمل سكينه بيد وفي اليد الأخرى يحمل جلده، فتقليد الكنيسة يقول بأنه قُتل في أرمينيا وقبل أن يُقتل سُلخ جلده وهو حي ثم صلب رأساً على عقب، وبسبب هذه القصة غدا القديس برثولماوس شفيعاً لدبّاغي الجلود.

تحتفل الكنيسة الكاثوليكية بعيد القديس برثلماوس بتاريخ 24 آب/أغسطس من كل عام، بينما يحتفل الأرثوذكس بعيده بتاريخ 11 حزيران/يونيو.

7 ـ **يعقوب بن حلفى**: وهو أحد رسل المسيح الإثني عشر بالعبرية יעקב ومعنى الاسم «الذي يمسك العقب أو الذي يحل محل آخر»، ويدعى أيضاً يعقوب الصغير لتمييزه عن يعقوب بن زبدي الملقب بالكبير (وقد ورد ذكره في: متى 10: 3 ومرقس 3: 18 ولو 6: 15 و أعمال 1: 13). ويعتقد أنه هو نفسه يعقوب المذكور في مرقس 15: 40 و16: 1 ولو 24: 10)، هو شقيق يهوذا تدّاوس وكان لوالده اسمان حلفى ويعقوب[1] ـ كان بعض اليهود يسمون باسم آباءهم ـ وأمه كانت تدعى مريم وهي إحدى النساء اللواتي كن يرافقن يسوع وتلاميذه للخدمة، وشقيقه اسمه يوسي، ويذهب البعض إلى أن لاوي الذي هو متى بن حلفى[2] كان شقيقه أيضاً.

لا يعرف الكثير عن حياته وعن عمله التبشيري، ولكن بحسب التقليد الكنسي فإنه ربما قتل بيد اليهود لمهاجمته الشريعة اليهودية، وهناك قصص أخرى تروي بأنه قُتل صلباً في جنوب مصر حيث كان يعظ بالإنجيل. وقصص أخرى تقول بأنه مات بعد أن نُشر جسده إلى قطع عدة، لهذا يصور هذا الرسول في الأعمال الفنية غالباً وهو يحمل منشاراً.

8 ـ **يهوذا لبّاوس الملقب تدّاوس**: أو القديس تداوس (باليونانية Θαδδαῖος وبالإنجليزية Thaddaeus) وهو واحد من رسل المسيح الإثني عشر ويُسمى أيضاً يهوذا تداوس ويهوذا لبّاوس، وهو بالطبع ليس يهوذا الإسخريوطي، التلميذ الذي خان يسوع المسيح وسلمه لليهود.

والرسول تداوس كان شقيق الرسول يعقوب الصغير واسم والده يعقوب وأمه مريم. ويعتقد البعض بأن يهوذا ويعقوب المذكورين في إنجيل مرقس على أنهما إخوة أو أنسباء يسوع هما ذات الرسولين تداوس ويعقوب بن حلفى.

---

(1) أعمال 1: 14.

(2) مرقس 15: 40.

كتاب أعمال توما هو من الكتب الأبوكريفا أي الكتب غير القانونية بالنسبة للكنيسة والذي كُتب في سوريا في القرن الثالث، يخلط بين الرسولين يهوذا تداوس وتوما على اعتبار أن اسم توما الكامل هو يهوذا توما بحسب التقليد السرياني.

واستناداً لرأي الكنيسة الأرمنية الرسولية فإن الرسول تدّاوس هو أحد تلاميذ المسيح الذين أدخلوا المسيحية إلى أرمينيا، وفي الكنيسة الكاثوليكية يعتبر القديس تدّاوس شفيع القضايا الميؤوس منها، ويصور في الأعمال الفنية غالباً وهو يحمل فأساً حيث يُعتقد بأنه قتل بقطع رأسه بواسطة هذه الأداة، وفي أعمال أخرى يُرسم وهو ممسك برسالته «رسالة يهوذا» وهي من ضمن أسفار العهد الجديد وتنسب إلى هذا الرسول.

**ـ تداوس في الإنجيل:**

يذكر إنجيل يوحنا أنه أثناء العشاء الأخير كان يهوذا تداوس من بين التلاميذ الذين طرحوا أسئلة على يسوع قال لهُ يهُوذا ليْس الإسْخرْيُوطِيّ: «يا سيِّدُ، ماذا حدث حتّى إنّك مُزْمِعٌ أنْ تُظْهِر ذاتك لنا وليْس لِلْعالمِ؟»[1]، وقد ورد ذكره أيضاً في قائمة رسل المسيح الإثنا عشر المذكورة في (متى 10) و(مرقس 3) و(لوقا 6) وفي (أعمال1)، وفي (متى 10: 3) يقول (ولبّاوُسُ الْمُلقّبُ تدّاوُس) قد يفهم من هذا النص بأن اسم هذا الرسول كان لبّاوس ـ ويهوذا هو اسمه الثاني جرياً على عادة اليهود بامتلاك اسمين ـ وبأن لقبه أو اسم عائلته كان تدّاوس، على كل حال إن ذكر أسامٍ كثيرة لهذا الرسول كان الهدف منه هو تمييزه عن يهوذا الإسخريوطي.

وبحسب إيمان الكنيسة فإن يهوذا تداوس هو كاتب أحد أسفار العهد الجديد «رسالة يهوذا» وهي رسالة قصيرة تتألف من فصل واحد وتبدأ هكذا «يهُوذا، عبْدُ يسُوع الْمسِيحِ، وأخُو يعْقُوب، إلى الْمدْعُوِّين الْمُقدّسِين فِي اللهِ الآبِ، والْمحْفُوظِين لِيسُوع الْمسِيحِ. لِتكْثُرْ لكُمُ الرّحْمةُ والسّلامُ والْمحبّةُ»[2].

**ـ تداوس بحسب آباء الكنيسة:**

استناداً إلى كتابات أبو التاريخ الكنسي أوسابيوس القيصري، فإن يهوذا تدّاوس رجع إلى أورشليم عام 62م بعد أن غادرها مع بقية التلاميذ بسبب اضطهاد هيرودس

---

(1) يوحنا 14: 22.

(2) يهوذا 1: 1 ـ 2.

للمسيحيين، وهناك اشترك في انتخاب شقيقه سمعان كأسقف على أورشليم، وهناك روايات كنسية أخرى تقول بأنه بشر بالمسيحية في عموم فلسطين وآدوم وسوريا وبلاد مابين النهرين وليبيا وأرمينيا، وروايات أخرى تقول بأنه زار بيروت والرها واستشهد في بلاد فارس. وبحسب تقليد كنيسة الأرمن الأرثوذكس والكنيسة الرسولية الأرمنية فإن هذا الرسول قُتل في سبيل إيمانه مع زميله سمعان القانوي حوالي العام 65م، وبعد موته نُقل ما يُعتقد بأنه جسده إلى روما ووضع في بازيليك القديس بطرس وتُعيِّد الكنيسة الكاثوليكية لكلا القديسين تداوس وسمعان القانوي في 28 تشرين الأول/ أكتوبر من كل عام.

**9 ـ متى العشار**: أو القديس متى الإنجيلي بالعبرية מַתַּי ماتاي ومعناه «عطية الله» وبالإنكليزية Matthew، ويُعرف أيضاً باسم لاوي ومتى العشار، هو واحد من تلاميذ المسيح الإثني عشر كما يُعتقد بأنه كاتب الإنجيل الذي ينسب إليه «إنجيل متى» لذلك يلقب بالإنجيلي.

**ـ حياته بحسب الإنجيل:**

معظم ما نعرفه عنه قادم من الأدبيات المسيحية الأولى خصوصاً الأناجيل القانونية الأربعة في كتاب العهد الجديد، والتي تخبرنا بأنه لاوي بن حلفى الذي كان يعمل عشاراً أو جابياً للضرائب في مدينة كفرناحوم، وكان اليهود يحتقرون مهنة الجباية وكل من كان يعمل بها لأنهم كانوا يجمعون ضرائب باهظة لصالح المحتل الروماني.

دعُي باسم لاوي في (لوقا 5 :27) ودُعي باسم متى في إنجيل مرقس في قائمة أسماء الرسل ثم دُعي أيضاً متى في (مرقس 2 : 14). يشرح بعض علماء العهد الجديد هذه المسألة بأن هذا الرسول كان يُدعى في البدء لاوي ثم بعد أن تلقى دعوة يسوع المسيح ليصبح من تلاميذه قام بتغيير اسمه للدلالة على أنه أصبح إنساناً جديداً غير ذاك العشار المبغوض، ففي ذات اليوم الذي تلقى فيه الدعوة من يسوع أعد متى عشاءً كبيراً على شرف يسوع وتلاميذه دعا إليه جميع أصدقائه العشارين، ومن المحتمل أنه كان عشاء وداع لحياته السابقة، يروي الإنجيل بأن متى كان جالساً عند مكان الجباية عندما قال له يسوع «اتبعني» فترك متى عندها كل شيء وتبعه (لوقا 5 :27 ـ 28).

آخر الإشارات إليه في العهد الجديد هي في سفر أعمال الرسل، وهو التلميذ الوحيد بين الإثني عشر الذي ذكر اسمه في إنجيل توما ـ أحد الأناجيل غير القانونية ـ دلالة على أهميته الكبيرة في الكنيسة الأولى.

ـ موته:

لا يعلم بالضبط كيف وأين قُتل متى الإنجيلي ولكن بعض القصص تروي بأن متى بشر وقُتل في سبيل إيمانه في إثيوبيا، قصص أخرى تحكي أنه قُتل في مدينة هيرابوليس اليونانية ـ تقع اليوم في تركيا ـ يؤيد هذه الرواية القديس إيفانيوس أسقف قبرص (القرن الرابع) الذي يعتقد بأن متى العشار قُتل في هيرابوليس أما التلميذ الذي استشهد في إثيوبيا هو متياس الذي أخذ مكان يهوذا الإسخريوطي في جماعة الإثني عشر.

كان جثمانه موجوداً في بلدة كاباتشيو في منطقة كامبانيا الإيطالية وبعد ذلك نُقل إلى مدينة ساليرنو عاصمة كامبانيا في القرن العاشر الميلادي، وهو محفوظ الآن في أحد السراديب الواقعة أسفل إحدى الكاتدرائيات هناك. يُعتبر متى الإنجيلي قديساً بالنسبة للكنائس الكاثوليكية والأرثوذوكسية على حد سواء، كما تعترف بقداسته بعض الكنائس البروتستانتية، يُعيِّد له الأرثوذكس سنوياً في تاريخ 16 تشرين الثاني/نوفمبر بينما يُعيِّد له الكاثوليك بتاريخ 21 أيلول/سبتمبر من كل عام.

على غرار باقي الرسل الإنجيليين، يصور القديس متى في الإيقونات واللوحات وهو حامل إنجيل متى ـ إنجيله ـ أو وهو يقوم بكتابته، اللوحات الثلاث التي رسمها الفنان الإيطالي مايكل أنجلو تصور حياة الرسول متى والمحفوظة في كنيسة القديس لويجي دي فرانتشوسي في روما تعد علامة بارزة في تاريخ الفن الغربي.

**10 ـ توما:** أو القديس توما، (بالإنكليزية Thomas)، ويُدعى أيضاً يهوذا توما ديديموس ومعنى اسمه توما باللغة الآرامية ܬܐܘܡܐ هو التوأم، هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر وقد ورد ذكره في قائمة أسماء الرسل في الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا) وفي سفر أعمال الرسل، ولم تتحدث الأناجيل عنه أكثر من ذلك على عكس إنجيل يوحنا.

**ـ توما الرسول في إنجيل يوحنا:**

تحدث إنجيل يوحنا عن القديس توما في عدة مناسبات[1]، فعندما مات لعازر طلب التلاميذ من يسوع بأن لا يذهب إلى اليهودية إلى قرية لعازر لأن اليهود كانوا يريدون قتله هناك، ولكن يسوع كان مصراً على الذهاب ليقيم صديقه من الموت فكان

---

(1) يوحنا 16: 11.

لتوما الكلمة الفصل بين التلاميذ عندما قال لهم «لِنذْهبْ نحْنُ أيْضاً لِكيْ نمُوت معهُ». بعض اللاهوتيين يرجعون فكرة بولس الرسول «الموت مع المسيح» إلى مقولة توما الواردة سابقاً في هذا النص.

وقد كان توما أيضاً من بين التلاميذ الذين حاوروا يسوع أثناء العشاء الأخير[1]، حين أخبر يسوع الرسل على أنه سوف ينصرف عنهم وهم يعلمون أنه سيذهب، عندها احتج توما بأنهم لا يعرفون شيئاً على الإطلاق فرد عليه يسوع بأسلوب لاهوتي عميق عن العلاقة الفائقة التي تربطه بالله الآب.

أما أبرز الأحداث التي ارتبطت بتوما في إنجيل يوحنا هي تلك التي بدأت بعد موت وقيامة يسوع من بين الأموات، حيث زار يسوع تلاميذه وهم مجتمعون في العليّة ولم يكن توما معهم، وعندما حدّث الرسل توما عن تلك الزيارة لم يصدقهم وشك في حقيقة قيامة المسيح وقال «إنْ لمْ أُبْصِرْ فِي يديْهِ أثر الْمسامِيرِ، وأضعْ إِصْبِعِي فِي أثرِ الْمسامِيرِ، وأضعْ يدِي فِي جنْبِهِ، لا أُومِنْ»[2]، لذلك وبعد ثمانية أيام ظهر يسوع لتلاميذه مرة أخرى وهذه المرة كان توما معهم فقال له «هاتِ إِصْبِعك إِلى هُنا وأبْصِرْ يديّ، وهاتِ يدك وضعْها فِي جنْبِي، ولا تكُنْ غيْر مُؤْمِنٍ بلْ مُؤْمِناً» أجاب تُوما وقال لهُمْ: «ربِّي وإِلهِي!»[3]. عندها أعطى يسوع تطويبته الشهيرة (لأنّك رأيْتنِي يا تُوما آمنْت! طُوبى لِلّذِين آمنُوا ولمْ يروْا)[4]. وبسبب هذه القصة يضرب المثل بين المسيحيين بشك توما. أما آخر ظهور لتوما في إنجيل يوحنا فكان عند التقاء يسوع بمجموعة من تلاميذه عند شاطئ بحيرة طبرية[5].

**ـ في التقليد الكنسي:**

بحسب التقليد الكنسي فإن توما الرسول وعظ الإنجيل في الرها ودفن فيها، كما أنه بشر في بريثا وبلاد فارس، وكان أول من بشر في الهند، وهناك قتل على يد كهنة الأوثان بالرماح، لذلك يصور في الأعمال الفنية وهو

---

(1) يوحنا 14: 5.
(2) يوحنا 20: 25.
(3) يوحنا 20: 27.
(4) يوحنا 20: 29.
(5) يوحنا 21: 2.

يحمل رمحاً. يكن مسيحيو الهند احتراماً كبيراً للقديس توما ويعتبرونه شفيع بلادهم وخاصة الهنود الذين يتبعون الكنيسة السريانية الأرثوذوكسية والذين يسمون أنفسهم بمسيحيي مار توما، حيث أنهم يؤمنون بأن كنائسهم أسست من قبل توما الرسول مباشرة.

بحسب التقليد السرياني، عند وفاة السيدة العذراء اجتمع جميع الرسل لتجنيزها عدا توما الذي كان منشغلاً بالتبشير في الهند وتأخر في الوصول، وعندما كان في الطريق رأى الملائكة يحملون مريم إلى السماء فطلب منها علامة يثبت بها انتقالها للسماء فأعطته زنارها، ويعتقد بأنه ذات الزنار المحفوظ في كنيسة أم الزنار الكنيسة السريانية الأرثوذوكسية في مدينة حمص السورية.

من بين المخطوطات المكتشفة في مخطوطات نجع حمادي وجد كتاب باسم إنجيل توما يرجع للقرن الخامس الميلادي، ويرجح بأنه من كتب الغنوصيين المنسوبة لرسل المسيح وهو مكتوب باللغة القبطية.

11 ـ **سمعان القانوي**: أو القديس سمعان الملقب بالقانوي وأيضاً الغيور، واسم سمعان هو تعريب لاسمه العبري الآرامي «شمعون» وهو تصغير لكلمة السامع، هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر وهو أكثرهم غموضاً حيث لم يُكتب عنه الكثير في الأدبيات المسيحية في القرون الميلادية الأولى.

وقد ورد اسمه في العهد الجديد في (متى 10) و(مرقس 3) و(لوقا 6) وفي (أعمال 1) ولكن بدون ذكر تفاصيل عنه «ولمّا كان النّهارُ دعا تلامِيذهُ، واخْتار مِنْهُمُ اثْنيْ عشر، الّذِين سمّاهُمْ أيْضاً رُسُلاً: سِمْعان الّذِي سمّاهُ أيْضاً بُطْرُس وأنْدراوُس أخاهُ. يعْقُوب ويُوحنّا. فِيلُبُّس وبرْثُولماوُس. متّى وتُوما. يعْقُوب بْن حلْفى وسِمْعان الّذِي يُدْعى الْغيُور. يهُوذا أخا يعْقُوب، ويهُوذا الإِسْخرْيُوطِيّ الّذِي صار مُسلِّماً أيْضاً»[1].

ولتمييزه عن سمعان بطرس لقب بالقانوي وبالغيور، ولقبه القانوي هو اللفظة العبرية لكلمة الغيور، وبحسب القديس جيروم وآخرون فإن هذا الرسول كان في الأصل

(1) لوقا 6: 13 ـ 16.

من قرية قانا لهذا نسب إلى قريته، أو ربما كان من منطقة كنعان Canaan وهكذا نسب إليها أيضاً. من ناحية أخرى، يعتقد بعض دارسي التاريخ اليهودي بوجود فرقة يهودية دُعيت بالقانويين أي الغيورين وهم على ما يُظن جماعة من الثوار انتظموا للتصدي لظلم الحكم الروماني ولكنهم قُمعوا بقسوة، وربما هم كانوا وراء أحداث الشغب المذكورة في (مرقس 15: 7)، وكان باراباس اللص الذي أُطلق سراحه بدلاً عن يسوع واحداً منهم، ومن المحتمل أن الرسول سمعان القانوي (الغيور) كان منتمياً لهذه الجماعة أيضاً قبل أن ينضم إلى تلاميذ المسيح.

في التقليد الكنسي يُذكر الرسول سمعان غالباً مع الرسول تداوس على أنهما كانا يبشران معاً، لذلك تُعيِّد لهما الكنيسة الكاثوليكية في يوم واحد هو 28 تشرين الأول/ أكتوبر من كل عام. يُعتقد أن سمعان القانوي بشر بالمسيحية في مصر ثم التحق بزميله يهوذا تداوس للتبشير في بلاد فارس وأرمينيا حيث استشهدا هناك في سبيل إيمانهما، روايات أخرى تقول بأنه بشر في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وبأنه زار بريطانيا ومات فيها.

**12 ـ يهوذا الإسخريوطي**: أو المعروف في الكنيسة بـ«يوضاص» وهو الذي باع المسيح لليهود مقابل ثلاثين من الفضة، تم استبداله بماتياس بعد موته منتحراً. ولم تذكر الكنيسة عن الإسخريوطي شيئاً إلا هذا الدور الذي لعبه.

# الجموع الكثيرة والسبعين تلميذ

لم يرد عدد الأشخاص الذين بين تلاميذ المسيح في الأناجيل. ونرى أن جماعة أكبر من الناس واللذين يمكن تعريفهم بالتلاميذ في موعظة الجبل (لوقا 6: 17).

إضافة لذلك، هناك سبعون أو اثنان وسبعون من الأشخاص الذين أُرسلوا اثنين اثنين لتهيئة الطريق للمسيح (لوقا 10). يشار إليهم عادةً بالسبعين أو التلاميذ السبعين. وهم يأكلون أي طعام يقدم لهم ويشفون المرضى وينشرون الكلمة «بأن ملكوت الله قريب»، ومن يسمع لهم كأنما هو يسمع المسيح ومن يرفضهم كأنما هو يرفض المسيح، ومن رفض المسيح يرفض الذي أرسله. ولهم سلطة على الشرير، وأسماؤهم مكتوبة في السماء.

**ـ الطريق إلى عماوس:**

كليوباس هو أحد التلاميذ الذين ظهر لهم المسيح بعد قيامته من الأموات في عماوس. «وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً اسْمُهَا «عِمْوَاسُ». وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلَكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا: «مَا هَذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟» فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا الَّذِي اسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ: «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ؟» فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا هِيَ؟» فَقَالاَ: «ٱلْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ إِنْسَاناً نَبِيّاً مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا

نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ. بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرْنَنَا إِذْ كُنَّ بَاكِراً عِنْدَ الْقَبْرِ وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاَتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ. وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ فَوَجَدُوا هَكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضاً النِّسَاءُ وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ». فَقَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: «امْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ». فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا أَخَذَ خُبْزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا 32فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِباً فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟» فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ!» وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ»[1]. ثُمّ هذا الحدث غير مذكور في إنجيل متى ومرقس ويوحنا.

**ـ النسوة:**

في إنجيل لوقا (10: 38 ـ 42)، مريم أخت لعازر وخلافاً لأختها مارثا ـ التي كانت مشغولة بشؤون الخدمة ـ عند زيارة المسيح لهم فضلت الجزء الأروع الذي هو الاستماع للمسيح. في إنجيل يوحنا يذكر أن مريم هِي الّتِي دهنتِ الرب بِالْعِطْرِ ومسحتْ قدميْهِ بِشعْرِها وكان لِعازرُ الْمرِيضُ أخاها. في إنجيل لوقا يذكر أن امرأة غير معروفة «خاطئة» جاءت إلى منزل الفريسي ودهنت قدم المسيح. في التقليد الكاثوليكي تُعد مريم أخت لعازر كمريم المجدلية.

يذكر إنجيل لوقا بأنه كان هناك العديد من الناس الذين يتبعون المسيح والرسل الاثني عشر. من بينهم سمى ثلاث نساء: مرْيمُ الْمعْرُوفةُ بِالْمجْدلِيّةِ ويُونّا زوْجةُ خُوزِي وكِيلِ هِيرُودُس، وسُوسنةُ، وغيْرُهُنّ كثِيراتٌ مِمّنْ كُنّ يُساعِدْنهُ بِأمْوالِهِنّ[2].

---

(1) لوقا 24: 13 ـ 33.

(2) لوقا: 8: 2 ـ 3.

مرْيمُ الْمجْدلِيّةِ ويُونّا هما اللتان حضّرتا جثة المسيح للدفن «حسب إنجيل لوقا في حدث القيامة» وهما من بشر الرسل لاحقاً بقيامة المسيح من بين الأموات وحدثوهم عن الرجلين ذوي الثياب الناصعة البياض. مريم المجدلية هي من التلاميذ المعروفين غير الاثني عشر. وفي الأناجيل هناك نساء عاينّ الصلب، وقسم آخر شاهدات على القيامة. حسب مرقس، من النساء اللواتي كنّ عند الصليب مرْيمُ أُمُّ يعْقُوب الصّغِيرِ ويُوسِى، وسالُومةُ عند الصلب، وسالُومةُ عند القبر. إنجيل يوحنا يضم مريم زوجة كلوبا عند الصلب.

**ـ الرسولية:**

ربما أن المفهوم الأكثر شمولية لتلاميذ المسيح هو كما جاء في إنجيل يوحنا (13: 34 ـ 35): «وصِيّةً جدِيدةً أنا أُعْطِيكُمْ: أحِبُّوا بعْضُكُمْ بعْضاً، كما أحْببْتُكُمْ أنا، تُحِبُّون بعْضُكُمْ، بِهذا يعْرِفُ الْجمِيعُ أنّكُمْ تلامِيذِي: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّون بعْضُكُمْ بعْضاً». يمكن أن نجد تعريف آخر في إنجيل لوقا 14.

بعض من التعاريف لكلمة تلميذ مذكورة في:

* لوقا 14: 26: «إِنْ جاء إِليّ أحدٌ، ولمْ يُبْغِضْ أباهُ وأُمّهُ وزوْجتهُ وأوْلادهُ وإِخْوتهُ وأخواتِهِ، بلْ نفْسهُ أيْضاً، فلا يُمْكِنُهُ أنْ يكُون تِلْمِيذاً لِي».

* لوقا 14: 27: «ومنْ لا يحْمِلُ صلِيبهُ ويتْبعُنِي، فلا يُمْكِنُهُ أنْ يكُون تِلْمِيذاً لِي».

* لوقا 14: 33: «هكذا إِذنْ، كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ لا يهْجُرُ كُلّ ما يمْلِكُهُ، لا يُمْكِنُهُ أنْ يكُون تِلْمِيذاً لِي».

عموماً، في اللاهوت المسيحي يعتبر مصطلح الرسولية هو أن يتحول الشخص لكي ينظر للأمور بمنظار آخر وأن يختبر الحياة التي عاشها المسيح، وبحسب مفهوم الثالوث في اللاهوت أن يختبر حياة الرب الإله.

فالرسول هو ليس من يجمع أكبر قدر من المعلومات أو الذي يغير من تصرفاته حسب الشيء الذي يطلبه المسيح، بل من يسعى بشكل أساسي أن يحذو حذو المسيح في كل طريق بالإضافة إلى تكريس نفسه لله.

**ـ ذكر أسماء الرسل في الإنجيل:**

لقد ذُكرت أسماء التلاميذ المختلفة في الإنجيل في كثير من الآيات، لكن الآيات التي جمعت أسماءهم هي:

1 ـ «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مريض وكل ضعيف. وأما أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه: الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه. يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشار. يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس. سمعان القانوي ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه»[1].

2 ـ «ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً. سمعان الذي سماه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متى وتوما يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطي الذي انقلب خائناً»[2].

3 ـ «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه. وأقام منهم اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا. ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين. وجعل لسمعان اسم بطرس. ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد. وأندراوس وفيلبس وبرثولماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمعان القانوي. ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه ثم أتوا إلى البيت»[3].

وبحسب التقليد الكنسي فإن جميع الرسل الاثني عشر استشهدوا في سبيل إيمانهم بالمسيح، وهناك روايات تتحدث عن أن يوحنا بن زبدي كان الرسول الوحيد الذي توفي وفاة طبيعية بعد الشيخوخة.

---

(1) متى 10: 1 ـ 4.
(2) لوقا 6: 13 ـ 16.
(3) مرقس 3: 13 ـ 19.

# الفصل الثالث

## ـ مواضيع الفصل:

* بداية العهد الجديد
* حياة يسوع في فلسطين
* يسوع في محيطه الحياتي
* يسوع والمرذولون في المجتمع
* موقف يسوع قاده إلى الموت

# بداية العهد الجديد

سوف نحلّل في هذا الفصل الإطار السياسي والديني الذي عاشت فيه الكنيسة الأولى، ونربط كتابات العهد الجديد بمحيطها الحياتي. ونعرض كذلك لولادة الأناجيل، أين كتبت؟ وفي أي بيئة دونت أسفار العهد الجديد؟ الأثر الروماني واليهودي في بداية المسيحية، حياة يسوع ومحيطه، تعامله مع المجتمعات القائمة في فلسطين. بالإضافة إلى ذلك سوف نحلل الإيمان الفصحي وأناجيل القيامة.

في هذا الفصل ستتعرّف إلى يسوع المسيح. هو وحده موضوع دراستنا. والشهود العديدون يتحدَّد موقعهم بالنسبة إليه. عنه تتحدّث الأناجيل، ولكن سائر أسفار العهد الجديد لا معنى لها من دونه. فبولس حين كتب إلى أهل كورنتوس جعل نصب عينيه «يسوع المسيح، بل يسوع المسيح المصلوب»

في هذا الفصل ستتعرّف إلى الكنيسة الأولى منذ رافق الإثنا عشر يسوع حتى الزمن الذي فيه كُتبت الأناجيل وسائر الأسفار. هذه الكنيسة تتأمل في أقوال الرب وأعماله، وتحاول أن تعيش حياتها في العالم على ضوء هذه الأقوال والأعمال. فالكنيسة هي امتداد المسيح. وكما تجسد المسيح وعاش في أرض فلسطين، ستتجسد هي في فينيقية وسورية وآسية الصغرى، وتصل إلى أوروبا، بل إلى أقاصي الأرض. كانت لها مشاكلها وصعوباتها، كما لها اليوم مشاكلها وصعوباتها. ولكنها تعود دوماً لا إلى العالم، بل إلى الحدث الذي أسس حياتها، إلى يسوع المسيح الذي هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

ستتعرف إلى يسوع، وتتعرف إلى الكنيسة، وتتعرف إلى كنيستنا اليوم، ستتعرف إلى العالم الذي نعيش فيه والذي يطلب «جواباً عن الرجاء الذي فينا». العالم لا يطلب

أن نردد له حكمته، وهو أدرى بها منا. بل يطلب حكمة مبنية على المسيح، مبنية على صليب المسيح الذي ينتهي بالقيامة. هذا الفصل الذي نقدمه في هذا الجزء من موسوعة الأديان والفرق والمذاهب بوجوهه الثلاثة إلى القراء للولوج إلى عالم كلام الله.

## ـ العالم الروماني:

وُلد الإنجيل في العالم الروماني الذي سيطر على كل حوض البحر المتوسط. كما وُلد في العالم اليهودي سواء ذلك العائش في فلسطين، أو ذلك العائش في ما يسمى عالم الشتات، أي المدن التي فيها تشتت اليهود فكونوا جماعات تعيش في قسم من حياتها على هامش المجتمع. ونبدأ بالكلام عن العالم الروماني، تاركين إلى فصلٍ لاحق العالم اليهودي.

حين نتحدث عن العالم الروماني القديم، نتذكر ما رأيناه في الأفلام من سباق المركبات وصراع المتحاربين في الحلبة أمام جماهير المشاهدين، وجنون كاليغولا أو نيرون... قد تخفي هذه الصور الملخصة واقعاً مهماً. وهو أن المملكة الرومانية صارت في القرن الأول المسيحي ضرورة اقتصادية فرضت نفسها حتى على المحتل نفسه، عنينا به الرومان.

### 1 ـ البحث عن سلطة قوية:

احتلت روما في القرن الأول ق.م. عدداً من البلدان. سواء في الجنوب الشرقي أي آسية الصغرى (تركيا الحالية)، سورية، مصر. أو في الشمال الغربي مثل بلاد غاليه أي فرنسا.

كان أبطال هذه المغامرات رجال مثل بومبيوس وقيصر وأنطونيوس. وقد حملهم نجاحهم في الحرب ومحبتهم للغنى على أن يحكموا البلاد دون مشاركة أحد. وهذا التعطش إلى السلطة سبب عدداً من الحروب الداخلية، انتهت بالاعتراف بإمبراطور (حاكم) واحد وكلي القدرة، اسمه أوكتافيوس (31 ق. م.). كان الإمبراطور قائد الجيوش، وهذا ما أتاح له أن يكون السيد المطلق على كل المناطق التي احتلتها روما. في النهاية عم السلام، ووُلدت سلطة قوية لا نزاع عليها.

في هذا الإطار السياسي، سُمي الإمبراطور «المخلص» و«الإله». فقد أخرج

مختلف المقاطعات من الحروب الأهلية ومن السلب والنهب التي تجرها هذه الحروب. فأهل آسية وسورية عبّروا عن اعترافهم هذا بشعائر عبادة قدموها للإمبراطور: (ذبائح، معابد، كهنة، تماثيل). وهكذا وُلدت العبادة للإمبراطور. لم يعارض أوكتافيوس هذه الممارسة بعد أن وعى أن هذه العبادة الدينية تعمل على تماسك مختلف أنحاء المملكة أو تقوي سلطة الحاكم الشخصية.

وعرف أوكتافيوس أن المواطنين الرومان يعارضون هذه العبادة، فرفض أن يؤله وهو حي، فقبل لقب أغوسطس الذي يعني «محبوب الآلهة» و«بركة الآلهة». وبعد هذا، أراد بعض الأباطرة أن يُعبدوا كآلهة مثل كاليغولا ونيرون ودوميسيان. وظل آخرون غير مقتنعين مثل فسباسيان، ولكنهم لم يمنعوا توسع عبادة تخدم مصالح الدولة والإمبراطور.

ومع ذلك، يتوزع تاريخ القرن الأول المسيحي عددٌ من الأباطرة قُتلوا، مثل كاليغولا وكلوديوس ونيرون ودوميسيان، كما تتوزعه صراعات بين الأخوة من أجل فرض خلف للإمبراطور. هذا ما حدث على أثر موت نيرون سنة 68 ب. م. وتتواجه الفرق الرومانية لتفرض قائدها كإمبراطور جديد، وهي عالمة أنها إن نجحت ستحصل على الأرض والمال. وإذ أراد الأباطرة أن يتجنبوا مثل هذه الأحداث، اعتادوا أن يسموا خلفهم وهم بعد أحياء.

وهكذا تنظمت شيئاً فشيئًا بنية سياسية جديدة. أزيل نظام القناصل الذين كانوا يحكمون سنة واحدة فقط، وحل محلهم الأباطرة الذين أُلِّهوا فتسلطوا وحدهم على الحكم حتى مماتهم.

**2 ـ لماذا السلطة القوية:**

عاش الرومان على مدى قرنين من الزمن من غنى المناطق التي احتلوها. إما احتلوا فسلبوا فاعتبروا سلبهم حقاً مكتسباً. وإما سرقوا البلدان بواسطة الحكام والتجار. سرقوا القطع الفنية، ومحاصيل الأرض. وسرقوا الرجال ليجعلوا منهم عبيداً.

اغتنى الرومان بهذا الشكل. فاستغنوا عن دفع الضرائب واعتادوا أن يعيشوا على حساب البلدان التي احتلوها. ولكن لم يعد من السهل ضم أراضٍ جديدة إلى المملكة.

ثم خف الدخل من المناطق التي دمرها السلب وأفقرها فرض الخوة على الناس. لهذا بدت الحاجة ماسة إلى سلطة قوية في نهاية القرن الأول ق. م.، لإخراج البلدان من الضائقة الاقتصادية وتنظيم غناها.

كانت المهمة الأولى لهذه السلطة مهمة عسكرية. فالإمبراطور هو قائد جميع الجيوش. بعضها يقف على حدود الإمبراطورية ليرد هجمات البرابرة. والبعض الآخر يقيم في مناطق لم تزل مضطربة مثل فلسطين. ونتج عن هذا الوضع سلام سهل شغل الأرض الذي هو ضروري لإطعام شعوب المملكة، كما أتاح للعمل التجاري أن يتوسع. ورغم ضعف وسائل النقل، غطت الطرق مناطق الإمبراطورية وربطتها بعضها ببعض، كما ازدهرت التجارة على البحر فحملت إلى روما القمح والخمور والتحف الثمينة.

أحاط بالبحر المتوسط بلدان تنتمي كلها إلى الإمبراطورية. لهذا سمي البحر المتوسط «بحرنا» (بلغة الرومان) فصار بحراً داخلياً يجوبه أصحاب البنوك وبناة السفن والتجار الكبار وكلهم يبادلون ويربحون.

وكانت المهمة الثانية لهذه السلطة أن تجمع غنى المقاطعات وترسلها إلى روما. فرتبت نظاماً إدارياً يُوصل هذا الغنى إلى هدفه. كان الشيوخ يُرسَلون إلى المناطق مرة كل سنة. أما أغوسطس فكوَّن جهازاً من الموظفين ليحل محل هؤلاء الشيوخ. أخذهم من طبقة غنية هي طبقة «الفرسان». مثلوا الإمبراطور في مختلف المقاطعات، ومارسوا العدالة ونظموا الضرائب. وفي منتصف القرن الأول، قوّى كلوديوس هذا الجهاز، فحرر العبيد ووظفهم ووزعهم في المملكة كلها. وهكذا وصل المال إلى الخزينة والقمح إلى روما.

ولكن الإمبراطورية لم تكن في تلك الحقبة دولة بيروقراطية. فقد عرف الرومان أن يشركوا الارستقراطيات المحلية في إدارة المناطق. نجحوا بما حصل عليه هؤلاء الارستقراطيون من مال وجاه. ودل الرومان بهذه الطريقة على احترامهم لخصائص كل منطقة وكل شعب. وهكذا سهلوا تكوين بنية ورثوها من الممالك الهلنستية التي تركها الإسكندر في سورية (السلوقيون) ومصر (البطالسة) ومقدونية. لقد نظموا المدن أو الحواضر. فهذه الحواضر كانت مركزاً مهماً للتجارة وتبادل السلع. أدارت منطقة

ملكية تعيش منها وتقوم بواجباتها تجاه السلطة المركزية. سنتعرف مثلاً إلى كورنتوس وتسالونيكي وأفسس... ونقول حالاً إن الرومان استخدموا هذه البنية وطبقوها على مقاطع لم تكن موجودة فيها. وهكذا ربطوا بسلطة قوية عدداً من الأوضاع المحلية كانت حاضرة النموذج الأول لها.

### 3 ـ البنى الاجتماعية والإيديولوجية:

هذا الانشداد بين السلطة السياسية والارستقراطيات المحلية، جر المجتمع إلى تناقضات يصعب حلها. ففي روما كما في المناطق، استفاد الوجهاء من السلام لكي يجمعوا الثروة. نعموا في الحواضر بالسلطة والشرفيات، وهم وحدهم يستطيعون أن يديروها بأموالهم. ولكنهم لم يعلموا أن هذه السلطة مؤقتة وعرضة للخطر، تكفي رسالة من الإمبراطور فينتهي كل شيء: تُصادر الأموال ويذهب صاحبها إلى المنفى أو إلى الموت. في مثل هذه الحال، تكون ردة الفعل الأولى أن ننعم بالحياة وأن نبذر المال وفي هذا الإطار أيضاً توسعت فلسفة احتقار هذا العالم واسمها الرواقية:

«أقر الحكيم أنه يعيش في عالم لا يستطيع أن يبدل فيه شيئاً، فانزوى على نفسه وترك القدَر يصنع ما يشاء. لم يكن أكيداً من الحرية السياسية، فاستنبط لنفسه الحرية الداخلية». هذه هي الرواقية التي انتشرت في كل أنحاء الإمبراطورية وبلغت إلى كل طبقات المجتمع. مثلاً، كان إبيكتات، وهو المولود سنة 50، عبداً لأحد الأغنياء فقضى جزءاً من حياته واعظاً متنقلاً في آسية الصغرى (هذا ما سيكونه بولس).

هذا الحماس لا يُدهشنا، لأن عالم الفقراء وهو الأكثر عدداً، وجد نفسه في وضع اجتماعي لا يستطيع الخروج منه. فالعبيد العديدون في المدن الكبرى يخصون معلميهم (هو يملكهم كما يملك ثوره أو حماره). وإن تحرروا ظلوا مرتبطين بمواليهم (مثلاً، يأخذون اسم مولاهم السابق). ويبقى الأحرار. إنهم فقراء ولذا عليهم أن يعملوا ويكدوا. ولكن العمل اليدوي يحط من قدر الإنسان ويجعله غير أهل للحرية.

عرف الشعب أن عليه أن يُولد ويحيا ويموت دون أمل بتقدم اجتماعي. وبدا له العالم مطبوعاً بالقدر. بحث عما يحركه فلجأ إلى الاسترولوجيا أو علم الكواكب. وإذ عرف مسيرة الكواكب ترجى أن يسيطر على قدر يُفلت منه.

وفي هذا العالم المغلق انتشرت الديانات الجديدة، انتشرت الديانات السرّانية.

جاءت من الشرق إلى الغرب فوصلت شيئاً فشيئاً إلى عظمى مدن الإمبراطورية. وتعارضت في مبادئها كما في ممارساتها مع الديانات الرسمية. كان لكل حاضرة آلهتها. ولكن حُصرت عبادتهم بالمواطنين الأحرار، وأمن لهم الأكرام الوجهاء من كهنة وحكام، فقدموا لهم الذبائح والتقدمات.

هذه الديانات الرسمية لا تهم الذين لا يستطيعون البلوغ إلى سياسة الحاضرة. أما الديانات السرانية فتلغي الفوارق بين الأعراق والطبقات. فسواء كان المتدرجون أحراراً أم عبيداً، مواطنين أم غرباء، فهم يصبحون أخوة ويبلغون إلى عالم جديد هو العالم السماوي. ويرمز إلى هذا التحول احتفالات تشدد فيها الهلوسة والانخطاف على تجديد الأفراد. ورافق هذا الغليان الديني تفسير نظري للعالم. إنه الغنوصية (أي عالم المعرفة). لا تنطلق هذه المعرفة من الدرس والبحث والمراقبة، بل هي محفوظة للمتدرجين بواسطة الروح الإلهي. تقول الغنوصية إن العالم مقسوم بين الخير (العالم السماوي) والشر (المادة). غطس العالم في هذه المادة لأنه خلق بتغطيس شرارة إلهية في هذا العالم المادي. والمعرفة (أو: العرفان) وحدها كما يوحي بها «مخلص» جاءت من عالم السماء، تتيح للمتدرج أن يتحرر من التصاقه بالمادة وأن يعود إلى الدائرة السماوية. هذه الغنوصية أتاحت للفقراء أن يتجاوزوا وضعهم كأشخاص أدنياء في المجتمع، وأن يبلغوا بالوحي إلى العالم السماوي.

هل هذا بعيد عنا ونحن نهتم بالأبراج والمغامرات الهائلة، ونحن نترك الخيال لا الواقع يسيطر علينا؟ ويبقى أن المسيحيين الأولين تأثروا بهذا المحيط الفكري. إذن، لن نعجب حين نرى بولس يهاجم المسيحيين المأخوذين بهذه الميول السرانية (مثلاً، في كولسي)، ويوحنا يهاجم النظريات الغنوصية. هذا العبور إلى العالم الوثني لا ينسينا العالم اليهودي الذي فيه ترعرعت المسيحية الأولى. هذا ما سيكون محور موضوعنا المقبل.

**ـ العالم اليهودي:**

يشكل العالم اليهودي وسط الإمبراطورية الرومانية عالماً له خاصيته. غير أنه يختلف كثيراً حسب المناطق والأوضاع. فكيف نفهم هذه الخصائص وهذا التوسع داخل العالم الشرقي والغربي على السواء؟

### 1 ـ وحدة واختلاف:

قُسِّم العالم اليهودي في القرن الأول للمسيحية إلى قسمين: اليهود الذين يقيمون في فلسطين، واليهود الذين يسكنون مناطق وثنية يسمون «الشتات». وهذه الهجرة التي تعود إلى زمن بعيد قد قويت في بداية المسيحية: فالحروب الأهلية والفقر والضرائب، كل هذا دفع اليهود إلى التشتت في بلدان يسمونها بلاد منفاهم.

يبدو أن اليهود كانوا حوالي أربعة ملايين، فشكلوا سبعة بالمئة من سكان الإمبراطورية. عاش ثلاثة أرباعهم خارج فلسطين وذلك جيلاً بعد جيل منذ القرن الثامن ق. م. أقام هؤلاء اليهود خصوصاً في المدن الكبرى، مثل الإسكندرية، روما، إنطاكية، طرسوس، أفسس... كما أقاموا في بابلونية وهي تقابل اليوم بلاد العراق وبعضاً من إيران. مثل هذا التشتت الكبير والطويل، خلق عادات وكوّن عقليات نُجمل ميزاتها فيما يلي:

منذ ثورة المكابيين، حاول سكان فلسطين أن يعيشوا في «دولة يهودية»، وعملوا جهدهم لكي يحموها من الهجمات الخارجية. ولما احتل الرومان فلسطين، اشتعلت الروح الوطنية وخلقت حركات وثورات شعبية، سنتحدث عنها فيما بعد.

واندمج يهود الشتات في الإمبراطورية، وسعوا للحصول على مواطنية مدينتهم والمواطنية الرومانية لما فيها من امتيازات. لا ننسى مثلاً أن بولس كان مواطناً رومانياً وباسم هذه المواطنية سيرفع دعواه إلى قيصر.

كانت لغة اليهود في فلسطين وبابلونية الآرامية، أما يهود المدن الهلنستية والمتحضرة بالحضارة اليونانية التي حملها الإسكندر، فكانت لغتهم اليونانية. تلك كانت لغة بولس وأبلوس، ولغة فيلون المفكر اليهودي الاسكندراني.

كان يهود فلسطين بمعظمهم من الفلاحين، وعاشوا حالة وضيعة. أما يهود الشتات، وإن لم يكونوا جميعهم أغنياء، إلا أنهم كلهم ينعمون بتفوق ابن المدينة على ابن الريف. ويرى المؤرخون أن أوساط فلسطين الارستقراطية قد تحضرت بالحضارة الهلينية. والاختلاف بين منطقة ومنطقة أبرز الفرق بين أغنياء وفقراء. وبمختصر الكلام، تضمن هذا العالم اليهودي أناساً مختلفين: هم لا يحاربون من أجل الحقوق عينها. لا يتكلمون اللغة الواحدة. ويعيشون في ظروف اجتماعية ودينية مختلفة. ومع ذلك،

فهم يقرون بأنهم شعب واحد، ويفتخرون بأن يكونوا يهوداً. قال بولس في فل 3: 5: «أنا الذي اختتن في اليوم الثامن، والذي هو من آل إسرائيل، من سبط بنيامين، الذي هو عبراني ابن عبراني ومن جهة الناموس فريسي». منذ المنفى (587 ق. م.) حافظ اليهود على عادات تميزهم عن الوثنيين كالختان وحفظ السبت. وساند المجمع (أو الكنيس، موضع الصلاة) هذا المجهود. فهو بناء ومؤسسة يجمع اليهود في كل موضع تشتتوا فيه. إنه مكان الصلاة يوم السبت، وهو مدرسة في أيام الأسبوع، وفيه تُعقد المحكمة إذا لزم الأمر. ونجح يهود الشتات بأن يجعلوا الرومان يقرون بخصائصهم. فمنحهم يوليوس قيصر ثم أغوسطس امتيازات تتيح لهم بأن يعيشوا حسب شريعتهم، وبأن يدفعوا الجزية للهيكل. تماسك داخلي واعتراف خارجي، هذا ما أتاح لليهود في الشتات أن يحافظوا على هويتهم.

نشير هنا إلى أن الشعب اليهودي لا يعود إلى أصل واحد. فعلى مر العصور، انضمت إليه قبائل عاشت في فلسطين أو في جوارها. وفي القرن الأول ق.م. ارتد عدد من الوثنيين إلى الديانة اليهودية وأخذوا بكل فرائضها، بما فيها الختان، فسموا «المرتدين» واعتُبروا يهوداً. وتعاطف آخرون مع إيمان شعب إسرائيل، فلم يقبلوا بالختان، فسموا «المتقين» و«خائفي الله»[1]. لم يُعتبر المتقون من اليهود، بل من الوثنيين. لهذا، خاصم مسيحيو أورشليم بطرس لأنه أكل مع كورنيليوس الذي لم يزل في عرفهم وثنياً لا يهودياً[2].

وتأتي وحدة الشعب اليهودي أولاً من الموضع المركزي الذي تحتله في حياتهم الشريعة والأنبياء (هذه المجموعة ستسمى «بيبليا» عند يهود الشتات). اعتقد اليهود أن الله يتكلم بواسطة هذه الكتب، فاجتمعوا كل سبت في المجمع ليقرأوها ويفسروها. وهذه الممارسة ستساعد على تنظيم الجماعات اليهودية بعد دمار هيكل أورشليم سنة 70 ق. م. صار المجمع موضع لقاء ومشاركة. وكانت أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتب مكتبة تجمعت في القرن الأول المسيحي في لائحة هي اللائحة القانونية أو الأسفار القانونية.

---

(1) أعمال 10: 2. كذا كان كورنيليوس؛ 16: 14: ليدية.

(2) أعمال 11: 2.

### 3 ـ قراءات مختلفة ومتعارضة:

اختلف اليهود في القرن الأول المسيحي، فاختلفت قراءاتهم للتوراة: هم من الشتات أو من فلسطين، هم فقراء أو أغنياء، هم من هذا الميل الديني أو السياسي أو من ذاك. ويختلف الواحد عن الآخر بإحساسه، بطريقة فهمه، بالمنفعة التي يبحث عنها. وهذا ما أعطانا فيضاً من الكتب المتنوعة لم يبقَ لنا إلا قسم منها.

وتعطينا مكتبة قمران التي اكتشفت في برية يهوذا فكرة عن هذه المكتبة. كان «الاسيانيون» (وهم جماعة قمران) يهوداً خاصموا رؤساء الكهنة فانعزلوا في البرية مئة سنة قبل المسيح، وأسسوا شيعة زالت مع دمار أورشليم (70 ب. م.) وأخفوا، خلال هذه الأحداث الدراماتيكية، أثمن مخطوطاتهم التي اكتشفت بالصدفة سنة 1947. نجد فيها أسفار التوراة، التفاسير، المدائح والمزامير، الرؤى، قواعد الجماعة.

دُونت التوراة في العبرية. ولكن لم يعد يفهمها اليهود الذين يتكلمون اليونانية أو الآرامية. وكانت ترجمة فرضت نفسها في شعائر العبادة وفي المجمع. هي السبعينية، وهي ترجمة يونانية تمت في القرن الثالث ق. م. في مدينة الإسكندرية، وهو الترجوم الذي هو ترجمة آرامية. هاتان الترجمتان ليستا حرفيتين. بل هما تفكران النص العبري ليصبح مفهوماً في لغة وحضارة مختلفة. هاتان الترجمتان تؤولان النص وتشرحانه وتخلقان نصاً جديداً.

يعتبر اليهود أن في شريعة موسى جواباً على كل شيء. والحال أن المجتمع يتطور، فلا تعود الشريعة تتجاوب والأوضاع الجديدة. إذن، لا بد من سد هذا الفراغ. فتخصص يهود في هذه الدراسة وسموا الكتبة (جمع كاتب) أو السفرة (جمع سافر، من سفر الكتاب أي كتبه). تنظموا في مدارس متعارضة، وبحثوا عن تفاصيل عديدة قد لا تكون مهمة، فقدموا أدباً بدأ شفهياً ثم دُون خطياً هو: المشناة. إنها إنضمامة مجموعات تُذكر فيها الحالات الجديدة والأجوبة الممكنة والمتضاربة.

وسببت خصائص العالم اليهودي في الشتات احتقاراً وارتياباً من قبل الوثنيين. وإذ أراد اليهود أن يدافعوا عن أنفسهم، دونوا كتباً يقنعون بها الآخرين بقيمة الشرائع التي تميزهم. استعادوا مقولات معاصريهم ووضعوا فيها توراتهم. وهكذا صار موسى أعظم الفلاسفة، كما يقول سفر المكابيين الرابع (كتاب منحول). وقدمت الشريعة اليهودية

على أنها حكمة تليق باليونانيين. وتجرأ بعضهم فقدم كاهنة وثنية هي السيبيلة، فأعلنت أقوالاً ملهمة تعظم الشريعة اليهودية (أقوال سيبيلة). وقام بعمل الدفاع هذا رجل ترك لنا اسمه هو: فلافيوس يوسيفوس. بعد أن شارك في الثورة اليهودية (66 ـ 70) أراد أن يعيد اعتبار شعبه في عيون الرومان، فكتب تاريخاً هو «الحرب اليهودية». استعمل نبوءات قديمة ففصل اليهود الصريحين عن الثوار الذين يستحقون عقاباً من روما. وإذ أراد أن يعرف العالم بشعبه، دون كتاباً آخر استعاد فيه التاريخ الذي تتضمنه التوراة وسماه: القديميات اليهودية.

دل هذا الأدب على أن بعض الأوساط اليهودية الهلينية (مطبوعة بالحضارة اليونانية) قد ترجمت إيمانها في فكر يوناني. وسيجد هذا المجهود ذروته في أبحاث فيلون الاسكندراني. عاصر القديس بولس، وكان يهودياً حقيقياً، فشرع يفسر التوراة منطلقاً من الفلسفة الأفلاطونية ومن الرواقية. أخذ بعين الاعتبار النظرة اليهودية التي تقول: إن الله يعمل في التاريخ. وأدخل هذه النظرة في نهج فكري يعتبر أن لا إحساس للألوهة، وأن الإله لا يتصل بهذه الأرض. وتوصل إلى هذا القول معلناً أن الله يعمل بصورة غير مباشرة في العالم؛ يعمل بكلمته، يعمل بروحه. فكان كلامُه صدىً للنظريات الفلسفية اليونانية. وحوّل في هذا العالم العقلي تفاصيل الأخبار البيبلية إلى تعاليم روحية كفيلة بأن توجه حياة الحكماء (أليغوريا، مجاز). نحسّ بعض المرات أن هذا المجهود مصطنع. ولكنه يشدد على ضرورة تأوين التوراة، وإعادة كتابتها في حضارة أخرى.

ودفع الوضع السياسي المؤمنين إلى صياغة أدب آخر هو الأدب الجلياني أو الرؤيوي. احتفظت لنا البيبليا بسفرين شاهدين عن هذا الأدب: سفر دانيال، رؤيا القديس يوحنا. عندما نذكر كلمة رؤيا نتخيل رؤى غريبة ومخيفة. لا شك في أن هذا الأدب يضع أمامنا وحوشاً وكائنات رهيبة، فيصورها مستلهماً أساطير تعود إلى العالم الوثني (مثلاً، بلاد فارس). لجأت كتب الرؤى إلى هذه الصور لتفسر مواعيد تضمنتها التوراة وكذبها التاريخ. فالله وعد شعبه بأن يكون أميناً لعهده معه. والحال، إن اليهود المقيمين في فلسطين يعرفون الاضطهاد والاحتقار والتسلط من قبل الغرباء... فما الذي بقي من هذه المواعيد؟

لهذا تكوَّن أدب خاص ليفسر سر هذا التاريخ. فتوزع بين تفسير للشر المنتشر في

العالم (كتاب أخنوخ، عزرا الرابع) وبين تصوير يوم الرب الذي فيه يتمجد إسرائيل (سفر باروك الثاني، قاعدة الحرب في قمران). انطبع الانتقال إلى هذا العالم الجديد، الذي حاول الكتاب أن يحسبوا ساعة مجيئه بتنظيم روزنامات، انطبع بعلامات غريبة، بحروب ضد روح الشر (الشيطان) المتجسد في الممالك المعادية. وظهر شخص بأوجهه المتعددة ليفرض ملكوت الله على العالم: إنه المسيح (اختاره الله ومسحه بالزيت المقدس وأرسله) أو داود الجديد كما تقول مزامير سليمان. إنه كاهن بحسب وثيقة دمشق التي اكتُشفت في قمران. إنه ابن الإنسان كما يقول سفر عزرا الرابع. نحن هنا أمام أدب متعدد ومتضارب، وهو يرتبط بتيارات متنوعة، بل متناقضة.

هذه الكتب تجعلنا أمام مجموعة من القراءات الممكنة للتوراة. ومع أنها متضاربة فقد أخذ بها العالم اليهودي، وهو العائش في أوضاع مختلفة. ووُلدت المسيحية في هذا العالم. انطلقت من فلسطين وانتشرت مستعملة المجامع تعلم فيها. وفسرت هي أيضاً الكتاب المقدس مستفيدة من بعض القراءات اليهودية، المعروفة في العالم الجلياني أو عند الرابانيين (أو المعلمين). وإذ فعلت هذا، أخذت بالممارسة المعروفة في أيامها.

ولكن ما عتمت المسيحية أن صارت موضوع شك وارتياب. فاضطُهدت، وفي النهاية رُذلت. وكان هذا الرذل نتيجة عنصر جديد دخل في تفسير الكتاب المقدس، وهذا العنصر الجديد يعطي الأسفار المقدسة معناها الحقيقي والأخير. هذا العنصر هو إنسان اسمه يسوع. في هذه النظرة، فقدت شريعة موسى سلطتها السامية، وحل محلها الإيمان بيسوع المسيح. وهذا التبديل سيقود بعض الرسل إلى الحدث. آمنوا بهذا الرجل الذي اسمه يسوع، فتجرأوا أن يحيوا هذه الحياة الجديدة، أن يسيروا في هذا الطريق أو النهج الذي حملوه إلى أقاصي الأرض.

وهكذا بعد أن تعرفنا إلى المحيط الذي وُلدت فيه أسفار العهد الجديد، نود أن نتعرف إلى ملهم هذه الأسفار، إلى يسوع المسيح.

ليس هو بخيال لا جذور له. إنه إنسان من عصره. وهذا يعني بالنسبة إلينا أن موقعه محدد في جماعة خاصة وفي شعب معروف. وقد قبل يسوع بوضعه، فقام بأعمال دلت على خياراته ويقيناته. وهكذا حدد موقفه بالنسبة إلى مواقف أخرى، وأظهر طريقة تتعارض وطرائق أخرى.

وهكذا سنتعرف إلى يسوع الذي هو إنسان من عصره، في ثلاثة مواضيع: يسوع رجل عاش في فلسطين، يسوع في محيطه الحياتي، موقف يسوع قاده إلى الموت.

لن نروي سيرة يسوع، بل نحدد موقعها في عالمه، ونشير إلى بعض الأحداث التي لها معناها في حياته. ونفسر هذه الأحداث فنتجاوز محاولة بناء تاريخ قد مضى. ونحاول أن لا نخون المراجع التي تساعدنا على اكتشاف يسوع الذي هو إنسان مثلنا، نحاول أن لا نخون الأناجيل. سوف نعود إلى الأناجيل وسنعرف أنها ليست ريبورتاجاً ولا تاريخاً. دُونت بعد الأحداث، فتوجهت إلى الجماعات المسيحية في القسم الثاني من القرن الأول. لم يحتفظ كتابها إلا ببعض أحداث حياة يسوع، تلك التي بدت لهم مهمة لتجاوب على تساؤلات كنائسهم.

فعبر هذه المراجع «الناقصة» (أي لا تحتوي كل ما قاله يسوع وعمله) التي دونت بعد الأحداث بيد كتاب محددين في الزمان والمكان، نكتشف يسوع. نحن لا نروي كل خبر يسوع، فهذا مستحيل. ولكننا نتعرف إلى يسوع كإنسان من عصره، كإنسان من لحم ودم عاش في فلسطين ومات من أجلنا ومن أجل خلاصنا نحن البشر.

# حياة يسوع في فلسطين

عاش يسوع كل حياته في فلسطين. وقضى القسم الأكبر منها في الجليل. بلاد يسوع هي أرض تقع بين البحر والصحراء. كانت مهمة من الناحية الجغرافية، لأنها شكلت طريقاً بين مصر وسورية للجيوش والقوافل. إذاً، كانت فلسطين مهمة لجيرانها بسبب موقعها الاستراتيجي. لهذا سنتعرف إلى فلسطين في بداية القرن الأول المسيحي. ثم نحدد موقع يسوع في محيطه الاجتماعي والاقتصادي. وإذ نعرف أن الإنسان يتجذر في حياة شعب وتقاليده، نعرف أن يسوع ورث حضارة شعبه وتخلق بتقاليده.

## أ ـ فلسطين في القرن الأول المسيحي:

إذا أردنا أن نتعرف إلى فلسطين كما بدت في زمن يسوع، نعود إلى وثائق ودراسات تاريخية هي في حوزتنا. ونحن نكتفي بتقديم الخطوط الكبرى لهذا التاريخ، لكي ندرك الوضع الاجتماعي الذي عاشه الشعب في ذلك الزمان.

### 1 ـ الوضع السياسي والإداري:

«في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر، حين كان بونسيوس بيلاطس (أي: بيلاطس البنطي) والياً على اليهودية، وهيرودس تتراخساً (أي رئيس الربع) على الجليل، وفيلبس أخوه تتراخساً على بلاد أيطورية وبلاد تراخونيتس، وليسانياس تترارخساً على أبيلينة، وحنان وقيافا رئيسي الكهنة، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية»[1].

(1) لو 3: 1 ـ 2.

بهذا الكلام يجمل لوقا الإطار التاريخي قبل أن يبدأ يسوع حياته العامة. تتطرق هذه اللوحة إلى مناطق فلسطين: اليهودية، السامرة، الجليل. وإلى المناطق المجاورة: إيطورية، تراخونيتس وأبيلينة. يحكم هذه المناطق «ملوك» (هم ملوك صغار، تترارخس أي يحكم كل واحد على ربع مملكة هيرودس الكبير)، فيأخذون جزءاً من محاصيل الأرض، ويجعلون الناس يعملون في السخرة، وهكذا يستطيعون أن يعيشوا في الرخاء، أن يجعلوا حولهم الخدم والحشم، أن يخلدوا أسماءهم في أبنية يشيدونها. ففي زمن يسوع، شيد هيرودس انتيباس، تترارخس الجليل، عاصمة جديدة سماها طبرية (قرب بحيرة طبرية)، تيمناً باسم الإمبراطور طيباريوس قيصر.

في التعداد الذي يقدمه لوقا، هناك مقاطعة ناقصة. هي السامرة. يحكمها بونسيوس بيلاطس كما يحكم اليهودية وهي جزء من فلسطين (المنطقة الوسطى). لماذا أغفل لوقا هذا الاسم؟ قد يكون سبب ذلك الخلافات بين اليهود (أو: مقاطعة يهودا، عاصمتها أورشليم) والسامريين. فالسامريون اضطهدوا كهراطقة على يد عظماء الكهنة في أورشليم مئة سنة ق. م تقريباً. ومنذ ذلك الوقت سمم بغضٌ عنيف العلاقات بين اليهود والسامريين، فاتهمهم اليهود بأنهم ينجسون الأرض بحضورهم.

مهما يكن سبب هذا الإغفال، فجمالة لوقا تُبرز النظام السياسي الذي فيه تعيش فلسطين. الأول هو الإمبراطور طيباريوس. إنه السيد المطلق في البلاد. وهو يحكم عبر أشخاص يعينهم. تسلم السلطة في اليهودية (أو يهودا) والسامرة والٍ روماني عينه الإمبراطور. وتسلمها في سائر المناطق أبناء هيرودس الكبير الذي حكم فلسطين سنة 37 ـ 6 ق. م. غار الإمبراطور على سلطته، فانتزع منهم لقب الملك، وأحل محله لقب تترارخس. ولم يتورع عن سلبهم سلطتهم. واليهودية هي أفضل مثال على ذلك.

تعب أغوسطس من شكاوى وجهاء اليهود الذين أكثروا من البعثات إلى روما وهم يتهمون أرخيلاوس بالتسلط والاستبداد، فعزل هذا الذي كان ابن هيرودس الكبير، وأحل محله والياً إمبراطورياً، وكان ذلك في السنة السادسة بعد المسيح.

هذا التبديل في النظام، تم بتحريض من الوجهاء اليهود وعظماء الكهنة والشيوخ. فقد كان هيرودس الكبير قد وضع يده على سلطتهم وتوج ملكاً. وحين عملوا على عزْل ارخيلاوس أحسوا أنهم صاروا الرؤساء السياسيين في اليهودية ومحاوري روما الوحيدين.

لا شك في أن روما تدير البلاد، ولكنها تحتاج إلى رضى رئيس الكهنة والشيوخ لتحكم في سلام. لهذا كانت روما تسندهم من جهة، وتراقب سلطتهم من جهة أخرى.

وكان لوقا عارفاً بالوضع حين تحدث عن كهنوت حنان وقيافا. من الوجهة النظرية، يبقى رئيس الكهنة في وظيفته طوال حياته، وكانت سلطته وراثية. تخوف الرومان من قوة هذه السلطة. لذلك عزلوا حنان سنة 15 ب. م. وإذ أرادوا أن يظلوا على وفاق مع الارستقراطية اليهودية، عينوا صهره قيافا رئيس كهنة.

إذاً، كانت فلسطين خاضعة لسلطات عديدة تعود كلها إلى الإمبراطور. فإن خسروا رضاه كان عقابهم العزل أو المنفى. هذا ما حدث لبونسيوس بيلاطس وهيرودس انتيباس فذهبا إلى المنفى. من أجل هذا، كان أصحاب السلطة يبحثون عن الغنى السريع، وكانوا قساة مع سكان يجب أن يقمعوا فيهم كل حركة تمرد.

## 2 ـ الوضع الاقتصادي:

تداخلت هذه البنية السياسية مع وضع اجتماعي تعمقت فيه الهوة بين الأغنياء والفقراء. وهذا ما ندركه حين ندرس النظام الاقتصادي في فلسطين، متوقفين بصورة خاصة على ما تقدمه لنا الأمثال الإنجيلية.

### أولاً: النظام الاقتصادي

نجد أولاً الصناع وأصحاب الحرف وهم يتوزعون في القرى. مثل يسوع النجار في الناصرة. ولكن نتاج هذه الصنعات لا تُصدَّر إلى خارج القرى، وهو لهذا لا يُؤمِّن الربح الوفير. وتبقى الزراعة والتجارة النشاطين المهمين اللذين يعتمد عليهما العالم القديم. كانت فلسطين تنتج القمح والشعير، واشتهرت بخمرها وزيتها. إلا أن هذا الغنى كانت تصيبه الضرائب في العالم الروماني. يؤخذ الربع من الغلال. تجمعه الارستقراطية اليهودية والوثنية وترسله إلى مدن الإمبراطورية ولا تنسى حصتها. مثل هذا النظام الاقتصادي لا يُلغي ذلك الذي عرفته دولة إسرائيل التيوقراطية، ولكنه لا يوافقه. وجعل الكهنة الذين يحكمون البلاد، من أورشليم، المدينة المقدسة، موضعاً تتوجه إليه الأموال المرتبطة بالضرائب كما بالتقدمات الطوعية. فعلى المزارع أن ينتزع كل سنة من غلته العشر (أي: عشر محصول الأرض) وبواكير كل محصول. فإذا زدنا على هذا ما تطلبه روما، تصبح الحالة في وضع لا يُطاق. لهذا حاول الفلاحون أن يتهربوا من

واجباتهم «الدينية». وإذ خاف عظماء الكهنة من الخسارة، استعملوا القوة فأرسلوا رجالهم يحملون غلة أخفاها الفلاحون داخل بيوتهم. وهناك ضريبة أخرى تُفرض على كل يهودي هي ضريبة الدرهمين: كان على كل يهودي ذكر أن يدفعها حين يصبح ابن عشرين سنة، وكان يدفعها كل سنة. كانت هذه الضريبة تُجمع في العالم كله وتوجه إلى أورشليم بحماية الجيش الروماني. ويسوع نفسه سوف يدفعها مع بطرس[1].

ولا ننسى أن مراسم الحج التي تفرضها الشريعة الإلهية في أعياد الفصح والعنصرة والمظال تجلب المال من يهود العالم كله لفائدة الارستقراطية الكهنوتية التي تهيمن على التجارة في الهيكل. إذاً، خلق هذا النظام الاقتصادي ارستقراطية غنية مؤلفة من كهنة ويهود محظوظين، وترك الطبقات الفقيرة تتخبط في مشاكلها. غطت الديون هؤلاء الفلاحين الصغار، فباعوا أرضهم للملاكين الكبار وانضموا إلى المياومين أو إلى قطاع الطرق. في هذه اللوحة الإجمالية تبرز الجليل، كما نراها في الأناجيل، بصورة تلفت النظر.

**ثانياً: الجليل**

«في تلك الأيام جاء يسوع من الناصرة في الجليل، وتعمد على يد يوحنا في نهر الأردن»[2]. «وبعد اعتقال يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل»[3].

تبرز هاتان الآيتان المأخوذتان من إنجيل مرقس أهمية الجليل في حياة يسوع. فقد قضى هناك الثلاثين السنة الأولى من حياته (والتي تساوي الحياة الخفية)، وإلى هناك عاد بعد عماده ليعيش حياته كنبي.

الجليل هو أغنى منطقة في فلسطين. ترويه ينابيع عديدة، فيحتوي الغنى الأهم في عالم البحر المتوسط وهو الماء. كان الجليل بأرضه الغنية أهراء قمح فلسطين، كما كان بموقعه ملتقى الطرق التجارية. فمنذ أقدم العهود، مرت القوافل من سورية إلى مصر بما سمي «طريق البحر». وقد استعمل الرومان هذه الطرق وحسنوها. في هذه المنطقة الغنية زاد الشرخ بين الأغنياء والفقراء. هذا ما نستشفه عندما نقرأ الأمثال الإنجيلية.

---

(1) متى 17: 24 ـ 27.

(2) مر 1: 9.

(3) مر 1: 14.

### 3 ـ الوضع الاجتماعي في الأمثال الإنجيلية:

#### أولاً: ملاكون كبار وعمال

كل منا يعرف أقله بعض الأمثال: الزارع[1]، الابن الشاطر أو الابن الضال[2]. . . هي أخبار تضع أمامنا أشخاصاً من الحياة اليومية: الزارع، رجل المغامرات، ربة البيت، القاضي. . . أراد يسوع أن يتشبه بوعاظ عصره، فقدم تعليماً ملموساً. لهذا، تعطينا الأمثال لمحة سريعة إلى أحداث الحياة اليومية مع نوعين من الناس: الملاك الغني وخادمه أو العامل في بيته. نجد الملاكين الكبار الذين يغيبون من أجل سفر طويل أو من أجل التجارة. هذا ما فعله صاحب الكرم[3] قبل أن يسلم الكرم إلى عماله. هذا ما فعله رب البيت قبل أن يوصي البواب بالسهر[4]. وهذا ما فعله ذلك الذي أعطى خدمه خمس وزنات ووزنتين ووزنة واحدة[5]. هؤلاء الملاكون هم أغنياء[6] وغناهم يأتيهم من الأرض. مثلاً، ذاك الرجل الذي أغلت أرضه غلات وفيرة فلم يعد يعرف ماذا يفعل بها[7].

أراضيهم واسعة وهم يسلمونها إلى وكلاء ليستغلوها[8]. ونجد درساً لدى الوكيل الخائن (غير الأمين): أراد أن يفلت من الشقاء فزور صكوك معلمه. علام تكلمت هذه الصكوك؟ عن الزيت والقمح. ويبدو هؤلاء الملاكون ظالمين وقاسين في الأعمال. هذا ما يقوله صاحب الوزنة الواحدة. لم يستغل وزنته. والسبب قاله لسيده: «عرفتك رجلاً قاسياً تحصد حيث لم تزرع، وتجمع حيث لم تبذر». لا يقول له سيده إنه أخطأ في حكمه، بل يستعيد في جوابه ما قاله هذا العبد الكسلان: «عرفتني أحصد حيث لا أزرع». ونجد العبيد والخدم العديدين مع هؤلاء الملاكين الكبار. هم يعملون في

---

(1) متى 13.
(2) لو 15.
(3) مر 12: 1.
(4) مر 13: 34.
(5) مت 25: 14 ـ 18.
(6) لو 16: 19.
(7) لو 16: 12 ـ 21.
(8) مر 12: 1 ـ 2.

الحقل أو يخدمون معلمهم[1]. بعضهم عبيد والبعض الآخر عمال مياومون. نتذكر هنا عمال الساعة الحادية عشرة (أي الساعة الخامسة مساءً. اشتغلوا ساعة فقط). استوحى يسوع مشهداً يومياً تعيشه قرى الجليل. فالعمال المياومون ينتظرون في ساحة القرية من يتكرم ويُرسلهم إلى كرمه[2].

كان هؤلاء المياومون فلاحين قُدماء. تكاثرت الديون عليهم فباعوا أرضهم. هذا ما نفهمه من مثل العبد الذي لا يستطيع أن يوفي دينه: عليه أن يبيع كل ما يملك، وحتى نفسه وامرأته وأولاده[3]. شركاء، خدام، عبيد، مياومون. هذا هو الوضع الاجتماعي للفلاحين كما نكتشفه في الأمثال الإنجيلية. هم يخضعون لسيد قدير، ولهذا هم محتقرون، وقد سموا «شعب الأرض»، أي الشعب الملتصق بالأرض.

**ثانياً: من الذل إلى الثورة**

كان للجليل سمعة سيئة. وكان يهود أورشليم ويهوذا يشكون بنقاء عرق الجليليين فيقولون: في عروقهم دم وثني. وزاد احتقار اليهود لهؤلاء الجليليين، لأنهم يخالفون الواجبات الدينية الأساسية. بُعدهم من أورشليم يمنعهم من القيام بالحج في الأعياد الكبرى الثلاثة. وفقرهم يمنعهم من دفع العشر، وهذا ما يجعل طعامهم نجساً. ثم اعتبر اليهود أن أهل الجليل يجهلون الشريعة وبالتالي لا يمارسونها. كل هذه الأسباب جعلت شعب الجليل يعيش وضعاً محتقراً. ولهذا نبتت عنده الثورات.

بمناسبة إحصاء قام به الرومان سنة 6 ب. م، ثار الشعب وتبع يهوذا الجليلي. الظاهرة دينية. ولكن الحقيقة هو أن سبب هذه الثورات هو جزية الرأس. يتم الإحصاء ويدفع كل واحد ما يتوجب عليه. قمع هذا التمرد بقسوة، ولكن ظل كالنار تحت الرماد يشعلها «الإرهابيون» (أصحاب السيوف) والغيورون أو المندفعون الذين كان منهم أحد تلاميذ المسيح: سمعان الغيور أو ربما سمعان الذي من قانا الجليل.

وظل الجليل موضع شك من قبل السلطة السياسية التي قمعت بشدة كل تجمع جليلي. هذا ما نستشفه من الحدث الذي وصل إلى يسوع: تجمع بعض الجليليين

(1) لو 7: 17 ـ 10.
(2) مت 20: 1 ـ 16.
(3) مت 18: 23 ـ 35.

المتحمسين، فمزج بيلاطس دماءهم بدماء ذبائحهم[1]. وقد تجذرت هذه الثورة الخفية في رجاء مسيحاني عميق. لقد هيأ الأدب الجلياني معاصري يسوع لحروب آخر الأزمنة من أجل إقامة الفردوس السماوي على الأرض.

**ثالثاً: وكان يسوع من الجليل**

عاش يسوع حوالي 30 سنة في الناصرة. كان نجاراً في هذه القرية الصغيرة من قرى الجليل، التي لم تذكرها التوراة ولا التلمود ولا يوسيفوس المؤرخ. ارتفعت 350 م عن سطح البحر وابتعدت أربعة كلم ونصف عن سافوريس، عاصمة الجليل القديمة، التي فيها ثار يهوذا الجليلي. ونشاط يسوع جعله يتصل بعالم الفلاحين. ولما بدأ الناس يتحدثون عنه، حاول أقرباؤه أن يعيدوه إلى «القبيلة». ولماذا كانت ردة فعلهم على هذا النحو؟ لأنهم خافوا من ملاحقات الدولة. ولأنهم شعروا أيضاً أن يسوع ترك وضعه الاجتماعي. قالوا: «فقد صوابه»[2]. «أما هو النجار، ابن مريم؟ أما أخواته عندنا هنا»[3]؟ كيف تجرأ فخرج من الحالة التي وُلد فيها؟

وبعد أن اعتمد يسوع عاد إلى الجليل. هناك اجتمع الناس حوله، وهناك اختار رسله[4]. وهناك سيقضي القسم الأكبر من حياته. وفي الجليل موطنه، سيجتمع التلاميذ بعد موته.

وأخيراً، إن جوهر الإنجيل الذي أعلنه يسوع (مجيء الملكوت، حضوره الخفي الذي بدأ يتحقق) يتجذر في هذا الرجاء الذي عاشه الجليليون. أجل، يسوع هو جليلي من عصره. وهو يتجذر في عالم الفقراء الذين إليهم يوجه تطويبته الأولى: إن لهم ملكوت الله، هذا إذا أرادوا.

## ب ـ يسوع وحضارة شعبه:

ورث يسوع حضارة شعب هو الشعب اليهودي. وتغلغلت فيه شيئاً فشيئاً تقاليد وآمال شعبه، فبحث عن طريقه في هذا المناخ الاجتماعي والروحي الذي عاش فيه.

---

(1) لو 13: 1.
(2) مر 3: 21.
(3) مر 6: 3.
(4) مر 1: 16 ـ 20.

### 1 ـ وارث حضارة:

تعلم يسوع ومارس مهنة النجار التي تتطلب تدرباً وحكمة. وعرف يسوع القراءة والكتابة. فنراه يقوم بقراءة جمهورية للتوراة في مجمع الناصرة[1]. وكانت ثقافته واسعة بحيث إنه عبر عن فكره بلغة غنية ومتنوعة. وعرف يسوع العهد القديم، ذاك الكتاب الذي يعتبره اليهود إرثهم الحضاري، والذي يقضي الكتبة حياتهم كلها في درسه. هؤلاء الكتبة أو الرابانيون جاؤوا إلى يسوع يسألونه بعد أن اعتبروه عارفاً بالكتاب. وسماه تلاميذه «رابي» (أي معلم) فأعطوه لقب الاختصاصي في التوراة. وفي مجادلاته مع الكتبة، تجرأ يسوع وهاجمهم حتى في «ملعبهم». هاجمهم حول معرفة التوراة وتفسيرها. قالوا: «لماذا يعمل تلاميذك ما لا يحل في السبت»؟ أجابهم: «أما قرأتم ما عمل داود حين جاع هو ورجاله»؟ وعاد بهم إلى العهد القديم ليصل إلى القول إن ابن الإنسان هو سيد السبت[2]. سأله أحد معلمي الشريعة عن أولى الوصايا كلها، فعاد إلى سفر التثنية وسفر اللاويين يُجمل الشريعة كلها في وصية المحبة[3]. بل هو سيسألهم عن علاقة داود بالمسيح ليقول لهم إن المسيح هو رب داود[4]. ويبدو أن يسوع فهم حياته على ضوء الكتاب المقدس. هو عابد الله وخادمه، وقد أدرك أن مصيره هو مصير نبي[5]، أنه الحجر الذي رذله البناؤون[6]. وإذ أراد الإنجيليون أن يفهموا سر يسوع، عادوا هم أيضاً إلى العهد القديم فتابعوا الطريق التي رسمها يسوع.

امتلأ يسوع من حضارة شعبه وتقاليده. فمن أين جاءه كل هذا؟ أولاً، من محيطه العائلي. فوالدته ومربيه كانا من اليهود الأتقياء الذين يخضعون للشريعة فيعلمون أولادهم فرائضها. ثم إن يسوع تعوّد أن يؤم المجمع في الناصرة. كانت شعائر العبادة بسيطة: قراءة من التوراة، تفسير النص، صلوات ومزامير. وهكذا عرف يسوع غيباً، شأنه شأن أقرانه، المزامير المئة والخمسين مع نصوص عديدة تحدثه عن تاريخ شعبه.

---

(1) لو 16: 4.
(2) مر 2: 23 ـ 28.
(3) مر 28: 12.
(4) مر 12: 35 ـ 37.
(5) لو 13: 33.
(6) مر 12: 10.

وكان المجمع للأولاد أيضاً مدرسة يؤمها الصغار بين السنة الرابعة والسنة الثامنة ليتعلموا غيباً أسفار الشريعة الخمسة وهم ينشدونها. وكان يُطلب منهم بين السنة الثامنة والسنة الثانية عشرة أن يدرسوا شروح التوراة المسماة «أقوال الآباء». وفي السنة الثانية عشرة يصل الولد إلى الشريعة فيصبح «ابن الوصايا». وقد تمتد هذه التربية بعد السنة الثانية عشرة لليهود الذين يستعدون لأن يكونوا «معلمين». إلى أي حد وصل يسوع؟ هذا ما لا نعرفه. غير أن معرفته بالتوراة وشروحها تجعلنا نقول إنه صار «ابن الوصايا»، ولم يتعد هذه المرحلة. لا ننسى أنه فقير، فأنى له أن «يتابع دروسه»؟! ثم إن القديس لوقا روى لنا ما حدث ليسوع وهو بعمر اثنتي عشرة سنة[1]. لا شك في أن لوقا جمل الخبر وقدمه على ضوء موت يسوع وقيامته (ثلاثة أيام)، ولكن هذا الحدث يعتبر امتحاناً قدمه يسوع فنجح فيه وصار «ابن الوصايا». هذا على المستوى اليهودي. أما على مستوى حياته الشخصية فأعلن أنه أبن الله ولا يهتم إلا بمشيئة أبيه.

**2 ـ باحث عن طريقه:**

عاش يسوع من إرث شعبه، ولكنه، وهو الإنسان الكامل، بحث عن طريقه. كان قريباً من الفريسيين فقاسمهم بعض أفكارهم، ولا سيما في ما يتعلق بقيامة الموتى، كما تعرف إلى حركة «المعمدين».

تبدأ الأناجيل الأربعة فجأة بالحديث عن كرازة يوحنا المعمدان، عن عماد يسوع، وعبوره إلى البرية[2]. هنا نشير إلى أن أناجيل الطفولة كما أوردها متى ولوقا، قد جاءت فيما بعد فشكلت مقدمة لحياة يسوع العامة.

صار عماد يسوع في نظر الإنجيليين علامة إرسال يسوع كابن الله الحبيب، ودل على التزامه في حركة المعمدين بحيث قضى بعض الوقت يحادث معلمهم يوحنا. لن نقرأ حرفياً «الأربعين يوماً» التي قضاها يسوع في البرية. الرقم رمزي وهو يذكرنا بالسنوات الأربعين التي قضاها الشعب العبراني في البرية. وحين اعتُقل يوحنا، ترك يسوع ضفاف الأردن، وعاد إلى الجليل[3]. ولكنه مع ابتعاده عن الأردن، لم يقطع كل

---

(1) لو 2: 41 ـ 52.

(2) مر 1: 1 ـ 13؛ مت 3: 1 ـ 4: 11؛ لو 3: 1 ـ 13: 4؛ يو 1: 19 ـ 51.

(3) مر 1: 14.

علاقة بيوحنا. فقد اختار اثنين من تلاميذه ليتبعاه[1].

وخلال حياة يسوع العامة، تدخل يوحنا من سجنه بواسطة أناس أرسلهم. فسأل يسوع: «أأنت هو الآتي (أي: المسيح المخلص) أم يجب أن ننتظر آخر»[2]؟ هناك شك وارتياب لدى يوحنا. ومع ذلك فسؤاله يدل على اهتمام يوحنا بما يعمله يسوع. ويستفيد يسوع من الظرف فيعبر عن تقديره ليوحنا: إنه أعظم الأنبياء[3].

كيف بدا تيار المعمدين؟ تيقن أن الأزمنة الأخيرة صارت قريبة، فأوان بعض النصوص النبوية مثل أش 40: 1 الذي ظل نموذجاً من نماذج كرازته[4]. طلب من الجميع أن يعدوا «طرق الرب» فيعتمدوا ويجعلوا أقوالهم تطابق حياتهم.

كانت كرازة «المعمدين» شعلة نار، لا سيما وأن ساعة «ذاك الآتي» قريبة. وهذه الساعة توافق «عماد النار» الذي ينقي كل إسرائيل[5]. وسارعت الجموع لتسمع هذه الكلمة التي تدل على تبديل في العالم تنتظره بقلق، والتي تتوجه إلى الجميع دون حواجز الطهارة أو المعرفة على مثال بعض التيارات اليهودية[6].

لا شك في أن يسوع شارك في هذا التيار: قراءة مميزة للتوراة وموجهة نحو مجيء الملكوت، ومجيء مرسل الله. هذا الخط سيسير فيه يسوع، فيتوجه بكلامه إلى الشعب كله، وبصورة خاصة إلى الفقراء.

أجل، لم يكن يسوع نجماً نزل من السماء، بل كان إنساناً مثلنا. لهذا اختار طريقه بين التيارات العديدة. ولكنه سيفجر هذه الطريق ويعطيها أبعاداً إلهية. إنه ابن الإنسان. ولكنه أيضاً ابن الله.

---

(1) يو 1: 35 ـ 37.
(2) مت 11: 2 ـ 3.
(3) مت 9: 11 ـ 11.
(4) مر 1: 2 ـ 3.
(5) لو 16: 3.
(6) لو 3: 10 ـ 14.

# يسوع
# في محيطه الحياتي

حين نتعرف إلى أعمال يسوع وأقواله، نكتشف التزامه في محيط حياتي اختاره لنفسه. ولهذا سنتوقف في هذا الفصل عند نقطتين. الأولى: محيط حياة يسوع. الثانية: تصرف يسوع داخل هذا المحيط. كان منه خقاً فلم يكن شيء خارجي يميزه عنه. ولكن سيكتشف الناس فيما بعد أن يسوع هو منهم، وأنه في الوقت ذاته بعيد جداً عنهم.

## أ ـ محيط حياة يسوع:

عاش يسوع حياته الرسولية يحيط به عددٌ من الناس. منهم من نعرفهم ومنهم من لا نعرفهم. كل هؤلاء سماهم الإنجيليون: الشعب أو الجمهور أو الجموع أو الجمع.

### 1 ـ الجموع هي محيط يسوع الحياتي:

نرى الجموع التي لا اسم لها في كل صفحات الإنجيل. فهي تتبع يسوع[1]. ترافقه في تحركاته[2]. تزحمه من كل جهة. الجموع تسمع يسوع وتتعلم منه، تتعجب وتندهش من كل ما يقول ويفعل «ما رأينا مثل هذا»!.

وبمختصر الكلام، يدق قلب الجموع مع قلب يسوع الذي يحس بنفسه قريباً منها أين قربه من أقربائه. حين جاء أقرباء يسوع ليلتقوا به، كانت الجموع تحيط به.

---

(1) مت 4: 25.

(2) مر 5: 24، لو 7: 9.

فأجاب: «من هي أمي ومن هم أخوتي»؟ وجال نظره في الجالسين حوله بشكل حلقة فقال: «هؤلاء هم أمي وإخوتي»[1]. حين نتذكر قوة الرباطات العائلية في عالمنا الشرقي، نفهم أن الجموع تحتل في قلب يسوع المكان الذي يُحفظ عادة لأفراد العائلة والعشيرة. ونستشف هذه العلاقة الحميمة أيضاً في أخبار تعبر عن عواطف يسوع تجاه الجموع: «كانوا بائسين مشتتين مثل غنم لا راعي لها»[2]. وحدثنا مرقس عن يسوع الذي يشفق (يتحنن) على هذا الجمع. هذه الكلمة تعبر في لغة الكتاب المقدس عن حب مجاني فيه ينحني الأب على ابنه كما في مثل الابن الضال. وإذا ذكرنا الرحمة، أشرنا إلى علاقة أم بابنها بعد أن حملته في رحمها وغذته من حليبها.

ممن تألفت هذه الجموع؟ بصورة خاصة من الجليليين. هذا ما يتضمنه الحوار بين سكان أورشليم والجموع التي تهتف ليسوع حين دخوله الاحتفالي إلى المدينة المقدسة (مت 21: 10 ـ 11: من هذا؟ هذا هو النبي يسوع من ناصرة الجليل). صعدت من الجليل لتحتفل بالفصح في المدينة المقدسة، فشهدت أمام سكان أورشليم أن يسوع هو النبي[3]. انتظرت مسيحاً فوجدته في يسوع[4]، فأرادت أن تجعله ملكاً. إذا عدنا إلى إطار فلسطين الاجتماعي في القرن الأول، عرفنا أن هذه الجموع هي محتقرة واسمها «عامة الناس الذين يجهلون الشريعة. إنهم ملعونون». هذه الجموع المؤلفة من الجليليين، والمحتقرة في نظر الفريسيين، والمتطلعة إلى الانتظار المسيحاني، هي شعب الأرض الذي تحدثنا عنه.

**2 ـ الجموع هي الموضع المميز لرسالة يسوع:**

اختار يسوع أن يتضامن مع هذا الجمع «الملعون». وهذا التضامن هو علامة تؤكد أنه مرسل الله. فالذين تشككوا من تعاطيه مع هؤلاء «المحتقرين»، أجابهم: «ما جئت لأدعو الصديقين، بل الخطأة»[5]. ونستطيع أن نترجم: ما جئت من أجل الشرفاء والوجهاء بل من أجل المحتقرين والمرذولين. وهكذا تميز يسوع عن عصره، الذي

(1) مر 3: 31 ـ 35.
(2) مت 36: 9.
(3) مت 21: 11.
(4) يو 7: 21 ـ 41.
(5) مر 17: 2.

ترجم الاختيار الإلهي حياة جماعية فيها يحفظ اليهود نفوسهم أنقياء بانعزالهم عن الشعب (على مثال الفريسيين والاسيانيين).

دل هذا التضامن على أنه مرسل. وتحقق في اختيار تلاميذه. ما اختار يسوع الوجهاء في شعبه، ما اختار اليهود الأتقياء، وهذا أقل ما كان يجب أن يفعل. لا، بل كان تلاميذه صيادين. موظفي جمارك أو جباة ضرائب (مر 2: 13 ـ 14: عشار، يقبض العشر). وكان بعضهم من الغيورين القدماء (سمعان الغيور، يهوذا الاسخريوطي، مر 3: 18 ـ 19). وكانوا كلهم جليليين (مر 14: 70 : أنت منهم ولهجتك تشبه لهجتهم).

كم نحن بعيدون عن الصفات التي يطلبها الرابانيون من تلاميذهم. لقد كان تلاميذ يسوع يقاسمون الشعب آماله المسيحانية: تبعوا يسوع، لأنهم ترجوا أنه هو الذي يقيم مملكة أرضية وسياسية. ونكتشف هذه النظرة عند بطرس الذي لم يفهم أن يسوع اختار طريقاً تقوده إلى الموت. «صدم» إلى حد «وبخ» معلمه. وانتظار مملكة يحكم فيها يسوع، نكتشفه من خلال التماس ابنَي زبدى: يريدان أن يملكا مع يسوع حين يدشن ملكه[1]. ونفهم أن موت يسوع تركهم حيارى. فقد قال تلميذا عماوس بحسرة: «كنا ننتظر أنه هو الذي يخلص إسرائيل». يخلص إسرائيل من سلطة الرومان.

كان التلاميذ من الشعب فعاشوا آماله. وجهلوا مثله الشريعة ومتطلباتها: هم لا يصومون[2]. يتعدون السبت. يأكلون بأيدٍ غير مغسولة. وهذه الإهمالات تجعلهم محتقرين في عيون الفريسيين الذين لا يفهمون تقاعس يسوع عن تعليمهم ليصيروا «أبناء الوصايا».

وهكذا حدد يسوع موقعه بإرادته في شعب الجليل، الشعب الذي تجذر فيه. هو لم ينكره، بل أحبه ووجد فيه من الغنى الكثير بحيث اختار فيه رسله، ثم أعادهم إليه: «هو يسبقكم إلى الجليل، وهناك ترونه»[3].

### ب ـ تصرف يسوع داخل هذا المحيط:

إن المحيط الأصلي الذي حدد يسوع موقعه بإرادته، دفعه إلى الاقتراب من حركة

---

(1) مر 35: 10 ـ 45.

(2) مر 2: 18.

(3) مر 7: 16.

المعمدين، ثم إلى العودة إلى الجليل ليعلن الإنجيل للشعب هناك. هذه الكرازة هي أساسية، وهي ما يدفعه إلى العمل. فحين يترك جموع كفرناحوم سيقول لهم: «يجب علي أن أبشر سائر المدن بملكوت الله، لأني لهذا أرسلت»[1]. ما يعلنه هو ملكوت الله، وهو يعلنه بالأقوال والأعمال. امتزجت هاتان الوجهتان في حياة يسوع امتزاجاً حميماً، وهما لا تُفهمان إلا معاً. ولكننا نُجبر على تمييزهما من أجل الوضوح في العرض.

**1 ـ كرازة الملكوت:**

نجد في كل صفحات الإنجيل أن يسوع يتكلم، يذكر ملكوت الله أو ملكوت السماء. وكرازة الملكوت هذه تجُمل الاتجاه الأساسي في حياة يسوع. هذا ما رآه الإنجيليون الأربعة وبصورة خاصة مرقس الذي يفتتح حياة يسوع العلنية بهذه المقدمة: «بعد أن اعتُقل يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل. وأعلن إنجيل (بشرى، الخبر السعيد) الله وقال: تم الزمان واقترب ملكوت الله. توبوا وآمنوا بالإنجيل»[2]. لن نقدم تحديداً للملكوت، ولكننا نحاول أن نوضح مضمونه، كما فعل الإنجيليون أنفسهم.

**أولاً: بشارة محددة في الزمان والمكان**

قاسم يسوع معاصريه إيمانهم. وانتظر مثلهم ملكوت الله كمملكة آتية. وهذا ما ندركه حين نتوقف عند مقطع من الصلاة التي علّمها لتلاميذه: صلاة الأبانا أو الصلاة الربية. طلب يسوع من الله أبيه: «ليأت ملكوتك»[3]. أجل، إنه ملكوت سيأتي. وأعلن أيضاً ليلة موته وبعد أن تناول العشاء مع تلاميذه: «لن أشرب من عصير الكرمة إلى اليوم الذي أشربه فيه من جديد في ملكوت الله»[4]. يرمز هذا الخمر الذي هنا إلى العالم المقبل الذي فيه يتحول الكون ويتبدل. وهناك عدة أمثال من يسوع تدل على هذا الملكوت المقبل والأبدي الذي ينتظر الأبرار. وأشهر هذه الأمثال يصور الدينونة الأخيرة والفصل بين الأخيار والأشرار، كل واحد حسب تصرفه مع أخوته. وهو ينتهي بهذه الكلمات: «يذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصديقون إلى الحياة الأبدية»[5].

---

(1) لو 4: 43.
(2) مر 1: 14 ـ 15.
(3) مت 6: 10.
(4) مر 14: 25.
(5) مت 25: 46.

إذاً، يؤمن يسوع، شأنه شأن معاصريه، أن الملكوت ينتمي إلى العالم المقبل الذي خلقه الله. إلى عالم زال منه الموت وعرف فيه الأبرار المجازاة الحسنة.

**ثانياً: بشارة جديدة**

إن الأمل بهذا الملكوت الآتي خلق عند معاصري يسوع رذْلاً للعالم الحالي. ففي نظرهم، وفي نظر الفقراء خصوصاً، لن يأتي هذا الملكوت إلا بعد تحول جذري يتم بقدرة الله أو بواسطة مسيحه. وأكد يسوع وهو يعظ بالعالم الآتي أن هذا الملكوت حاضر حضوراً سرياً في هذا العالم وفاعل فيه. وتصور الأمثال سر الملكوت الذي هو مخفي الآن، والذي يخلق المستقبل شيئاً فشيئاً في داخل هذا العالم. إنه يشبه زرعاً دُفن في الأرض فنبت ونما وأعطى ثمراً[1]. إنه يشبه حبة الخردل التي هي أصغر المزروعات والتي ستصير أكبر النبات[2]، كما يشبه الخمير في العجين. وهكذا يكون الملكوت قد بدأ مع يسوع في قلب هذا العالم: حلت ساعة الحصاد، وقُدمت الخميرة الجديدة، وتم الزمان. وهذه الكرازة بحضور الملكوت حضوراً سرياً وفاعلاً لا تظهر في أي مكان من العالم اليهودي في القرن الأول. وهكذا يشدد يسوع على أصالة تعليمه: إنه يحطم الازدواجية في مسيحانية شعبية تعارض هذا العالم بالعالم الآتي وكأنهما عالمان لا يتوافقان. هذا اليقين يفسر بعض التفسير رفض يسوع أن يكون مسيحاً سياسياً، حسب آمال الشعب، لأن مثل هذا المسيح كان مدعواً ليخلق كوناً جديداً يكون منقطعاً كل الانقطاع عن العالم الحالي. أدرك يسوع هذا الخط تدريجياً، وسوف يتوضح رفضه للمسيحانية السياسية شيئاً فشيئاً عبر التجارب والمحن. هذا ما نجده في خبر التجارب[3].

تكلم يسوع فدل على أن الأزمنة الجديدة تدشنت. ولكن الآيات التي سيصنعها تبدو إنجيلاً وخبراً سعيداً لأناس ينتظرون الخلاص المادي والروحي.

**2 ـ آيات الملكوت:**

هناك نصان يفهماننا أن آيات الملكوت حاضرة في يسوع. الأول، هو جواب

---

(1) مر 26: 4 ـ 29.

(2) مر 4: 30 ـ 32.

(3) مت 4: 1 ـ 11؛ لو 4: 1 ـ 13.

يسوع لمرسلي يوحنا المعمدان[1]. والثاني هو كرازة يسوع التي دشنت رسالته في الناصرة[2]. ففي هذين النصين يبدو إعلان إنجيل الملكوت للفقراء مسألة أساسية للدلالة على حضور الملكوت

ما قلناه في ما سبق يساعدنا على إعطاء وجه لهؤلاء الفقراء: هم جموع الجليل البائسة والمشهورة بجهلها. اعتبروها أنها تنجس إسرائيل، فرذلوها من شعب الله الحقيقي. ولكن يسوع تجرأ فقال: إن هؤلاء الفقراء يمتلكون الملكوت. ولنسمع هنا كلمات التطويبات المذهلة: «طوبى لكم أيها المساكين، لأن لكم ملكوت الله! طِوبى لكم أيها الجياع الآن، لأنكم ستُشبعون. طوبى لكم أيها الباكون الآن، لأنكم ستضحكون. طوبى لكم إذا أبغضكم الناس وطردوكم وعيروكم»[3].

تتعارض هذه التطويبات في إنجيل لوقا مع تويلات (الويل لكم) تعني الأغنياء والمتخمين والضاحكين وأصحاب «السمعة الحسنة». كما نجد تطويبات في (مت 3: 5 ـ 11). أعاد متى تفسير الفقر فنقلنا إلى فضيلة الفقر والتجرد من أجل الملكوت، وذلك من أجل فائدة جماعية.

ما زالت هذه الكلمات تحتفظ اليوم بقوتها وقدرتها على تحويل المجتمع. غير أن يسوع لا يبقى على مستوى الأقوال. فإذ أراد أن يبين أن ملكوت الله يُعطى للمساكين ميز فئتين من الناس: المرضى والمرذولين. فتحدث هنا عن المرضى بشكل عام ونعود في فصل لاحق إلى المرذولين بجميع فئاتهم.

كان الطب شبه معدوم في القرن الأول المسيحي، والأمراض مجهولة. وحين نقرأ الأناجيل نكتشف فئتين من المرضى: أصعاب العلة والذين يسكنهم الشيطان. نجد في الفئة الأولى: العميان، العرج، المقعدين، الصم... كلهم أصيبوا بعلة (أو مرض) تمنعهم من العمل. فزيد على هذه الفئات البرص بمرضهم الذي يطردهم من الجماعة.

والفئة الثانية تتكون من المرضى العقليين: داء الصرع، الجنون... تُنسب حالتهم إلى قوة شريرة هي الشيطان. هذه الفئة هي غامضة، وبها يرتبط كل مرض يجهله

(1) مت 11: 4 ـ 6.
(2) لو 18: 4 ـ 19.
(3) لو 6: 20 ـ 22.

الناس. فيقول النص مثلاً عن أصم ـ أخرس: إن فيه روحاً أخرس وأصم[1]. وعن المرأة المنحنية: «أقام فيها روح شرير»[2]. مثل هذا التشخيص يجعلنا نبتسم بعد أن وصل الطب إلى ما وصل. ولكنه يعكس خوفاً من المرض فينسب الناس المرض إلى روح شرير، ويجعلون العليل في حالة بائسة مستمرة[3]. غير أن هذا لا ينفي عمل الشيطان في بعض الحالات، ولكن يبقى التمييز فيها دقيقاً. على كل حال، يبقى نداء يسوع حاضراً في كل الأذهان: ما جئت من أجل الأصحاء، بل من أجل المرضى. سينقل يسوع هذا الكلام إلى المستوي الروحي فيتحدث عن الأبرار والخطأة. ولكن المعنى المادي يبقى حاضراً. يشفي يسوع المريض فيعيد إليه كرامته، يعيده إلى المجتمع على مثال ما فعل مع لجيون. كان ذلك الرجل من سكان القبور، فلما جاء الناس ليروا ما حدث، وجدوه «جالساً، لابساً، سليم العقل». بل صار رسول يسوع المسيح ينادي «بما عمل يسوع له».

(1) مر 9: 25.
(2) لو 13: 10 ـ 15.
(3) مثل النازفة، لو 43: 8.

# يسوع
# والمرذولون في المجتمع

تحدثنا عن المرضى في الفصل السابق. إنهم أول المرذولين، وسنرى كيف تعامل يسوع معهم. وهناك فئة ثانية من المرذولين: النساء والأولاد. والفئة الثالثة نجدها لدى أصحاب بعض المهن الممقوتة في المجتمع اليهودي ولا سيما مهنة العشار أو جابي الضرائب.

## أ ـ أصحاب العلة:

### 1 ـ نظرة المجتمع إليهم:

يعتبر هؤلاء الناس عالة على المجتمع، لأن علتهم تمنعهم من العمل وتدفعهم إلى العيش من مد اليد والاستعطاء. وإن الإنجيل يربط الاستعطاء بالمرض وكأنه أمر معروف. ابن طيما هو شحاذ أعمى[1]. ومقعد الباب الجميل انتظر أن يتصدق عليه بطرس ويوحنا[2]. والاستعطاء يُذل الإنسان، في الأمس كما في اليوم. لهذا يقول الوكيل الخائن وهو المهدد بخسران وظيفته والباحث عما يقوم بأود حياته: «ماذا أعمل؟ أأستعطي؟ إني أستحي»[3].

هذا الوضع المادي يجعل حواجز بين المرضى والشعب الذي يعمل. ويتفاعل مع الخوف الذي يحيط بالمرض. لا أحد يستطيع أن يسيطر على المرض، لهذا ينسب إلى روح الشر.

في هذا الإطار الاقتصادي والإيديولوجي، يجد المرضى نفوسهم مرذولين من

(1) مر 10: 46.
(2) أعمال 3: 2 ـ 3.
(3) لو 16: 3.

المجتمع. فعلى الأبرص أن يتجنب الاتصال بأي شخص سليم. والخطر يكمن في الاقتراب من شخص ممسوس، شخص أقام فيه روح شرير. والصم والعميان والمقعدون هم مطبوعون بعلة تمنعهم من اعتبار نفوسهم متساوين مع سائر اليهود: لا يحق لهم أن يشهدوا في المحكمة (كما يقال اليوم: يمنع شخص من الانتخاب)، لا يحق لهم أن يدخلوا الهيكل.

ويبرر اليهود هذا الوضع الاجتماعي والديني بنظرة لاهوتية تعتبر أن المرض هو نتيجة خطيئة اقترفها المريض. وإذا عاد المرض إلى الولادة، تساءل الناس: «من أخطأ، هو أم والداه»[1]؟

المرضى هم عالة على المجتمع، هم نجسون ومرذلون في شعب الله. ومع ذلك لا يتخلى عنهم شعب الفقراء. إنهم يسكنون مع المرضى ويحملونهم إلى يسوع. يقول مت 15: 30 ـ 31: «جاءته جموع كبيرة ومعهم عرج وعميان ومقعدون وخرس وغيرهم كثيرون، فطرحوهم عند قدميه فشفاهم. فتعجب الناس». والمخلّع الذي دلّوه من سقف البيت، أما حمله أربعة رجال إلى يسوع. وكذا نقول عن الرجل الذي جاء بابنه المصاب بداء الصرع إلى يسوع[2].

## 2 ـ كيف تصرف يسوع مع هؤلاء المرضى:

جاؤوه بالمرضى فشفاهم. قام بعمل الشافي من أجلهم، ومن أجلهم صنع المعجزات. هنا نتذكر أن كل مرض يُنسب إلى روح الشر، إلى قوى خفية. فإذا أراد «الشافي» أن يتصرف، فهو لا يعود إلى نواميس الطب، بل يحاول بحركاته وأقواله أن يطرد روح الشر من المريض. هذا ما يسمى التقسيم. يستعمل الشافي قوة تتغلب على الروح الذي يقيم في الإنسان. مثل هذه النظرة تظهر من خلال الجدال بين يسوع والفريسيين: أفهموه أنه يشفي الناس ببعل زبول، رئيس الشياطين[3]. اتهموا يسوع بأنه يلجأ إلى السحر (وهذا ما يجعله مستحقاً الموت) كما يفعل بعض الشافين في أوساط فلسطين الشعبية.

ونتحدث اليوم عن نواميس الطبيعة التي لا تقف بوجه يسوع. ولكن نواميس الطبيعة لم تكن معروفة في ذاك الزمان. لهذا لن نستطيع أن ندرك حق الإدراك والمرض

---

(1) يو 9: 2.
(2) مر 17: 9.
(3) مر 3: 22 ـ 30.

والشفاء والمعجزة في عالم جهل العلم والتحليل الطبي. وهناك صعوبة أخرى تجابهنا حين نقرأ خبر معجزة. نحاول أن نتخيل ما حدث حقاً. ولكننا ننسى أن الأناجيل ليست ريبورتاجاً، وأن الإنجيلي لم يرد أن يشخص المرض. كما ننسى أن الأناجيل كتبت بعد أن حملها تقليد طويل شفهي وكتابي معاً.

يجب أن تُحفظ أخبار المعجزات غيباً. لهذا أُلفت حسب رسمة بسيطة تصفي التفاصيل وتُبقي على الجوهر. كررت بعض المعجزات[1]. وقدمت أخرى بشكل لاهوتي، فما عدنا نقدر أن ندرك تفاصيل الحدث.

ومهما يكن من أمر، فقد قام يسوع بنشاط شفاء في محيطه. فما هو مدلول هذا النشاط؟ لا نستطيع أن نفصل مدلول المعجزات عن الوضع الاجتماعي للمرض، وعن المعنى الذي أراد يسوع أن يعطيه لهذه المعجزات في كرازة ملكوت صار حاضراً الآن. فإذا أخذنا بعين الاعتبار الاختلاف في النظر إلى المرض في العالم القديم، نستطيع أن نجمل مدلول المعجزات في ثلاث نقاط:

ـ **النقطة الأولى**: حين صنع يسوع معجزات، دل على أن الملكوت قد حل في هذا العالم، وأنه يعني حاجات الإنسان الحياتية: الجوع، الصحة، الحياة، البحث عن الهوية. وهكذا التقى مع التقليد البيبلي القديم الذي يرى أن الخلاص الذي يمنحه الله هو حقيقة ملموسة، هو حقيقة حياة لا موت. ننطلق من التحرر من العبودية في مصر، فنصل إلى الخلاص المسيحاني الذي يعني الخليقة كلها.

ـ **النقطة الثانية**: تدل المعجزات أيضاً على أن الملكوت يبدأ مجيئه ساعة يستعيد المرضى مكانتهم في الشعب. تألم يسوع من المصير المفروض عليهم في المجتمع، فأراد أن يحطم الشرائع التي تجعلهم مرذولين. فمجيء الملكوت يتحقق حين تزول الحواجز بين البشر، أكانوا برصاً أم في صحة جيدة[2].

ـ **النقطة الثالثة**: المرض هو شر لا يُفهم. وتعود جذوره إلى الشيطان. وهكذا تصبح الحرب على الخطيئة حرباً على قوى الشر. وقد رأى يسوع، شأنه شأن معاصريه، علامة انتصار الملكوت وظهور العالم الجديد (مت 12: 28: ملكوت الله حل بينكم). وإن كان

(1) مثلاً تكثير الخبز، مر 6: 35 ـ 44؛ 8: 1 ـ 10.

(2) مر 1: 44.

يسوع قد قام بمعظم معجزاته يوم السبت، فقد أراد أن يدل على حضور هذا العالم الجديد[1]. ففي العالم اليهودي المعاصر للمسيح، كان السبت يتذكر تكملة الخلق[2]. والمعجزات التي تمت في ذلك اليوم، رمزت إلى مجيء الخليقة الجديدة.

لقد أراد يسوع أن يعطي هذا المعنى للمعجزات التي أتمها، وهذا ظاهر في حدثين يصعب علينا فهمهما: تهدئة العاصفة[3]، والسير على المياه[4]. اعتبر اليهود أن البحر عدو خطير للبشر، وتسكنه قوى الشر: قسَّم عليه يسوع ومشى عليه، فدل على أن حربه ضد الشر تمتلك بُعداً كونياً. قد تجاوزنا المعتقدات الدينية والسُطَرية التي تسند هذا المشهد، ولكنها تتيح لنا أن ندرك أن الخلاص يعني الخليقة كلها. هذا ما تشهد له المعجزات.

حاجات حياتية، مكانة الإنسان في المجتمع، إعادة خلق الكون. هذه الميزات الثلاث لا تستنفد معنى المعجزة، ولكنها تعطي للملكوت الذي دشنه يسوع، واقعاً ملموساً وبعداً إنسانياً.

### ب ـ النساء والأولاد:

والفئة الثانية من المرذولين هي فئة النساء والأولاد. عبارة تصدمنا. لماذا جُمعت النساء مع الأولاد؟ هكذا نقرأ العبارة في مت 14: 21، لأن أعضاء هاتين الفئتين يُعتبرون من القاصرين، ويجُعَلون مع العبيد والصم والعميان. نتحدث أولاً عن النساء ثم عن الأولاد.

#### 1 ـ النساء:

تبقى المرأة في المرتبة الدنيا طوال أيام حياتها، حتى ولو صارت أماً. وقال فيهن فلافيوس يوسيفوس: «إنهن أدنى من الرجل». وهذا المعتقد عميق جداً بحيث أن اليهودي يقول في صلاته اليومية: «أحمدك يا رب لأنك لم تخلقني امرأة».

مثل هذه العقلية تقود الناس إلى إبعادهم عن الحياة الاجتماعية. تُجعل المرأة في داخل البيت، ولا تخرج إلا والحجاب على وجهها، ولا تستطيع أن تحدث رجلاً في

---

(1) مر 3: 1 ـ 6؛ لو 10: 13 ـ 17؛ يو 5: 1 ـ 18؛ 9: 1 ـ 41.
(2) تك 2: 2.
(3) مر 35: 4 ـ 41.
(4) مر 6: 45 ـ 52.

مكان عام. هي كالعبد وبعض المرضى، لا تستطيع أن تقدم مشاركتها في المحكمة. وهي مُلك رجلها الذي يستطيع أن يطلقها ساعة يشاء حتى لأسباب تافهة.

ويتسجل هذا الوضع الدنيء أيضاً في الحياة الدينية. فالدم الذي يسيل منها في الولادة يجعلها نجسة. فعليها أن تقوم بطقوس تطهير خاصة[1]. وهي قاصرة أيضاً أمام الله،ولهذا لا تفرض عليها الواجبات الدينية المفروضة على الرجال. كما أنها تُعفى من الصلاة اليومية، شأنها شأن العبيد. لا تجلس في الهيكل أو في المجمع مع الرجال، بل في مكان خاص يدل على مرتبتها الدنيا.

لوحة سريعة ولكنها تساعدنا على إلقاء الضوء على ما فعله يسوع. يروي إنجيل يوحنا أن التلاميذ تعجبوا حين رأوا يسوع يتكلم مع السامرية وجهاً لوجه. وإن أحد الفريسيين سينذهل ويتشكك حين يرى يسوع ضيفَه، يستقبل امرأة، وأية امرأة، امرأة مشهورة بخطاياها في المدينة. وراح يسوع أبعد من هذا فانفصل عن قواعد المجتمع اليهودي. يروي لوقا أن نساء رافقن يسوع في تنقلاته[2]. إنهن تلميذات على مثال الرسل الإثني عشر أو على مثال السبعين الذين أرسلهم يسوع أمامه. كم نحن بعيدون عن ممارسة الرابانيين الذين يمتنعون عن التحدث إلى امرأة في مكان عام. وستكون النساء وحدهن على الجلجلة[3]، كما عند القبر ليشهدن للقيامة[4]. بهذا التصرف الثوري أراد يسوع أن يبين أن ملكوت الله مفتوح للجميع، أن جميع الناس متساوون فيه، لأنهم كلهم يعيشون المحبة[5]. وهذا الملكوت يبدأ منذ اليوم. لم يعد بعد اليوم أن تكون المرأة في طمثها نجسة، لأن هذه الهبة هي من الله،فلولا هذه النعمة كيف يكون الإخصاب والولادة. هذا هو معنى الانقلاب الذي يحمله يسوع إلى شريعة الزواج التي يُعمل بها في أيامه. حين رفض حق الطلاق المحصور بالرجل، أعطى المرأة ملء كرامتها في هذا العالم. وجعل من الزواج يعيشه الرجل والمرأة في المساواة وفي الحب، علامة على أن ملكوت الله حاضر في العالم.

---

(1) لا 12: 1 ـ 8؛ 15: 19 ـ 30.

(2) لو 8: 1 ـ 3.

(3) مر 40: 15 ـ 41.

(4) لو 24: 1 ـ 11، مر 16: 1 ـ 8.

(5) لو 7: 36 ـ 50؛ يو 8: 1 ـ 11.

**2 ـ الأولاد:**

يقف الأولاد أيضاً في المرتبة الدنيا مع النساء. إنهم قاصرون. لا شك في أن الولادة تعتبر بركة إلهية (ولا سيما إذا كان الولد ذكراً) في البيت. ولكن لا حق شرعياً للولد. فقيمته في أنه سيصبح كبيراً. بعد هذا، لن يتطلع أحد إلى سلوكه وما فيه من نقاء. وإذا أرادوا أن يصير «ابن الوصية» وجب على الأهل والمعلمين أن يروضوه. وحكماء العهد القديم (والرابانيون على أثرهم) قالوا: العصا والعقوبة ضروريتان ليصبح رجلاً. أما الأولاد الذين لا يعرفون الشريعة فهم يعيشون على هامش المجتمع في المجال الديني، ولا يحُسبون يهوداً في نظر يهودي تقي. ومع هذا يدل يسوع على تعلقه بالأولاد. هو لا يرى فيهم مثال النقاء والطهارة، بل هم متقلبون ويعيشون بحسب نزواتهم[1]. ولكن يسوع يحفظ لهم مكانهم في المجتمع. هذا ما يقوله لتلاميذه الذين يتجادلون ليعرفوا من هو الأكبر بينهم. «فأخذ يسوع طفلاً وأقامه وسطهم وضمه إلى صدره وقال لهم: من قبل واحداً من هؤلاء الأطفال (الأولاد) باسمي يكون قد قبلني»[2]. وهكذا قَلب يسوع المعايير الرسمية للقيم البشرية. لا صغير ولا كبير. فالملكوت حاضر حيث تسقط اللياقات التي أقامها المجتمع.

وهناك حدث آخر من الإنجيل يلقي نوراً على هذا التفسير. أدرك التلاميذ عظمة معلمهم، فردوا الناس الآتين إلى يسوع مع أطفالهم. فغضب يسوع وقال لهم: «دعوا الأطفال يأتون إلي ولا تمنعوهم، لأن لأمثال هؤلاء ملكوت الله. من لا يقبل ملكوت الله كأنه طفل لا يدخله»[3]. لسنا هنا أمام طهارة الطفل. بل إن يسوع يُعلن أن ملكوت الله مفتوح للذين يشبهون الأطفال ويعتبرون أن لا حق لهم. إنهم لا يملكون الملكوت ولا يستحقونه، بل يقبلونه كما يقبل الطفلُ كل شيء من يد والديه.

## ج ـ المرذولون بسبب وظيفتهم:

### 1 ـ العشارون وغيرهم:

وهناك وظائف ومهن يحتقرها اليهود ويحتقرون أصحابها.

ـ هناك الخطاطون والحائكون. إنهم يتصلون بالنساء فيعتبر سلوكهم غير أخلاقي.

---

(1) مت 11: 16 ـ 17.

(2) مر 9: 36 ـ 37.

(3) مر 13: 10 ـ 16.

ـ هناك بائعو الجلود والدباغون. يرذلهم المجتمع لأن عملهم ممقوت ومكروه.

ـ هناك الصرافون وأهل الربى واللاعبون «بالقمار». إنهم يعتبرون من السراق واللصوص. ويرافقهم الراعي بسبب مهنته المكروهة أولاً. ثم، يظن الناس أنه يرعى خرافه في حقول الآخرين فيعتبرونه هو أيضاً سارقاً.

ـ وهناك العشارون يجمعون الضرائب من أجل روما ومن أجل وجهاء البلاد. بعضهم أغنياء مثل زكا العشار[1]. والعدد الكبير منهم هم موظفون صغار، أو عاملون في الجمارك مثل لاوي، أو خدام لدى العشارين الكبار. ولكنهم كلهم مرذولون. يحُرم هؤلاء اليهود بسبب نشاطهم، من حقوقهم المدنية. فلا يستطيعون أن يُدلوا بشهادتهم في المحكمة مثل العبد والمرأة والولد. ورافق هذا الحرمان من الحقوق المدنية حرمٌ ديني يدل على أنهم في حالة الخطيئة (لا أخلاق، سرقة، نجاسة)، وأنهم بالتالي ينجسون الشعب. ويتحول هذا الحرم فيما بعد إلى حاجز اجتماعي: فالفريسيون واليهود الأتقياء يمتنعون مثلاً عن إلقاء التحية على عشار: لقد أخرج من شعب الله وحُرم من الدخول إلى بيت الله. وهكذا نلاحظ أن الحياة الاجتماعية تمتزج مع الحياة الدينية.

أما يسوع فتعدى هذا الخط السلوكي. استقبل الخطأة (يعتبرون كذلك بسبب مهنتهم) أحسن استقبال ورحب بالعشارين، فأغضب الفريسيين ومعلمي الشريعة. دعا لاوي العشار ليكون أحد الإثني عشر، أي ممثلاً لشعب الله الجديد. وما أخرجه من محيطه «الخاطئ»، بل بعد أن دعا لاوي، أكل مع العشارين والخطأة[2]. وهذا ما شكك الفريسيين الذين جُرحوا في الصميم فقالوا للتلاميذ: «لماذا يأكل معلمكم مع العشارين الخطأة؟». ففي العالم اليهودي، ترمز المشاركة في المائدة إلى المشاركة مع شعب الله تحت نظر الله. وحين يشارك يسوع «المحرومين» في طعامهم، يصبح نجساً باتصاله بهم، يصبح «صديق جباة الضرائب والخطأة».

إن هذا التضامن مع الخطأة الذي أراده يسوع يتنافى والعقلية الدينية في عصره. إنه يرمز إلى انقلاب في القيم يرتبط باجتياح الملكوت للعالم. وهذا الملكوت يدركه أولئك الذين ليسوا أكيدين من نفوسهم، الذين ليسوا بمتخمين أو واصلين. يدركه المرضى

---

(1) لو 19: 1 ـ 10.

(2) مر 2: 16؛ لو 19: 5.

لا الأصحاء[1]. هذا الملكوت لا يبنى على السمعة الحسنة ولا على الضمير الصالح كما يراه المجتمع، بل على انقلاب في قلب من اكتشف أن الحب موجود.

**2 ـ سر حياة يسوع:**

لم يخطئ معاصرو يسوع حين نظروا أعماله. فقد أفهمهم بوضوح أنه يقيم ملكوت الله. تساءلوا: من هو هذا الشخص السري؟ من يعتبر نفسه؟ وجاءت أجوبتهم متعددة. «إنه ذاك الآتي». «إنه إيليا النبي». «إنه المسيح»[2]. رفض يسوع دوماً بأن يجيب على هذا السؤال. ولكنه دفع التلاميذ يوماً ليقدموا جوابهم. سألهم يوماً: «وأنتم من تقولون إني هو»، من أنا في رأيكم؟ وجاء جوابهم: «أنت المسيح». كان باستطاعتهم وحدهم أن يعرفوه لأنهم عاشوا معه علاقة فريدة، علاقة نماها يسوع إذ ركز تعليمه على شخصه لا على الشريعة كما يفعل الرابانيون. فهو الذين دعاهم وقال لكل واحد: «إتبعني». (هم لم يختاروه ويسموه «رابي»). وعلمهم لا شروح الشريعة، بل ما سيعيش من أحداث[3].

اختار يسوع اثني عشر ليكونوا شعب الله الجديد[4]، وأشركهم في بناء الملكوت. وأرسلهم إلى «الخراف الضالة في إسرائيل»، لا إلى النخبة. ودعاهم لأن يخدموا لا أن يُخدموا، على مثاله، أن يحملوا صليبهم كي يقوم الملكوت على الأرض. وعاشوا منذ ذلك الوقت الميزات الأساسية في حياة الكنيسة. فبنوا على مثال يسوع مملكة العدالة والمحبة. وتبعوا شيئاً فشيئاً الطريق الذي سار عليه يسوع، فصاروا جديرين بأن يفهموا الإنجيل (البشرى) الذي يحمله إليهم. تعلقوا به فبلغوا إلى الإيمان.

إن الآيات التي يتمها يسوع تعرفنا إلى موقف الله تجاه البشر وهو موقف حب لا يفهمه الذين يعيشون بمنطق هذا العالم. هذا ما شرحه يسوع لنا في مثل الإبن الضال. هذا المثل الشهير قدم الجواب للفريسيين الذين تشككوا من سلوك يسوع مع العشارين والخطأة، إنه بالأحرى مثل الأب الذي بذّر حبه من أجل أولاده، أكثر منه مثل الإبن الذي بذّر أمواله مع الزواني.

---

(1) مت 9: 12.

(2) يو 1: 41.

(3) لو 8: 31؛ 9: 31.

(4) مر 13: 3 ـ 19.

وهكذا دعا يسوع الفريسيين ليتخلصوا من فداء يعتبرونه ملكاً لهم، ليدخلوا في طريقة الله. وهذا الإله يثق بالناس ويحبهم كما هم. هذا ما نستنتجه من مثل العمال الذين أرسلوا إلى الكرم. تذمر العمال الذين تعبوا طول النهار لأنهم نالوا الأجر الذي ناله أولئك الذين عملوا ساعة واحدة. ولكن رب الكرم دعاهم إلى المشاركة في حبه الذي يتجاوز كل عدالة[1].

هذا الوحي يقلب رأساً على عقب الأفكار المعروفة في العالم اليهودي. تصوروا الله على مثال عظماء هذا العالم: إنه كائن قدير، ملك مهيب، ديان لا يلين سيكشف عن سلطانه في اليوم الأخير. ما كان اليهود الأتقياء يتجرأون على التلفظ باسمه. وصوره أصحاب الرؤى إلهاً ينتقم من أعدائه الذين هم أعداء شعبه. هناك مزج خطير. إذاً، لا يستقي يسوع تعليمه من عمل الله في العالم، من المحيط الذي عاش فيه. لا شك بأنه عرف تقليد هوشع وإرميا وحديثهما عن حب الله لشعبه. ولكن هذا التقليد لا يكفي وقد عرفه معاصروه دون أن يستخرجوا النتائج التي استخرجها.

إن الأناجيل تقدم لنا الجواب على هذا السؤال. فيسوع يعيش علاقة فريدة مع الله، علاقة من الحب والثقة البنوية. هو يتوجه إلى الله فيدعوه «أباه»[2]. بل يستعمل عبارة يستعملها الطفل مع أبيه: أبا، أيها الآب[3]. هذا الجديد الذي لم يصدقه معاصروه، قد أدخلناها سر العلاقات بين الله ويسوع. وهذا السر فهمناه علاقة حميمة بين الآب والإبن.

هذا ما أراد يسوع أن يشرك تلاميذه فيه. ابتهج حين رأى المساكين وصغار القوم يعيشون الحب لا قلب هذا العالم. فهذه الدينامية تتيح لهم أن يعرفوا أن الله هو آب[4]. وهم يستطيعون أيضاً أن ينادوه «أبانا» لأنهم حقاً أبناء الله[5].

---

(1) مت 20: 1 ـ 16.
(2) مت 25: 11 ـ 27.
(3) مر 14: 36.
(4) مت 11: 25 ـ 27.
(5) مت 9: 5، 45.

# موقف يسوع قاده إلى الموت

تضامن يسوع مع شعب المساكين والمنبوذين. وهذا الخيار الثوروي جعله يواجه الفريسيين والصادوقيين الذين تآمروا عليه وحكموا عليه بالموت. تبدو هاتان الفئتان مع رؤسائهما (الكتبة والشيوخ) ومع الهيرودسيين الأعداء العاديين ليسوع. من هم؟ لماذا وقفوا بوجه يسوع؟ كيف نفهم أن يكون الصراع بين يسوع وخصومه قد قاده إلى الموت؟

إذا أردنا أن نوضح هذا الوضع، نقسّم تفسيرنا لحياة يسوع قسمين متكاملين. الأول: تضامن يسوع مع الشعب وعارض الفريسيين. الثاني: تحرك الشعب، فحكم الصادوقيون على يسوع بالموت. نشير هنا، قبل التوسع في الموضوع، أننا لا نستطيع إعادة تكوين كل هذا الصراع. ولكننا نجد الأسباب التي قادت رؤساء الشعب لكي يقتلوا يسوع. وفي عملنا هذا سوف نستند إلى ما حفظ لنا الإنجيل من أحداث لها معناها.

## أ ـ تضامن مع الشعب ومعارضة للفريسيين:

نتعرف أولاً إلى الفريسيين ثم إلى حكم يسوع عليهم بأنهم مراؤون، لأنهم يقولون ولا يفعلون.

### 1 ـ الفريسيون:

الفريسيون هم المنفصلون. إنهم يريدون بممارستهم التامة لشريعة موسى وتفسيرها حسب الآباء (الكتبة)، أن يجسدوا إسرائيل الحقيقي منفصلين عن اليهود الذين ينجسونه. وتجذر هذا المشروع في التقليد التوراتي، وهو تقليد تبدو فيه ممارسة الشريعة جواباً من إسرائيل إلى إله العهد. إذاً، أراد الفريسيون أن يأخذوا تقليدهم بجدية، وهذا ما دفعهم

لأن يعيشوا جماعات صغيرة لكي يتعرفوا إلى الشريعة ويمارسوها. عاش هؤلاء «المنفصلون» كمجموعة فاهتموا بإرجاع الشعب إلى ممارسة تليق بإسرائيل الحقيقي.

كيف يحققون مشروعهم هذا؟ بدأوا يبشرون الشعب الجاهل للشريعة[1] وقاموا بفعلات لها معناها. فعادوا يدفعون العشر على كل محاصيل الأرض التي يشترونها[2]. ما كان باستطاعتهم أن يتحققوا أن هذا العشر الذي تفرضه هذه الشريعة على الطعام قد دُفع؛ فدفعوه لئلا يتنجسوا. هذا الموقف يشرفهم، ولكنه يجعلهم في مواجهة مع «شعب الأرض» الذي ينجس الأطعمة حين يرفض أن يدفع العشور. ثم إن مثالهم الديني جعلهم يقفون بوجه كل الذين ينجسون الشعب بسلوكهم. ونظموا لائحة بالأشخاص الذين لا يستطيع اليهودي النقي أن يعاشرهم (أما يسوع فاستقبلهم).

وزاد الفريسيون على ممارسة الآباء فرائض طهارة كانت محفوظة في شريعة موسى لكهنة يمارسون عملهم: اغتسال طقسي قبل الطعام، الاحتفاظ من الاتصال بما ينجس، مثل الجثة، الوثني، الشخص المحروم. وهكذا أرادوا أن يفرضوا على الشعب كله ما كان خاصاً بالكهنة. هذا يدل على غيرتهم الدينية. ولكنه يكشف أيضاً عن مشروعهم السياسي. حين انتزعوا من الكهنة ميزاتهم (ممارسة أقدس للشريعة)، انتزعوا منهم الحق بأن يقودوا الشعب وحدهم. ففي يهودية القرن الأول حيث تحكم طبقة كهنوتية وراثية، قام الفريسيون بحرب سياسية على هذه الطبقة الحاكمة. وهكذا دخل الفريسيون إلى السنهدرين (المحكمة الدينية العليا) وسيستفيدون من دخولهم حيث تدعو الحاجة.

**2 ـ حكم يسوع على الفريسيين:**

إن تصرف يسوع صدم الفريسيين وما يمثلون في الصميم: لم يعلم تلاميذه ليصيروا «أبناء الوصية». خالط الخطأة... هذا يعني أنه لا يقر بطريقة عيشهم «منفصلين»، وأنه يعرض تضامناً يلغي الحواجز والحرمات. وهكذا يهدد قوة تأثيرهم على الشعب كما يخرب مشروعهم السياسي. بل يذهب أبعد من هذا. يحل محلّهم كموجه للشعب، فيدعوه إلى التحرر من نير الشريعة. ويتجرأ فيقول: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والرازحين تحت أثقالهم وأنا أريحكم. إحملوا نيري وتعلموا مني تجدوا الراحة

---

(1) يو 7: 49.

(2) مت 23: 23.

لنفوسكم. فنيري هين وحملي خفيف»[1]. هذا النير الذي يتحدث عنه يسوع هو الشريعة كما يفرضها الفريسيون. إذاً، يسوع هو معلم الشريعة وهو يعرض مثال حياة يختلف عن الذي يقدمه الفريسيون. ولقي هذا المثال صدىً مستحباً عند شعب يحس بثقل العشور ويشعر بخطيئته لأنه لا يستطيع أن يتبع كل فرائض الشريعة.

إذاً، ستتركز الحرب بين يسوع والفريسيين في المجال الديني: جدالٌ حول تفسير الشريعة، شك بسلطة يسوع[2]. غير أن يسوع سيحكم عليهم حكماً لا استئناف فيه. يكفي أن نقرأ متى 23: 1، لنرى قساوة يسوع ضد هؤلاء المرائين الذين يحملون الناس أحمالاً ثقيلة، ضد هؤلاء القبور الخفية... ونحن نقرأ من خلال كلام يسوع تحذيراً إلى كل صاحب سلطة في الكنيسة أو في المجتمع.

## ب ـ تحرك الشعب وحكم الصادوقيين على يسوع:

تأخر الفريسيون في التصادم مع يسوع، وذلك حين هدد سلوكه النظام العام في اليهودية وفي أورشليم. نتعرف أولاً إلى الصادوقيين قبل أن نرى الأمور التي فيها اتهموا يسوع.

### 1 ـ الصادوقيون:

إنهم تقليديون يرفضون كل معتقد جديد. هؤلاء المحافظون في الدين يعارضون كل جديد يقدمه الفريسيون. خرج الصادوقيون من الأرستقراطية الدينية والدنيوية، فكان رؤساؤهم عظماء الكهنة والشيوخ. هم رجال نظام، لهذا تعاهدوا مع السلطات الرومانية وتحالفوا مع الهيرودسيين. وهذه المشاركة فتحت لهم طريق التجارة، وأتاحت لهم أن يقبضوا ضريبة الدرهمين التي يدفعها للهيكل كل يهودي يعيش على أرض الإمبراطورية. ففي بلد مضطرب، تملؤه الثورات والحركات الإرهابية (أصحاب السيوف، الغيورون)، خاف الصادوقيون من تمرد يجعل روما غير راضية عنهم. ويسوع سيكون موضع انتقاد من هذا القبيل في الجليل المعروف بروحه الثورية. هو يؤلب الشعب حوله، وهذا يكفي لكي يخيف الجميع.

---

(1) مت 11: 28 ـ 30.

(2) مر 22: 3 ـ 30؛ 27: 11 ـ 33.

**2 ـ أعمال تهدد السلام:**

إذا عدنا إلى الأناجيل، رأينا أن حياة يسوع انتهت بحج إلى أورشليم للاحتفال بالفصح، عيد الأعياد. شعب كبير كما في مظاهرة، وتشتعل الحمى المسيحانية. هذا ما عملته الجموع التي رافقت يسوع في المرحلة الأخيرة من هذا الحج (من أريحا إلى أورشليم). امتلأت بهذا الرجاء فانتظرت في الحال ظهور الملكوت (لو 19: 11: ملكوت الله سيظهر في الحال). ولكن هذه الآمال الجنونية ما تعتم أن تتحول إلى ثورة وتمرد[1]. لهذا ضاعف عظماء الكهنة والشيوخ (وهم رؤساء الصادوقيين) السهر خلال الأعياد. إنهم المسؤولون عن الأمن في أورشليم وفي الهيكل. وهم يخافون الوالي الروماني الذي يترك مقره في قيصرية (على البحر) ويأتي إلى أورشليم ليراقب تحركات الشعب في المدينة المقدسة خلال الأعياد. وبرز حدثان أثارا انتباه السلطة اليهودية على يسوع: الدخول إلى أورشليم، طرد الباعة من الهيكل.

حين دخل يسوع إلى أورشليم، هتفت له الجموع التي رافقته من الجليل[2]. واجتمعت أمور عديدة في هذا الحدث لكي ترتاب السلطات التي حركها الفريسيون، بالخطر الآتي. جاءت الجموع من الجليل، مهد الثورات، وهتفت ليسوع على أنه ملك داود، المسيح، ذاك الآتي، الملك. وركب يسوع على جحش فقام بفعلة نبوية: لقد قال زكريا (9: 9 ـ 1) إن المسيح يدخل هكذا إلى مدينته. ورافق هذا الدخول عمل رمزي له بُعده الكبير، وهو تطهير الهيكل.

قالت بعض التقاليد الجليانية إن المسيح يطهر الهيكل عندما يجيء. وهذا ما حققه يسوع: بعد دخوله المسيحاني طرد الباعة من الهيكل. وهكذا مس امتيازات عظماء الكهنة، لأن التجارة التي تتم في حرم الهيكل تخصهم. انذهلت الجموع واندهشت لهذا العمل[3]. وقد تبدأ بثورة. وهكذا صار الهيكل الذي هو من امتيازات عظماء الكهنة وسلطتهم، موضع المواجهة بينهم وبين يسوع[4].

---

(1) لو 13: 1.

(2) مر 11: 1 ـ 11.

(3) مر 11: 18؛ 12: 27 ـ 37.

(4) مر 27: 11؛ 12: . . . .35.

**3 ـ لا بد من إزالة من يضع البلبلة في الشعب:**

بدأ يسوع كمضلل للجموع التي ابتهجت بتدخلات يقوم بها بسلطان. وهذا السلطان يعارض سلطة رؤساء الشعب على أورشليم والهيكل. لذا سأله رؤساء الكهنة والشيوخ: «بأي سلطة تفعل هذا»؟ (أي: تقوم بتطهير الهيكل)[1] اصطدموا بسكوت يسوع (لم يرد عليهم) فهاجموا من جهة أخرى: الجزية المفروضة لقيصر[2]. حين سأل الخصوم يسوع سؤالاً حول دفع الجزية لقيصر، لامسوا مسألة دقيقة جداً. فالغيورون يرفضون أن يدفعوا الجزية التي ترمز إلى سلطة الإمبراطور الروماني، كما ترمز أيضاً إلى ثقل الضرائب التي تسحق الناس. إن أجاب يسوع أنه يجب أن ندفع الضرائب، لما يعد متضامناً مع الغيورين وبالتالي مع الحركات المسيحانية الشعبية. وإن أجاب أنه لا يجب أن ندفعها، اتُهم بالثورة على الإمبراطورية. وجاء جواب يسوع: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله». يفسره شراح عديدون بأنه موافقة على دفع الجزية. فالمال يخص سلطة البشر، والقيم الروحية تخص السماء. ولكن هذا التفسير ينسي الملاحظة التي تختتم الحدث. شدد مرقس على «تعجب» الجموع. إذا أردنا أن نفهم هذا التعجب نعود إلى سياق النص: طلب يسوع ديناراً يحمل صورة الإمبراطور[3] ولاحظ أن هذه الصورة تزين الدينار. وحين أجاب يسوع أكد: ليس هذه صورة الله. إنها علامة تنجيس البلاد بواسطة المحتل. إذاً، ردوا هذا الدينار إلى صاحبه. ولكن يجب أن تعطوا الله ما يخصه أي الهيكل الذي تنجس اليوم بسبب الباعة، وبسبب الغنى الذي يتجمع فيه، وبسبب التجارة التي تتم فيه. نسب يسوع إلى نفسه مثل هذه السلطة فاعتُبر رجلاً خطيراً. هذا ما لاحظه عظيم الكهنة: «إذا تركناه على هذه الحالة (يتابع عمله) آمن به جميع الناس، فيجيء (يتدخل) الرومانيون ويخربون هيكلنا (هذا المكان المقدس) وأمتنا»[4].

**4 ـ النتائج:**

لم تستطع الأرستقراطية الدينية والسياسية أن تتحمل هذا الرجل الخطير الذي ظل لغزاً بالنسبة إليها. أوقعته بواسطة خدمها (اليهود)، وسلمته إلى السلطات الرومانية،

---

(1) مر 11: 28.
(2) مر 12: 14 ـ 17.
(3) مر 12: 15 ـ 16.
(4) يو 11: 48.

واتهمته بأنه ثائر سياسي: «وجدنا هذا الرجل يضع البلبلة في أمتنا». «ويمنعنا أن ندفع الجزية لقيصر. ويقول إنه المسيح الملك». إن نهاية هذه الآية تتضمن الاتهام الأساسي: جعل يسوع نفسه ملكاً. وهذه هي المسألة التي أثارت انتباه بيلاطس حين استجوب يسوع. سأله: «أأنت ملك اليهود»[1]؟

يتفق الإنجيليون على هذه النقطة ولاتفاقهم معناه في محاكمة يسوع الطامح إلى الملك والمشبه ببرأبا الذي هو ثائر سياسي. ولما أعلن الحكم على يسوع، سخر اليهود من هذا الملك «التعيس»[2]. وكتب بيلاطس سبب الحكم عليه، حسب العادة: «ملك اليهود»[3].

إذاً، الحكم على يسوع بالموت كان حكماً سياسياً. فيسوع ثائر ويدعو إلى الثورة. وأعماله تفهم الناس أنه المسيح ومحرر شعبه. غير أن هذا المسيح لا يستخرج النتائج من هذه الحرب. يترك السلطة توقفه، يرفض أن يدافع عن نفسه، يبدو جباناً ومتخاذلاً. وهذا السلوك الذي أورده الإنجيليون الأربعة، ظل لغزاً للجماعات المسيحية الأولى. بحثوا في العهد القديم عن سبب لهذا التصرف. فرأوا أن يسوع يجسد عبد الله المتألم، والمسيح الذي يسلم نفسه عن أحبائه[4]. وهكذا كانت آلام يسوع علامة عن تضامن من لا يكتفي بالكلام، بل يصل إلى العمل.

**5 ـ تضامن يتعدى الظواهر:**

هتفت الجموع ليسوع وأعلنته المسيح. ولكنها نسيت أن تتضامن معه حين أسلم إلى الموت. وفضلت يهودياً مناضلاً على هذا المسيح المذلول. والتلاميذ أنفسهم يئسوا. فتركوه وهربوا[5]. إن ردات الفعل هذه تشهد على المرارة التي أثارها سلوك رجل حطم الآمال التي أيقظها. لماذا اختار يسوع هذا الطريق؟

نستطيع أن نجمل جوابه بما يلي: دل يسوع على أن مملكته ليست من هذا العالم. إنه مسيح لمملكة أخرى، لمملكة ليست من هذا العالم. ويرتكز هذا التفسير

---

(1) مر 15: 2.
(2) مر 16: 15 ـ 20.
(3) مر 15: 26.
(4) أش 53: 1.
(5) مر 14: 50.

على اعتبار أورده يوحنا وفيه يؤكد يسوع أن مملكته ليست من هذا العالم[1]. ولكن هذا التفسير لا يمثل الطريق الوحيد الذي تقدمه الأناجيل، ولا يشدد على التعارض بين تصرف يسوع الملموس والتضامن مع شعبه ونهاية حياة يسوع. فهذا التعارض يتيح لنا أن ندرك إدراكاً أفضل أن يسوع هو المسيح، ولكنه ليس المسيح الذي انتظره اليهود.

فهذا الشعب المسحوق ينتظر مخلصاً يعيد الفردوس إلى الأرض، ويجعل التاريخ ينتهي هنا بعد أن يكمله ويهب فيه كل شيء. رفض يسوع أن يتبع الطريق المرسوم، فحطم هذا الحلم ودعا شعبه لكي يدرك أن تحرره يمر في التخلي عن أصنام. هو المسيح، ولكنه مسيح يحرر شعبه من التكاسل وعدم التحرك، ويجدده ليبني مستقبله بيده (لا بيد غيره). وهذا المستقبل ليس شيئاً نمتلكه، ولكنه يجد في حياة يسوع وجهة ومرجعاً. حين رفض يسوع أن يكون مسيحاً «يطعم الشعب»، دل بصورة ساطعة على تضامنه مع هذا الشعب طوال حياته. وهو بهذا التضامن يدعو جميع البشر: «قوموا لكي نبني مستقبلنا».

اختار يسوع هذا الطريق طوعاً، فذكرنا به العشاء السري. ففي وجبة أخيرة أخذها يسوع مع تلاميذه، دلت على أن لموته معنى من أجل جميع البشر[2]، إنه يخلق العهد (الميثاق) الجديد[3]، يخلق علامة جديدة بين الله وشعبه. فكل مرة نتم هذه العلامة، ندخل في هذا الطريق الجديد، نتجاوب مع التضامن الذي أراده يسوع. وهذا التضامن لم يتحطم بموت يسوع على الصليب. فلنا شهادة الكنيسة الأولى التي أكدت أن يسوع قام من بين الأموات. إن الله أعلن أن الطريق الذي اتبعه يسوع هو الطريق المثالي، هو نموذج لجميع الناس. لقد جعل الله من يسوع المحرر المتضامن مع كل الذين يبنون الملكوت اليوم، مع كل الذين يصبحون بأعمالهم المجتمعة امتداداً لجسد المسيح. وهذا التضامن الناشط والديناميكي، قد شهدت له كل أسفار العهد الجديد بطرق مختلفة، وحسب حاجات الجماعة التي خرجت منها. ونحن سنتعرف في وليْ هذا الكتاب إلى هذه الأسفار.

اختار يسوع أن يكون متضامناً مع شعبه حتى الموت. وهو اليوم أيضاً يبقى متضامناً مع المؤمنين. هذا هو معنى قيامته. قام ليبقى حتى نهاية العالم.

---

(1) يو 18: 36.

(2) مر 14: 22 ـ 25.

(3) 1 كور 25: 11؛ لو 22: 20.

# الفصل الرابع

## ـ مواضيع الفصل:

* الإيمان الفصحي
* أناجيل القيامة
* المسيحيون في السنوات الـ 70 الأولى للميلاد
* الرسائل البولسية
* بولس رسول يسوع المسيح

# الإيمان الفصحي

إن شخص يسوع وحياته كما تعكسها الأخبار الإنجيلية، تحركان فينا تعاطفاً، وتدفعاننا إلى اختيار نقوم به لكي نوجه حياتنا، لكي نحيا معاً، لكي نبني التاريخ. ولكن حين نقرأ التقاليد المتعلقة بيسوع، التي تؤلف العهد الجديد، نكتشف أنها وُلدت ودوِّنت انطلاقاً من يقين أساسي جداً. فهذا المصلوب الذي دل موته بشكل لا يقبل الشك، على نهاية حياته على الأرض، شأنه شأن كل إنسان، هذا المصلوب أعلنه التلاميذ حياً. وبشروا به على أنه المسيح والرب وابن الله. إنه حاضر وفاعل اليوم في حياتهم وفي تاريخ البشر. «لماذا تطلبن الحي بين الأموات»[1]؟ ذاك كان كلامه للنسوة اللواتي جئن إلى القبر. أجل، المسيح حي لأنه قام فلم يصل إليه فساد الموت. ونعالج في هذا الفصل قسمين: الأول، يسوع هو المسيح الذي قام. الثاني، قيامة يسوع وولادة الإيمان.

## أ ـ خبر القيامة:

قال بطرس في خطبته في الهيكل: «قتلتم ملك الحياة، ولكن الله أقامه من بين الأموات، ونحن شهود له بذلك»[2]. وكان قد قال يوم العنصرة: «إن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً[3]». فعلى خبرة القيامة نتوقف: يسوع هو الرب. والله أقامه من بين الأموات».

---

(1) لو 24: 5.

(2) أعمال 3: 15.

(3) أعمال 2: 36.

**1 ـ يسوع هو الرب:**

المسيح، الرب، ابن الله. تدل هذه الألقاب في العالم اليهودي، على وضع فريد وجديد، خاص بيسوع في علاقته بالله والبشر. استعادها المؤمنون بعد الفصح (أي عبور المسيح من هذا العالم إلى الآب بالموت والقيامة) وأعلنوا إيمانهم في عبارة موجزة: يسوع هو المسيح. يسوع هو الرب. يسوع الناصري، ابن الجليل، والإنسان الذي كان من عصره، والمصلوب، يقدم كالجواب الحاسم والنهائي الذي يحمله الله إلى البشر الذين يبحثون عن معنى لحياتهم: «فما من اسم آخر تحت السماء وهبه الله للناس نقدر به أن نخلص»[1].

ما هو أساس هذا التعلق (الالتصاق) الفريد بيسوع قبل موته وبعده؟ أي تفسير وأي معنى لولادة هذا الإيمان بالمسيح؟ إذا عدنا إلى خبرة التلاميذ، فما هو الذي يميز تمييزاً جذرياً هذا الإيمان من تعلقهم بيسوع (وقرارهم الارتباط به) قبل محنة الصليب؟

**2 ـ الله أقامه:**

حين نطرح هذه الأسئلة، تجيبنا أسفار العهد الجديد، فتحيلنا بأشكال متنوعة، إلى حدث فريد حقاً، يعني يسوع الناصري الذي صُلب. وهذا الحدث هو قيامته وتمجيده عن يمين الله. لم يكن التلاميذ ينتظرون شيئاً. ومع ذلك، فقد تقبلوا علامات القيامة في صباح أحد الفصح. قالت لهم هذه العلامات: هناك مستقبل آخر للعالم وقد بدأ مع يسوع القائم من الموت. مع يسوع «بكر إخوة كثيرين»[2]، «بكر القائمين من الموت»[3]. فلم يعد من معنى لوجود مجموعة التلاميذ ورفاق يسوع، إلا لكي يشهدوا للقيامة ويعلنوها.

نحن نقرأ في خطبة بطرس يوم العنصرة كلمات تكثف الإعلان الأول للإنجيل: «يا بني إسرائيل إسمعوا هذا الكلام: كان يسوع الناصري رجلاً أيده الله بينكم بما أجرى على يده من العجائب والمعجزات... أخذتموه وصلبتموه وقتلتموه بأيدي الكافرين. ولكن الله أقامه وحرّره من سلطان الموت. فالموت لا يستطيع أن يبقيه في قبضته...

---

(1) أعمال 4: 12.

(2) روم 8: 29.

(3) كو 1: 18.

فيسوع هذا أقامه الله،ونحن كلنا شهود على ذلك. فلما رفعه الله بيمينه إلى السماء، نال من الآب الروح القدس الموعود به فأفاضه علينا، وهذا ما تشاهدون وتسمعون»[1].

لقد رأت الكنيسة والتقليد الإنجيلي ولادتهما وديناميةً نموهما في قوة هذه الشهادة. والقديس بولس الذي اختلفت مسيرته إلى الإيمان عن مسيرة التلاميذ الذين اتصلوا بيسوع اتصالاً مباشراً، حدّث جماعة كورنتوس بعد موت يسوع بعشرين سنة بهذا الكلام: «إن كان المسيح لم يقم، فكرازتنا باطلة (فارغة، لا مضمون لها) وإيماننا أيضاً باطل»[2].

ونتساءل تساؤلاً جدياً عن بُعد هذه الأقوال. إذا كانت حاسمة بالنسبة لولادة الإيمان بالمسيح، فكيف نفهمها اليوم؟ كيف وُلدت؟ كيف نفسر مختلف التعابير عن القيامة في العهد الجديد؟ ما هي أهمية القيامة بالنسبة للوجود البشري، لحاضر العالم ومستقبله، هذا العالم الذي تضامن معه يسوع ويريدنا أن نتضامن معه؟

سنبدأ بمعالجة بعض تعابير الإيمان الفصحي لكي نكتشف العلاقة بين إعلانات قيامة يسوع وخبرات الشهود. حينئذ نتوقف عند أناجيل القيامة (زيارة إلى القبر، مشاهد الظهور) التي تجذر الإيمان الفصحي في خبرة التلاميذ التأسيسية (هي أساس إيماننا). وهكذا يهيئنا عمل تفسير النصوص لنرى في قيامة يسوع إعلاناً للجميع ووعداً بدينامية جديدة في حياة البشر وفي تاريخهم. أجل إن قيامة يسوع هي ينبوع الرجاء ومستقبله. نتوقف هنا عند تعابير القيامة وعلاقتها بولادة الإيمان، ونترك إلى فصل لاحق أناجيل القيامة وتأثيرها على حياة جديدة في الروح.

## ب ـ القيامة وولادة الإيمان:

### 1 ـ ملاحظات أولى:

نبدأ فنقدم ثلاث ملاحظات فنوضح السؤال ونتجنب سوء فهم هذه الخبرة الأساسية في حياتنا.

**أولاً**: لا يصور العهد الجديد أبداً حدث القيامة في ذاته، لا يبين لنا يسوع وهو

---

(1) أعمال 2: 22.

(2) 1 كور 15: 14.

يقوم، يخرج من القبر. فالكتابات تعبر عن الإيمان الفصحي بعبارات مقتضبة، أو تروي تعرف التلاميذ إلى يسوع الحي. وفي الحالتين هي لا تهتم بما حدث ساعة القيامة والخروج من القبر. هي لا تهتم إلا بوضع يسوع الجديد، وبالعلامات التي يعطيها بعد فصحه وعبوره إلى الآب. كل هذا يدفعنا إلى التأمل.

ثانياً: ما يستطيع أن يتفحصه المؤرخ ويُصدر حكماً فيه، هو وضع التلاميذ الذين صاروا مؤمنين وأعلنوا أن يسوع قام من بين الأموات. فبعد الصليب، وساعة لم تبقَ لهم إلا الذكريات، أخذوا يعلنون: يسوع حي. إلامَ ننسب هذا التحول في الموقف؟

ثالثاً: إن المفردات التي تعبر عن الإيمان الفصحي قد وُجدت قبل شهادة الرسل، وتوزعت في فئتين. الأولى سيطرت. ولهذا نحن نتحدث عن قيامة يسوع. إنها تنتمي إلى رمزية النهوض واليقظة. فالموت يعتبر رقاداً. ولهذا نقول نهض، قام، استيقظ من الموت. ظهرت هذه المفردة في وقت متأخر من تاريخ إسرائيل فعبرت عن يقين يُعلن أن الله لا يترك في الموت (أو في مثوى الأموات) شهداء الإيمان (القرن الثاني ق. م.). وارتبطت بانتظار نهاية الأزمنة وتتمة التاريخ بدينونة شاملة. والمفردة الثانية لم تكن متواترة في العهد الجديد، ولكن الكنيسة الأولى استعملتها. هي ترتبط برمزية الارتفاع والتمجد والصعود إلى السماء. فالله البار والأمين يرفع إليه الناس الأتقياء.

هذه الملاحظات تساعدنا على التنبه حين نقرأ مختلف الكتابات التي تعبر عن وجهات الإيمان في الجماعات الأولى. فهذه الجماعات عبرت عن إيمانها بيسوع القائم من الموت، بأشكال متعددة: في الإعلان الرسالي، في المديح والاحتفال بيسوع المسيح، في المشاركة في الإيمان وفي انتقاله داخل الجماعة أو من جماعة إلى جماعة.

**2 ـ الإعلان الرسالي:**

لقد أعطتنا خطبة بطرس يوم العنصرة فكرة كافية عن مضمون هذه الإعلانات الأولى التي تُستعمل في الرسالة. وقدم لنا سفر الأعمال أيضاً أمثلة لها معناها، خصوصاً ما قاله بطرس ويوحنا أمام السنهدرين (المحكمة العليا)، ساعة منعوهما من إعلان يسوع المسيح[1]. ثم خطبة بطرس أمام كورنيليوس، وهو أول وثني رأى في

---

(1) أعمال 9: 4 ـ 12.

يسوع «رب جميع البشر»[1]. ونجد في أمكنة أخرى تعابير عديدة عن هذا الإعلان الأول. مثلاً، يقول الملاك عند قبر يسوع: «أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. ما هو هنا، بل قام»[2]. وإذا استعدنا المفردات الأساسية في هذه الإعلانات نحصل على ملخص للكرازة الإنجيلية: يسوع الناصري قد صلبه البشر. ولكن الله أقامه. ونحن شهود على ذلك. ما هي الأمور المهمة التي نلاحظها في هذا الكلام لنكتشف ما نقول حين نتكلم عن قيامة يسوع؟ هناك أربعة:

**أولاً**: نحن أمام إنسان محدد، أمام يسوع الذي من الناصرة. لا أمام الإنسان أو أمام البشرية بصورة عامة. نحن أمام مسيرة ونوعية حياة هذا الرجل الذي أعطى آخر إشارة عن خياراته وأعظمها في موته على الصليب. هذا الإنسان بكل ما عاش في حياته على الأرض قد قام.

**ثانياً**: صلَبَه الناس. أقامه الله. إذا كان الصلب عمل بشري تاريخي، محدد في الزمان والمكان، فالقيامة تُعلن على أنها عمل الله. وما يميز هذا العمل هو أنه لا يقابَل ولا يقاس بأحداث عالمنا وتاريخنا وبما نقوم به من أعمال.

**ثالثاً**: والآن نفهم لماذا لا يروي العهد الجديد ولا يصور حدث القيامة في حد ذاته (أي: ساعة قام يسوع). إنه يكتفي بالتأكيد على الحياة الجديدة التي أعطاها الله للذي «أحبه حتى الغاية»[3]. فيسوع الذي أقامه الله،ليس جثة تعود إلى الحياة البيولوجية، فتصبح منظورة كما كانت قبل الموت.

نحن أمام شيء يختلف كل الاختلاف. حين أقام الله يسوع، وافق (قال نعم) على كل عمل وشخص يسوع الذي عاش كل حياته بالله ولله واشتغل من أجل عالم جديد ومصالح مع الله. فالله عمل بقدرته التي هي حب خلاق وحياة، فحقق في يسوع الجديد الإلهي، حقق في هذا الكائن الحقيقي عالماً جديداً ومصالحاً مات المسيح من أجله.

رابعاً: جوهر الإيمان الرسولي. هو لا يدل على عودة يسوع إلى عالمنا، يسوع الذي عاد حياً كما كان من قبل، وكأنه يريد أن يصحح فشل الموت. بل يدل على

(1) أعمال 10: 34 ـ 43.
(2) مر 16: 6.
(3) يو 13: 1.

وجود يسوع الجديد في الله ومن أجل الله. يدل على طريقة عمله الجديدة في العالم، على طريقة حضوره في عالم البشرة يبقى متضامناً معهم ويصبح رجاءهم ومستقبلهم. ولقد نال التلاميذ علامات عن هذا الحضور الناشط فجعلهم حقاً شهوداً ليسوع.

### 3 ـ مدائح للرب يسوع المسيح[1]:

كانت المدائح وأناشيد الفرح التي تنشد في الجماعات الأولى إكراماً ليسوع القائم من الموت، إشارات هامة إلى الإيمان الفصحي، وذلك بمضمونها وبدينامية الحياة التي فيها. حين وجه بولس إلى أهل فيلبي نداء ليحيوا قلباً واحداً وحباً واحداً، فلا ينظر الإنسان إلى ذاته بل إلى الآخرين، أورد نشيداً مسيحياً يرسم في حركة مكثفة حياة يسوع المسيح الرب[2].

نجد في هذا النص، كما نجد في الإعلانات، اهتمام الجماعة بأن تنسب إلى الله «ارتفاع» يسوع. ونلاحظ أيضاً تشديداً على التبدل في وضع يسوع كقائم من الموت: بالاسم الذي ناله (لقب كيريوس، أي: الرب)، بمناخ الإعلان الكوني والشامل (يشهد كل لسان)، بالإشارة إلى أن الارتفاع يدل على مساواة مع الله. ولكن هذه المساواة أُخفيت حين صار يسوع شبيهاً بالبشر، حين تضامن معهم حتى الصليب. وهكذا يحدد هذا النشيد موقع الرب يسوع بجانب الله،وهو يقاسمه المجد والقدرة التي تُحيي العالم. وفي الوقت عينه، يشدد النشيد على واقعية بشرية يسوع وعلى تاريخه الملموس الذي يشهد له الصليب أفضل شهادة. ويفسر مسيرة يسوع الإنسان بشكل عبد (عبد الله ـ خادم) أمين وطائع لله. وهكذا يحافظ النص بواسطة انشداد قوي، على التماثل بين يسوع التاريخي (عاش في التاريخ)، وبين يسوع الذي يُعلن رباً. لقد رُفع يسوع وصار رباً بسبب ما عاشه على الأرض. «لذلك رفعه الله». وإذ منح النص يسوع القائم بعداً يتجاوز مجرد الوضع البشري والتاريخي، فقد حافظ على العلاقة بين القيامة من جهة والصليب وتاريخ يسوع من جهة ثانية.

ظل الرب أخ البشر، ظل المخلص والوسيط. «الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد هو المسيح يسوع الإنسان الذي ضحى بنفسه فدى جميع الناس»[3].

---

(1) فل 2: 5 ـ 11.

(2) فل 2: 5 ـ 11.

(3) 1 تم 2: 5 ـ 6.

يبقى أن نُبرز أن ما يميز حركة المديح هو الاتجاه إلى جمع قيامة يسوع مع عمل الله في العالم وفي التاريخ. ستُعطى ليسوع أسماء إلهية. فلقب «رب» ولقب «إبن» سيساعدان على التعمق في سر المسيح. وهذا الاتجاه سيدفع الكنيسة لكي تعود إلى ما قبل وجود يسوع التاريخي، إلى وجود إلهي سابق نَعِمَ به ذلك الذي نُسميه بعد القيامة الإبن والبكر وكلمة الله وحكمته. ذلك الذي شارك أيضاً في عمل الخلق كله. قال القديس بولس في 1 كور 6 : 8 «فلنا نحن إله واحد وهو الآب الذي منه كل شيء ولأجله نحيا، ورب واحد وهو يسوع المسيح الذي به كل شيء وبه نحيا». وهناك مدائح أخرى في العهد الجديد تتوسع في التعبير عن الإيمان الفصحي. نكتشفها إذا قرأنا 1 تم 16:3؛ كو 1:15 ـ 20؛ يو 1: 1 ـ 18.

**4 ـ تقليد القيامة:**

التقليد هو نقل حي للإيمان، هو تقاسم الإيمان بين الجماعات، وارتكاز هذا الإيمان على خبرة المؤمنين الأولين. هذا الاهتمام حاضر في العهد الجديد الذي معه بدأ التقليد. وهكذا، انتقلت قيامة يسوع في تعابير «تقليدية»، كانت كلمات تعارف بين المسيحيين، فوصلت بأمانة إلى الجماعات. كان جدال بين الكورنثيين حوالي سنة 55 ـ 56 حول معنى القيامة بالنسبة إلى البشر وإلى مستقبل العالم. فعاد بولس إلى التقليد، ثم ذكر إحدى عبارات الإيمان. «أذكركم، أيها الإخوة، بالبشارة التي حملتها إليكم وقبلتموها... سلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته: المسيح مات من أجل خطايانا كما في الكتب، ودُفن، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وتراءى لبطرس ثم للإثني عشر»[1]. بعد هذه العبارة التي تميز التقليد الذي عُرف في كورنتوس، ذكر بولس ظهورات (تراءى يسوع، رُؤى) أكدت على الإيمان والشهادة اللذين بدءا مع بطرس (كيفا) ومع الإثني عشر (الرسل).

لاحظ الشراح منذ زمن بعيد التوازي بين قسمَي العبارة. فموت يسوع وقيامته هما وجهتان متلازمتان وغير منفصلتين في حدث الخلاص الواحد. الكتب هي الإعلان النبوي، وقد تمت بقيامة المسيح الذي التزم بتحريرنا من عبودية الخطيئة. وتمت أيضاً في القيامة التي تجعل المسيح في بداية عالم جديد، عالم المستقبل. هنا نفهم اللغة

---

(1) 1 كور 15: 1 ـ 5.

البيبلية التي تتحدث عن «اليوم الثالث» فتدل به على تدخل الله الحاسم في تاريخ البشر. ويحاول اعتراف الإيمان أن يؤكد حقيقة هذا الحدث الخلاصي. فكما أن دفن يسوع يشهد على حقيقة موته، فالظهورات لكيفا والإثني عشر تكفل حقيقة القيامة. وبكلام آخر، إن الإعلان عن قيامة يسوع مع المدلول الحاسم الذي نعطيه، ينبع من خبرةٍ عاشها الشهود في التاريخ، ففهموا أن يسوع استعاد المبادرة بانتصاره على الموت.

وتحدث التلاميذ عن «ظهورات»، «ترائيات»، ليدلوا على هذه الخبرات واللقاءات مع يسوع الحي. وإذ أرادوا أن يشددوا على أصالة هذه الظهورات، اختاروا عبارة أخذوها من العهد القديم، وخصوصاً من سفر التكوين، فقالوا إن الله سمح للإنسان بأن يلتقيه، بأن يراه: ظهر، تراءى، رُؤي. تشدد هذه العبارة على مبادرة الله وحرية عمله. فهو الذي يتراءى وهو الذي يعطينا أن نلتقيه. لا، لم تُولد خبرة الإيمان التأسيسية من رغبة التلاميذ أو من حال من الهلوسة.

وهكذا نرى أن إيمان البدايات أعطى قيامة يسوع قيمة حدث حقيقي، ولكنه حدث لا يقاس بآخر. وحافظ على الارتباط بخبرة الرسل التاريخية: بعد الصليب، بلغوا إلى الإيمان الفصحي بواسطة لقائهم بيسوع الحي. وستظهر أخبار الظهورات الإنجيلية وأخبار القبر الفارغ فيما بعد فتتجاوب مع هذا النمط من الاهتمامات. وهي إذ تشدد على هذه الناحية أو تلك، تمثل حالات متقدمة ومصاغة للتقليد الذي يتحدث عن علامات قيامة يسوع.

# أناجيل القيامة

يجد كل إنجيل ذروته في إعلان قيامة يسوع بشكل أخبار تروي زيارة النسرة إلى القبر، وظهورات لبعض النسوة، للتلاميذ، وخصوصاً للجماعة «الرسمية»، جماعة الرسل حول بطرس[1]. نتوقف أولاً عند الأخبار الإنجيلية حول القيامة، ثم نتحدث عن الحياة الجديدة في الروح كثمرة لقيامة يسوع.

## أ ـ الأخبار الإنجيلية:

نجد هذه الأخبار في الأناجيل الأربعة، وهي تبدأ بزيارة النسوة إلى قبر يسوع. ولكن ما يلفت نظرنا أولاً هو الاختلافات بين نص وآخر. كيف السبيل إلى التعبير عن خبرة لا تقع تحت الحواس؟ بعد هذا نعالج مسألة الظهورات ثم القبر الفارغ.

### 1 ـ الاختلافات:

حين نقابل التقاليد نجد اختلافات عديدة لا نستطيع الآن أن ندرسها بالتفصيل. فإنجيل مرقس لم يتضمن في فترة أولى (قبل أن يزاد عليه 16:9 ـ 20) إلا خبر اكتشاف القبر الفارغ. وتفرد متى ويوحنا بذكر لقاء يسوع مع النسوة (مريم المجدلية ومريم الأخرى حسب مت 28:9 ـ 10؛ مريم المجدلية وحدها حسب يو 20: 11 ـ 18). وهناك اختلاف آخر يلفت النظر. جعل متى لقاء الرب مع التلاميذ في الجليل وحسب رسمة توافق لغة ارتفاع يسوع المسيح. أما لوقا ويوحنا فجعلا اللقاء يتم في أورشليم وحسب رسمة توافق فكرة القيامة: كما أن يسوع انتقل من الموت إلى الحياة،

---

(1) مت 28؛ مر 16؛ لو 24؛ يو 20 ـ 21.

انتقل التلاميذ بفضل يسوع الذي التقوه، من عدم الإيمان إلى الإيمان، من الصمت إلى الكلام، ومن الخوف إلى الشهادة. أما إعطاء الروح القدس الذي يعبر عن مشاركة البشر في دينامية القيامة، فقد جعله يتم يوم الفصح بالذات[1]. أما لوقا فرأى فيه عطية يوم العنصرة، وقد جاءت تكمل وتكرس خبرة الإيمان بالقيامة: لقد صار التلاميذ شهوداً في قوة الروح القدس[2].

يجب أن نأخذ هذه الاختلافات بعين الاعتبار إذا أردنا أن نفسر تفسيراً صحيحاً خبرة الظهورات والقبر الفارغ كما نجدها في الأناجيل. فهذه الوقائع هي علامة عن القيامة. والأخبار التقليدية التي تذكرها دونت لتساعد المؤمنين على قراءة العلامات وفهمها.

**2 ــ الظهورات:**

نلاحظ أولاً أن مجمل النصوص تجعل يسوع يدخل «على المسرح» بصورة غير متوقعة. له المبادرة، وهو يسبق تلاميذه إلى مكان أعلن عنه سابقاً[3]. أو هو يصل فجأة ليختفي فجأة دون أن يعرفوه في البداية[4]، ويُعلن يوحنا أن يسوم دخل «والأبواب مغلقة». وحسب لوقا، ظن التلاميذ أنهم يرون «خيالاً» أو «شبحاً».

إذن، اهتم الإنجيليون بأن لا يجعلوا من هذه الظهورات لقاءات (مشهد تقبيل وعناق) محضة كما قبل الفصح، قبل القيامة. فالعناصر «الجسدية» و«السمعية البصرية» هي ضرورية للتحدث عن هذه الظهورات. ولكنها جعلت هنا مع التشديد على السر، على ما هو غير منتظر، على تعرف إلى يسوع بعد الفصح لا يشبه التعرف إليه قبل الفصح.

**أولاً: لقاءات حقيقية:**

يحدثنا لوقا ويوحنا عن خبرات واقعية جداً: بدا يسوع ورجلاه وجنبه المثقوبة، ويستطيع الواحد أن يراها أو أن يلمسها. نحن أمام كسر الخبز[5] أو غداء من سمك

---

(1) يو 20: 22.
(2) أعمال 2: 1 ـ 41.
(3) مت 28: 16 ـ 17.
(4) لو 24: 15، 31، 36؛ يو 20: 14، 19، 26؛ 21: 4.
(5) لو 24: 30.

مشوي[1]. ولكن هذه العناصر وُضعت في الأخبار لأسباب لا تتعارض مع الملاحظة السابقة. نحن أمام تماثل بين يسوع التاريخ وهذا الذي يكشف عن نفسه حياً وقائماً من الموت. نحن أيضاً أمام «واقع» القيامة: فالظهورات ليست رؤى تنبع من باطن التلاميذ، بل لقاءات ترجع إلى مبادرة يسوع الناصري المصلوب الذي انتقل كله (بما فيه جسده) إلى حياة جديدة. أراد تقليد لوقا ويوحنا بهذا الكلام أن يواجه «روحنة» مسبقة للقيامة والإنجيل. فكل الحقائق البشرية ستتبع مثال القائم من الموت. إنها مدعوة إلى تجلٍ، إلى تحول عميق بقدرة حب الله الخلاق.

**ثانياً: ولادة الإيمان والرسالة:**

ولكن بنية أخبار الظهور تمنعنا من تفسيرها وكأنها تصوير للقاءات حدثت بالتفصيل. فإذا وضعنا جانباً متى الذي يدل خبره على قيامة يسوع «السماوية»، يسوع الذي صار بقيامته سيد التاريخ وديّانه، إذا وضعنا متى جانباً، تنبسط الأخبار حسب الرسمة عينها: في البداية لا يعرفون يسوع، ثم يعرفونه بفضل إشارة أو كلمة تبدر منه. هذه الأخبار هي أخبار تعرف إلى يسوع أو ولادة الإيمان. وفي الوقت عينه، يُقاد التلاميذ من اللاإيمان والشك إلى تعلق حي بيسوع المنتصر على الموت. ويجدون نفوسهم مسؤولين وشهوداً عن القيامة والإنجيل. إذن، هذه الأخبار هي أخبار إرسال ودعوة. وكل شيء (كلمات وعطية الروح) فيها يدل على ولادة الكنيسة الموكلة على إنجيل الناصري المصلوب والقائم من الموت.

وأخيراً، نجد خطاً ثالثاً في هذه النصوص. فالظهورات تحاول أن تقنع التلاميذ بضرورة غياب يسوع المسيح. غياب «يرونه بعيونهم» فيحمِّلهم المسؤولية التاريخية كشهود، ولكن هذا الغياب هو شرط لحضور أكثر تأثيراً وشمولاً من قبل المسيح الحي في حياة البشر. وهذا ما يرتبط بمواضيع الروح الذي يُعطى وحضور يسوع مع أخصائه حتى نهاية العالم.

إن اعتراف الإيمان في 1 كور 15 قد تحدث عن الظهورات على أنها أصل الشهادة الرسولية عن القيامة. ونفهم الآن فهماً أفضل لماذا أعطتها التقاليد الرسولية هذه المكانة الكبيرة. إنها ينبوع الشهادة الرسولية. ولكننا لا نستطيع أن نجعلها «شيئاً» في أيدينا،

---

(1) لو 24: 41 ـ 43؛ يو 12: 21.

أو نقرأها بشكل مادي. حين نعتبرها مؤسسة الإيمان الفصحي هذا يفرض علينا أن نفسرها على أنها أعمال القائم من الموت: «يراها» الإيمان، وتعبر عنها اللغة الرمزية.

**3 ـ القبر الفارغ:**

يتضمن كل إنجيل حدث النسوة الذاهبات إلى القبر في اليوم الأول من الأسبوع (أي يوم الأحد). حين وصلن رأين القبر مفتوحاً. ولم يجدن فيه جسد يسوع. وشرح لهن هذا الواقع ملاك أو شاب في لباس أبيض فأعلن لهن: «لا ترتعبن! أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. ما هو هنا، بل قام. وهذا هو المكان الذي وضعوه فيه»[1].

هناك اختلافات هامة في تقاليد القبر الفارغ، ولكنها ترتبط كلها بالرؤى الجليلانية: البلاغ الفصحي يعلنه شخص سماوي في المكان الذي فيه دل الموت على سلطته وانتصاره على يسوع، هذا البلاغ يدل على انقلاب جذري في النظرة إلى الأمور. فقيامة يسوع هي عمل الله، والله وحده يقدر أن يكشفها. إنها هذا الوقت الحاسم في تاريخ البشر، الذي يدل على نهاية عالم عتيق وخاضع لسلطات الموت. كما يدل على تفجر عالم جديد، وخلق جديد فيه يتجلى الجسد. فيه يتجلى الإنسان كحضور وكعلاقة حية مع الله ومع البشر. أخيراً، تصل القيامة إلى المؤمنين ككلمة ترسلهم إلى إخوتهم في الجماعة كما ترسلهم إلى البشر.

هذا هو المدلول الأساسي لتقليد القبر المفتوح. ونحن نجد في أصل هذا التقليد احتفالاً يتم قرب القبر إكراماً ليسوع القائم من الموت. هذا المكان وافق كل الموافقة إعلان الغلبة على الموت، وإيصال بلاغ يورد جوهر الإيمان الفصحي. ونلاحظ أننا لا نجد موضوع القبر الفارغ خارجاً عن التقليد الإنجيلي. لا نجده في أقدم التعابير الإيمانية حول الإيمان الفصحي. إن علامة القبر تختلف عن علامة الظهورات، وهي لا تستطيع وحدها أن تكون أساساً إيجابياً للإيمان بالقائم من الموت. فقيمتها كأثر للقيامة في التاريخ، ومدلولها اللاهوتي لا يُدركان إلا في داخل الإيمان بالمسيح القائم من الموت. لا قيمة للقبر الفارغ كبرهان، وهو علامة سلبية قد تهيئنا لموقف إيجابي. وقد ألهمنا إنجيل متى أن القبر المفتوح والفارغ قد نالت تفسيراً آخر بين اليهود: «تلاميذ يسوع جاؤوا ليلاً وسرقوه ونحن نائمون».

---

(1) مر 16: 6.

## ب ـ حياة جديدة في الروح:

كان من الأهمية بمكان أن نفهم إعلان قيامة يسوع ونربطها بمسيرة التلاميذ الذين صاروا مؤمنين وشهوداً بعد القيامة، كما نربطها بالأسفار التي تعكس هذه المسيرة. ولكننا لا نحصر مدلول القيامة في ماضٍ يؤسس الإيمان المسيحي. بل نتطلع إلى الحاضر وإلى المستقبل.

اكتشفنا في الماضي أن النص الذي يعلن قيامة يسوع يعلن في الوقت عينه (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) تجديد البشر وحياتهم، يعلن مستقبلاً جديداً. لهذا سنستعيد مجمل النصوص على ضوء هذا الاكتشاف ونكتفي بالوجهتين المهمتين.

### 1 ـ الخليقة الجديدة:

يكثر العهد الجديد، وبصورة خاصة بولس الرسول، من الأقوال عن الخليقة الجديدة والإنسان الجديد الذي يبدأ مع يسوع القائم من الموت، وآدم الثاني[1]، وصورة الله[2]. القيامة هي إعلان مستقبل آخر للكون وللبشر منذ الآن وحتى تتمة التاريخ[3]. كيف نفهم دينامية هذا العالم الجديد، دينامية القيامة؟ هناك لغة ومواضيع ترتبط بانتظارات يعبر عنها العهد القديم والعالم اليهودي المعاصر ليسوع، ولكن لا وقت الآن لنتوسع فيها.

### 2 ـ الروح هو حياتنا:

الروح القدس هو قدرة الله العاملة في الكون والتاريخ لتحول كل شيء تحويلاً كاملاً إلى صورة الله: في النور والعدالة والحب، والتناسق بين الإنسان والكون. الروح هو حضور الله الفاعل. هو موهبة «الأزمنة الأخيرة» وواقعها. لهذا يرتبط الروح وقيامة يسوع ارتباطاً وثيقاً. فالروح هو بعد اليوم «روح ذاك الذي أقام يسوع من بين الأموات»[4]. ونجد أيضاً عبارة إيمان قديمة يوردها القديس بولس: «في شأن ابنه الذي

---

(1) روم 5: 12 ـ 20؛ 1كور 15: 44 ـ 48.

(2) كو 1: 15.

(3) كو 3: 10؛ أف 2: 15؛ 4: 24.

(4) روم 8: 11.

في الجسد جاء من نسل داود، وفي الروح القدس ثبت أنه ابن الله في القدرة بقيامته من بين الأموات، ربنا يسوع المسيح»[1].

إن موت يسوع وقيامته هما الذروة في تضامنه مع البشر كلهم. والناس يدخلون في هذا التضامن المسيحي بالإيمان والارتداد العميق في كيانهم وعملهم ارتداداً يجعلهم يبنون العالم الجديد: إنهم يشاركون روح المسيح ويعيشون منه[2]. يستطيعون أن يُولدوا من جديد، ويصنعون مع المسيح عالماً يتوق كله إلى «حرية أبناء الله».

إن الكنيسة، جماعة تلاميذ يسوع في العالم، لا تستطيع أن تعرف ربها وتعلنه للعالم إلا في قوة الروح. ومعمودية المسيحيين تجعلهم في تيار موت وقيامة المسيح (القائم من الموت) الذي يمنحهم لا روح العبودية، بل روح الحرية. هذا هو رجاء المؤمنين. وهذا الرجاء يعطي إيمانهم ومسؤوليتهم التاريخية أفقاً واسعاً وسع العالم ومستقبل البشر.

والعهد الجديد لا يفصل بين الإيمان بقيامة الأموات والإيمان بقيامة يسوع. فكل ما يكوِّن الواقع البشري في التاريخ معنيّ بالرجاء بالقيامة. «فالذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات، يعطي أيضاً أجسادنا المائتة الحياة بروحه الذي يسكن فينا»[3].

---

(1) روم 1: 3 ـ 4.
(2) الروح هو حياتنا، روم 8: 10.
(3) روم 8: 11.

# المسيحيون
# في السنوات الـ ٧٠ الأولى للميلاد

بعد أن ندرس الأحداث التي حصلت من سنة 30 حتى سنة 70 (تدمير أورشليم والهيكل)، نتعرف إلى بولس وجماعاته. ثم نقرأ الرسائل البولسية وسائر الرسائل تاركين الأناجيل وأعمال الرسل وسفر الرؤيا إلى الأجزاء التالية من هذه الموسوعة.

**ـ الأحداث السابقة لسنة 70:**

تمتد هذه الحقبة من موت المسيح، في 30 نيسان/أبريل سنة 30، إلى دمار أورشليم في آب/أغسطس سنة 70. تنوعت جماعة التلاميذ تدريجياً. خرجت من فلسطين وتجذرت في مدن الإمبراطورية الرومانية. وصارت الجماعات الجديدة موضعاً فيه تُلامس أعمال يسوع وأقواله والإيمان بقيامته، حياة الناس. فاللقاء بين اليهود واليونانيين المرتدين، يدل على أن الإنجيل لا ينحصر في شعب واحد، بل يتوجه إلى كل الشعوب. وذاكرة المؤمنين الحية واهتمامهم بالتعامل مع ظروف الشعوب وحضاراتها، ولدت تقاليد وكتابات ستؤلف مجموعة أسفار العهد الجديد.

غير أنه لا يجب أن ننسى أن تاريخ هذه الجماعات هو جزء من تاريخ الإمبراطورية بل جزء من التاريخ اليهودي. فبدايات الكنيسة انطبعت بعلاقاتها بالعالم اليهودي. وسماها بعض المؤرخين شيعة يهودية انفتحت على العالمين اليوناني والروماني. ما الذي هيأ الدرب لهذا اللقاء؟ أحداث وتطورات حصلت في الإمبراطورية عامة وفي العالم اليهودي خاصة. كانت سنة 70 في نظر المؤمنين الجدد نهاية حقبة وبداية حقبة. جاء تدمير أورشليم بعد الرسالات خارج العالم اليهودي، فثبت ما اكتشفته الكنيسة الفتية: كل الناس هم في الأساس متساوون في يسوع المسيح، سواء كانوا

يهوداً أم يونانيين. أرض إسرائيل لها أهميتها والعالم أيضاً. للماضي (العهد القديم) أهميته، وللمستقبل أهميته أيضاً. إن سنة 70 تشكل حداً فاصلاً له معناه، لأنها تقابل تبدلاً داخل الجماعات: زال جيل الشهود الأولين، وبدأت حقبة جديدة في الكنيسة.

### أ ـ الأحداث والتطورات في الإمبراطورية:

سنة 37 توفي الإمبراطور طيباريوس الذي في عهده حكم بيلاطس على يسوع بالموت. أما خلفاؤه فهم: كاليغولا (37 ـ 41)، كلوديوس (41 ـ 54)، نيرون (54 ـ 68). ثم جاءت فترة من الاضطراب تصادم فيها الطامحون وجيوشهم إلى أن وصل فسباسيان إلى الحكم. كان منذ سنة 66 قائداً على الجيوش الرومانية الموكلة بقمع الثورة اليهودية في فلسطين. ومن فلسطين انتقل ليكون الإمبراطور في روما.

إن وزن الجيش في الاستيلاء على السلطة نفهمه باتساع الإمبراطورية اتساعاً كبيراً. ففي سنة 30، كان حوض البحر المتوسط تحت سلطة روما. ولكن الدفاع عن الإمبراطورية وديمومتها، والبحث عن موارد جديدة، كل هذا فرض على روما أن تتوسع أيضاً. فضمت سنة 43 بريطانيا العظمى، وأرسلت حملات عسكرية إلى خط الرين والدانوب وباتجاه البحر الأسود. وفي سنة 59، أشعلت الحرب ضد الفراتيين وضمت إليها أرمينيا. وهنا نلقي نظرة سريعة إلى السياسة والاقتصاد والدين.

#### 1 ـ السياسة:

كان «السلام الروماني» قد سيطر سيطرة ثقلت يوماً بعد يوم على المناطق المحتلة. فرضت حضارة واحدة على الحضارات المتعددة. ولعبت المؤامرات فأطاحت بالملوك المحليين. وفُرضت الضرائب فأثقلت كاهل الأفراد والجماعات، وكل هذا خدمة لبعض المحظوظين في عاصمة الإمبراطورية. في هذا الإطار نفهم الطابع الجذري للثورة اليهودية، وطريقة قمعها سنة 66 ـ 70. ما كانت الإمبراطورية تتحمل الضعف على حدودها الشرقية التي يهددها الفراتيون والعرب. ثم إن اتساع الإمبراطورية استدعى تنظيماً إدارياً دقيقاً. هذا ما سيقوم به كلوديوس منذ سنة 42. وهكذا تبقى روما قلب هذه المجموعة الواسعة، لا على المستوى السياسي والإداري وحسب، بل على المستوى الاقتصادي والمستوى الديني.

#### 2 ـ الاقتصاد:

تطور الاقتصاد على مستوى التبادل والتجارة. وعملت الإمبراطورية وسعها من

أجل انتقال البضائع بين المقاطعات من جهة، وبين المقاطعات وروما من جهة ثانية. وشُيد سنة 42 مرفأ جديد في أوستية، قرب روما. وتكاثرت الأعمال الضخمة: الطرق، القنوات التي تربط الأنهر والبحار. واستفادت المدن المهمة من هذه التجارة. فنمت الإسكندرية وكورنتوس وإنطاكية... وزاد عدد سكانها، وامتزجت الأعراق فراح أهل الشرق إلى الغرب والعكس بالعكس.

**3 ـ المستوى الديني:**

دخلت عبادة الإمبراطور في حياة الإنسان، وبصورة أسهل في المدن الشرقية والهلنستية التي اعتادت على تأليه ملوكها. ففي سنة 40، حاول كاليغولا أن يفرض عبادة شخصه. وسعى ليجعل تمثاله «الإلهي» في هيكل أورشليم. وعاش الناس هذه العبادة الرسمية كتعبير عن حس وطني وخضوع سياسي. ومقابل هذا، اتسعت الديانات السرّانية والعبادات الشرقية فوصلت إلى روما، بحيث إن كاليغولا فرض عبادة إيزيس سنة 40. وكلوديوس عبادة أتيس وقيبالس سنة 47.

## ب ـ الأحداث في العالم اليهودي:

عاش اليهود حتى سنة 70 في فلسطين وفي الشتات، أي في الجماعات المنتشرة في كل مدن الإمبراطورية. ولكن ثورة فلسطين (66 ـ 70) ستنهي الوجود الوطني في فلسطين، كما ستلغي النظم السياسة والدينية التي كانت تعبر عنه. وهي: الهيكل، التنظيم الكهنوتي، السنهدرين.

**1 ـ الشتات قبل سنة 70:**

نَعِمَ العالم اليهودي بوضع الديانة المسموح بها. انفصل اليهود عن الآخرين بديانتهم، ولكنهم امتزجوا بهم في الحياة الاقتصادية والتجارية. وكانت ردات فعل عنيفة هنا أو هناك بسبب تأثيرهم أو تنظيمهم. في سنة 38، قامت ثورة عليهم في الإسكندرية. وفي سنة 41، دعا كلوديوس أهل الإسكندرية إلى التسامح من جهة، وإلى الحد من المطامح اليهودية من جهة أخرى. في سنة 49، كانت اضطرابات في روما بين اليهود بسبب شخص اسمه كرستوس (أي المسيح). فطردهم كلوديوس. غير أن العدد الأكبر من اليهود تأثروا بالحضارة اليونانية (تهلينوا) فتطلعوا إلى العالم الذي يحيط بهم رغم وثنيته. ومقابل هذا، اهتم عدد من الوثنيين بالعالم اليهودي. هذا ما يساعدنا

على فهم شيئين. من جهة، تقبل الناس الإنجيل في مدن الإمبراطورية. ومن جهة ثانية، قام يهود الشتات في مجامعهم بحرب على الكنيسة وعلى المرسلين الجدد فقال بولس فيهم: «قتلوا الرب يسوع واضطهدونا، لا يرضون الله ويعادون الناس، فيمنعونا من تبشير الأمم بما فيه خلاصهم»[1].

**2 ـ فلسطين قبل سنة 70:**

كان أغريبا الأول، سليل هيرودس وصديق الإمبراطور كلوديوس، ملكاً على مجمل الأرض اليهودية من سنة 41 إلى سنة 44. فإذا وضعنا هذه الحقبة جانباً، كانت اليهودية وعاصمتها خاضعتين لسلطة الولاة الرومان. وبعد سنة 36، سيجدون صعوبة كبيرة في ضبط المعارضة الصاعدة. والثورة التي اندلعت سنة 66 كانت تحت الرماد منذ زمن بعيد: اللصوصية، عمليات ضد الرومان، ضد السامريين، ضد المتعاملين مع العدو. وفي قيصرية، مركز الولاة، تصادم اليونانيون واليهود مراراً. وفي أورشليم صارت الأعياد مناسبة لاشتعال النار الوطنية. وأكثر الولاة من الإجراءات القاسية، وقمعوا في الدم محاولات المقاومة، التظاهرات «المسيحانية»، أعمال الإرهابيين. وصُلب أناس عديدون مثل يعقوب وسمعان، ابني يهوذا الجليلي المقاوم المشهور الذي قتل قبل سنة 6 ب. م.

**3 ـ الحرب اليهودية:**

تنظمت الثورة سنة 66. وانضم إلى الحركة المتمردة وُجهاء الأرستقراطية الكهنوتية. مطالب جذرية ووسائل مقاومة أكثر جذرية، كل هذا يدل على قوة حركة الغيورين. في نهاية 66 وبداية 67 كلف نيرون فسباسيان وابنه تيطس بإعادة الهدوء. وسيعملان ثلاث سنين ليستعيدا مجمل البلاد. وحين صار فسباسيان إمبراطوراً، ترك لابنه محاصرة أورشليم. وفي آب/أغسطس سنة 70 سقط الهيكل، المعقل الأخير، وأُحرق. وهكذا انتهت حقبة في تاريخ العالم اليهودي.

## ج ـ نمو الكنيسة الفتية:

لا تعود كتابات العهد الجديد مراراً إلى الأحداث التي أشرنا إليها. كان المهم

(1) 1 تس 2: 15 ـ 16.

بالنسبة إلينا أن نصور المناخ الذي أحاط بنمو الكنيسة انطلاقاً من فلسطين. وحين نقدم كل سِفر على حدة، نعطي تفاصيل أكثر.

**1 ـ جماعة أورشليم:**

نمت نمواً كبيراً منذ العنصرة. ولكنها ما عتمت أن عرفت سلسلة من الاضطهادات من قبل السلطات اليهودية. ففي سنة 36 ـ 37، على أثر رجم إسطفانس، رئيس مجمع المسيحيين الهلينيين (أي يتكلمون اليونانية)، تشتتت الجماعة. وبشرت السامرة وقبرص وأنطاكية في سورية[1]. سنة 44، قُطع رأس الرسول يعقوب بأمر من الملك أغريبا الذي حاول بذلك أن يرضي المسؤولين الدينيين في أورشليم[2]. وفي سنة 62، قتل رئيس الكهنة يعقوب الآخر و«أخ الرب» الذي رأسَ سنوات عديدة الكنيسة المحلية.

**2 ـ ارتداد بولس:**

ارتد سنة 36 ـ 37 وعمل مع برنابا في أنطاكية سورية. ومن هناك انطلقا لحمل الإنجيل إلى العالم اليوناني والروماني. فبعد مهمة في آسية الصغرى (بين سنة 45 و49)، اجتمعت كنيسة أورشليم مع موفدين من أنطاكية ووافقت على دخول مسيحيين عديدين إلى الكنيسة. ووجدت وسائل عيش مشترك بين المرتدين من يهود ووثنيين[3]. وقام بولس بسفرتين أخريين بين سنة 50 وسنة 58، فولدت جماعات تسالونيكي وفيلبي وكورنتوس وأفسس.

ولما عاد بولس إلى أورشليم أُوقف هناك على أثر تدخل خصومه اليهود. سُجن سنتين في قيصرية، ثم أُخذ إلى روما بناء على طلبه ليمثل أمام محكمة قيصر. فوجد هناك مسيحيين منذ حكم كلوديوس. أقام بولس في روما سنوات عديدة وفيها مات كما مات بطرس. لا يذكر العهد الجديد تبشير أو ظهور كنائس في مصر والإسكندرية، ولا في شرقي الإمبراطورية (بلاد الرافدين) ولا في أفريقيا. ولكن لا شك في أن الإنجيل وصل باكراً إلى هذه المناطق حيث شكل الشتات اليهودي الإطار الأول من أجل حمل الإنجيل. ونبدأ بالتعرف إلى بولس والجماعات التي أسسها أو اتصل بها. ثم نعود إلى الأناجيل التي كانت آخر ما دون من أسفار العهد الجديد.

---

(1) أعمال 6 ـ 11.

(2) أعمال 12: 1 ـ 2.

(3) أعمال 15: 19 ـ 21.

# الرسائل البولسية

كان من الممكن أن نلقي ضوءاً على شخصية بولس، انطلاقاً من الأوساط المختلفة التي تأثر بها: عالم الشتات، الفريسيون، الجماعة المسيحية في إنطاكية... ولكننا سنتوقف عند عالم الكنائس التي أسسها بولس في العالم الوثني. أخذنا بهذا الخيار لأننا تحدثنا سابقاً عن الأوساط التي ساعدت على تكوين شخصية بولس، ولأننا سنعود إلى بعض منها حين نورد سيرة الرسول. أما الآن، فنحصر حديثنا في نشاطه داخل حياة الجماعات.

### أ ـ معلومات أعطاها بولس:

توزعت هذه المعلومات في رسائله. فبولس يكتب لا ليعطينا معلومات، بل ليرد على أسئلة خاصة طرحها عليه المسيحيون، أو ليواجه أحداثاً هامة تبلبل الجماعة (اضطهادات، خلافات). أما والأمر هو هكذا، فإننا نجمع المعلومات المتفرقة في أربعة مقاطع: أين غرست هذه المجموعات؟ كيف نمت هذه الكنائس؟ كيف بدت هذه الكنائس؟ ما كانت اهتماماتها؟

#### 1 ـ أين غُرست هذه الكنائس:

غُرست أول ما غرست في الحواضر الكبرى، في المدن. حين يوجه بولس كلامه إلى جماعة فهو يتحدث عن حاضرة. يتكلم عن كنيسة كورنتوس[1]، عن كنيسة تسالونيكي[2]، عن كنخرية. وحين يوسع نظره ليمتد إلى مقاطعة، يستعمل صيغة

---

(1) 1 كور 1: 2؛ 2 كور 1: 1.

(2) 1 تس 1: 1.

الجمع. يتحدث عن كنائس غلاطية، عن كنائس آسية. ماذا نفهم من كل هذا؟ إن الجماعات البولسية الواقعة في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (تركيا الحالية، اليونان)، هي كنائس مدينة. واسم هذه المدينة أفسس أو تسالونيكي أو فيلبي أو أثينا، أو كورنتوس. صارت هذه المدن عواصم مقاطعات الإمبراطورية فضمت شعباً كثيراً (نصف مليون في كل من كورنتوس وأفسس). وعرفت حياة من البذخ والرخاء وامتلأت بالأبنية الجميلة مثل الهيكل والمسرح والقصر. كما كانت مراكز ثقافية فعرفت المدارس والجامعات. وهكذا اجتذبت عدداً من السكان طالبوا بشرف المواطنية. عاش المسيحيون في هذا المناخ، فافتخروا لا بمواطنية أرضية، بل لأنهم ينتمون إلى كنيسة كورنتوس أو أفسس... أما المقاطعة فهي جزء من إدارة الإمبراطورية. هي تجمع بشكل متراخٍ عدداً من الحواضر المهتمة باستقلالها وسيطرتها على الأرض التي تخصها. هذا ما يعبر عنه بولس حين يتحدث عن كنائس آسيا أو مقدونية أو أخائية.

**2 ـ نمو هذه الكنائس:**

يبقى الجواب على هذا السؤال دقيقاً. فبولس لا يعطينا أرقاماً ولا أعداداً. غير أن هذه الجماعات لا تبدو كبيرة. فبعضها يجتمع في منزل خاص. في بيت غايس تجتمع كنيسة كورنتوس[1]. وفي بيت أكيلا وبرسكلة تجتمع كنيسة أفسس[2]. وفي بيت فيلمون تجتمع كنيسة كولسي (فلم 2). وإن افترضنا أن هناك عدداً من البيوت يلتقي فيها المسيحيون، لن يكون في المدينة أكثر من مئة شخص. فإذا قابلنا هذا العدد بسكان مدينة كورنتوس مثلاً، كان نقطة ماء في البحر. ومع ذلك، فهذه الجماعات تهتم بالرسالة. بعثت بالمرسلين إلى العالم المجاور. أرسلت بولس وبرنابا[3]. أرسلت أبلوس وسيلا وتيموتاوس، فغرسوا الإنجيل في حواضر جديدة. يستعمل هؤلاء المرسلون المجمع كمنبر يطلقون منه كلامهم[4]، ويجدون لدى اليهود أول المرتدين.

حينئذ أظهر اليهود عداءهم للمسيحية، فعملوا كل وسعهم ليمنعوا هؤلاء الواعظين

(1) روم 23: 16.
(2) 1 كور 16: 19.
(3) أعمال 13: 1 ـ 7.
(4) أعمال 5: 13، 14؛ 14: 1؛ 17: 10؛ 18: 4.

من متابعة «دعوتهم». في أنطاكية بسيدية «حرضوا وجهاء المدينة والنساء الشريفات»[1]. في لسترة «رجموا بولس وجروه إلى خارج المدينة»[2]، في تسالونيكي «ساقوا ياسون وبعض الأخوة إلى حكام المدينة»[3]. ولكن هؤلاء المرتدين الأولين فتحوا أمام الرسل الباب ليصلوا إلى الوثنيين.

عاشت الجماعات في أمان خلال نشاط بولس الرسولي (45 ـ 60). وتركزت الاضطهادات على الواعظين المتنقلين، ولا سيما على بولس[4]. ما يدهشنا هو شجاعتهم وجرأتهم التي جعلتهم لا يخافون الصعاب: خطر الأنهر واللصوص، خطر في المدن، خطر في البراري، خطر في البحر[5]. وما ساعد هذه الرسالات هو سهولة الاتصالات في البحر والبر داخل الإمبراطورية الرومانية. وما كان المسيحيون يعملون وحدهم. فقد قام وعاظ وثنيون ويهود بتكوين جماعات. وهكذا لم تكن الجماعات البولسية وحدها في حواضر العالم الروماني في القرن الأول المسيحي، فوجب عليها أن تحارب لتبرز اسم المسيح عالياً.

### 3 ـ كيف بدت هذه الكنائس؟

ضمت هذه الكنائس اليهود والوثنيين، الأحرار والعبيد، الأغنياء والفقراء. قال بولس في 1 كور 12: 13: «فنحن كلنا، أيهوداً كنا أم وثنيين، عبيداً أم أحراراً، تعمدنا بروح واحد»[6]. وحدث الكورنثيين في الرسالة الأولى (1: 26): «ما كان فيكم كثير من الحكماء بحكمة البشر ولا من الأقوياء أو الوجهاء». وانصبت اهتمامات بولس على الخلافات بين المسيحيين الآتين من العالم اليهودي وأولئك الآتين من العالم الوثني. فبولس، رسول الأمم لم يطلب من المرتدين الجدد أن يحفظوا الفرائض اليهودية مثل الختان والسبت وشرائع الطهارة. وهذه الجرأة التي هددت خصائص العالم اليهودي وامتيازاته، قد حاربها يهود الشتات وحاربها أيضاً المتهودون أي المسيحيون

---

(1) أعمال 13: 50..
(2) أعمال 14: 19.
(3) أعمال 17: 13.
(4) 2 كور 6: 1 ـ 13.
(5) 2 كور 11: 26.
(6) غل 3: 27 ـ 28.

المرتدون من العالم اليهودي. وهناك التمييز بين الأحرار والعبيد. يؤكد بولس أنهم كلهم متساوون في المسيح[1]. ولكنه لا يستخرج النتائج. فينصح العبيد بالبقاء في الوضع الذي يعيشون فيه (1 كور 7: 21 ـ 24: إن كنت عبداً حين دعاك الله فلا تهتم). وكتب إلى فيلمون بأن يعفو عن عبده أونسيموس الذي هرب، ولا يطلب منه أن يحرره. وهناك الأغنياء والفقراء في الجماعات. يرفض بولس ممارسات تشدد على الاختلافات بين الفئتين (1 كور 11: 21 ـ 22: يجوع بعضكم ويسكر آخرون). ثم يدعو إلى المشاركة في اللمة من أجل كنيسة أورشليم[2]. وحين يذكر بعض الكورنثيين بأنهم كانوا يوم ارتدادهم ضعفاء ومحتقرين، فلا يطلب منهم أن يثوروا، بل أن يبقوا بسطاء متواضعين في تصرفهم مع الشرف الكبير الذي نالوه. إذن، ضمت الجماعات البولسية مسيحيين مختلفين يتواجهون. نحن نفهمهم ولا ننسى خلافاتنا داخل الكنيسة المحلية وداخل الكنيسة الجامعة. لا يزال المؤمنون بعيدين عن الوحدة التي صلى المسيح من أجلها.

#### 4 ـ اهتمامات هذه الكنائس:

نجمل اهتماماتها الظاهرة بإثنين: الحياة الدينية، طريقة الحياة. إذا عدنا إلى الرسالتين إلى كورنتوس، نجد المواضيع المطروحة: مجموعات تبحث عن «حكمة موحاة» وعن انخطاف روحي. وهي تنقسم حول سلوك أخلاقي، وتجادل حول سلطة هذا الرسول أو ذاك. لا نرى اهتمامات هؤلاء المسيحيين بالسياسة أو بمشاكل المجتمع. إنهم جماعات صغيرة تهتم بتنظيمها الداخلي. وسيأتي يوم تواجه فيه مشاكل العالم الذي يحيط بها.

### ب ـ عالم مختلف:

حين ندرس صراعات بولس واهتمامات جماعاته، نراها مختلفة عن المسائل التي نطرحها اليوم. فالعالم الذي يعيش فيه المسيحيون الأولون يختلف عن عالمنا. كما يختلف عن عالم فلسطين. إنه عالم المدن الكبرى لا عالم القرى الريفية.

---

(1) 1 كور 13: 12؛ غل 28: 3.
(2) 2 كور 8 ـ 9.

### 1 ـ السلطة في هذه المدن:

كانت هذه المدن جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية الرومانية، ومع ذلك احتفظت ببناها السياسية. فانتخبت «نواباً» أو «شيوخاً» يمارسون وظائف مختلفة: العدالة، الإدارة، التنظيم... ولكن جرت العادة أن ينتخب الناس نوابهم من بين المواطنين الأغنياء. فهم يمارسون وظائفهم مجاناً. بل يدفعون من جيبهم فيسندون مدارس المدينة أو ينظمون الألعاب أو يصلحون الأبنية العامة كالمعابد والمسارح، أو يشيدون أبنية جديدة، أو يشترون الحنطة والزيت للمواطنين الفقراء. هذا «السخاء» يفرضه الفقراء الذين يهددون الأغنياء حين يدلون بأصواتهم، أو حين يقومون بثورة عليهم، ويقبل الأغنياء بهذا النظام: صاروا وحدهم جديرين بإدارة المدينة فنالوا الشرف والكرامة، وكانت لهم الوسائل العديدة ليزيدوا غناهم غنى. يدير هؤلاء الوجهاء المدن وكأنها مدن حرة. ولا ينسون عظمة سلطان الإمبراطور المؤله. هم يتملقونه لينالوا من رضاه وضعاً مميزاً لمدينتهم. ولكن هذا يبقى أمراً مؤقتاً. وإن هؤلاء الوجهاء لا يستطيعون إلا أن يرضوا الإمبراطور أو مبعوثه وإلا صودرت أملاكهم وراحوا هم إلى المنفى أو إلى الموت. نحن هنا أمام ازدواجية: من جهة، يحتاج الرومان إلى هؤلاء الوجهاء ليجمعوا الضرائب ويحافظوا على الأمن. ومن جهة ثانية، يحتاج الوجهاء إلى السلام الروماني من أجل ازدهار أعمالهم. مثل هذه البُنى تنزع من قلب المواطنين حب السياسة. يفتخر الوجهاء بسلطتهم. ولكنهم ما يعتمون أن يحتقروا هذا السلطة «المسخ» فيلجأون إلى اللامبالاة واحتقار العالم.

هناك أناس يمكن أن ينتخبوا ولكن إمكانياتهم ضعيفة إن لم تكن معدومة. ثم إن الغرباء والعبيد المحررين والرقيق لا يحق لهم بالانتخاب. كل هذا يجعل الناس لا يهتمون بالسياسة وأمور المدينة. وهكذا فعل المسيحيون الذين رأوا أن السياسة تفلت منهم. فسعوا إلى بناء عالم مسيحي في حياتهم المشتركة. قد يكون هناك انغلاق، ولكن هذا هو الوضع.

### 2 ـ عالم لا يعرف المساواة:

نتحدث اليوم عن الناس المتساوين أمام الشريعة، أقله بصورة نظرية. ولكن الأمر لم يكن كذلك في مجتمع القرن الأول المسيحي. هناك فئات مختلفة: العبيد، المحررون، الرجال الأحرار سواء كانوا مواطنين أم غرباء. وليس لهم كلهم الحقوق

عينها والواجبات عينها. فالعبد هو «شيء» يملكه سيده. والمحرر يرتبط بمولاه. والغريب لا يملك حقاً البتة. للمواطنين مبدئياً كل الحقوق، ولكن الهوة ما زالت واسعة بين الفقراء والأغنياء. مثل هذا النظام يقسم المجتمع إلى طبقات. هناك من يفرض عليه العمل (العبيد، الفلاحون) وهناك من يُعفى منه. هناك من يُوزع عليه القمح والزيت (المواطنون) وهناك من لا يحق له بذلك. في مثل هذا النظام يشدد الفرد على اختلافه عن الآخر. وكل عضو في مجموعة يدافع عن امتيازات منحه الشرع إياها. فيهود الشتات حصلوا على وضع مميز، وهم يحاولون أن يحافظوا عليه حتى بعد ارتدادهم إلى المسيحية. وهكذا فالحرب بين المتهودين وسائر المسيحيين ليست حرباً دينية وحسب، بل اجتماعية وسياسية.

حين نفهم هذه البنية الاجتماعية، نتقبل بصورة أفضل اهتمامات الجماعات الأولى. فالناس لا يأملون في تبديل وضعهم، لأن كل تبديل يفترض تبديلاً في القوانين. وهذه الاستحالة دفعتهم إلى البحث عن عالم تزول فيه الفوارق ويكون فيه جميع البشر أخوة متساوين.

### 3 ـ مدن تستهلك ولا تُنتج:

ضمت هذه المدن السكان العديدين، ولكنها لم تنتج ما تطعمهم، فاستندت إلى الفلاحين. كانت الغلال ضعيفة ولكنها كانت ضرورية لتحمي الناس من المجاعة. وما كانت تغني إلا الملاكين الكبار الذين يخزنون الغلال ويرفعون الأسعار. من هنا توسعت الحياة الاقتصادية، ففرض الرومان عملة واحدة وصار الوجهاء أصحاب البنوك ومالكي السفن... فئتان من الناس كانتا تعملان: العبد لأن الشرع يفرض عليه العمل، وصاحب الصنعة لأن الحاجة الاقتصادية تدفعه إلى ذلك، وإلا مات جوعاً. فالعمل يحقر الإنسان، ولهذا كانوا يهربون منه قدر المستطاع.

هذا هو المحيط الذي توجه إليه بولس ورفاقه في عمل الرسالة. فمن هو بولس الذي ملأ اسمه نصف أعمال الرسل، واحتلت رسائله حيزاً كبيراً من العهد الجديد؟

# بولس رسول يسوع المسيح

## أولاً ـ على ملتقى حضارتين:

وُلد بولس في طرسوس سنة 5 ب. م. إسمه العبري شاول، على اسم أول ملك في إسرائيل. واسمه الروماني بولس[1]. هكذا اعتاد اليهود أن يأخذوا اسماً رومانياً من أجل علاقاتهم مع اليونانيين والرومانيين. ويقدم بولس نفسه: «مختون في اليوم الثامن، من نسل إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني ابن عبراني، وفي الشريعة فريسي»[2]. هذا يعني:

ـ أنه ينتمي إلى الشعب المختار وإلى قبيلة بنيامين التي ارتبطت بسلالة داود، وفي أرضها كانت أورشليم والهيكل.

ـ أنه من عائلة فلسطينية. هذا يعني أنه عرف لغة أجداده التي هي الآرامية.

ـ أنه ارتبط بالحركة الفريسية التي وُلدت لتعيش الأمانة لله في ممارسة الشريعة ممارسة دقيقة.

كانت طرسوس مركزاً تجارياً هاماً. كانت مدينة مشهورة. ومنها كان الأباطرة يأخذون من يعلم أولادهم. كانت ملتقى الحضارة اليونانية والحضارة الشرقية. وهكذا وُلد من سيسمى رسول الأمم في ملتقى حضارتين.

عاش بولس في المدينة فاستقى منها الكثير من تشابيهه. تحدث عن الذين يسابقون

---

(1) أعمال 13: 9.

(2) فل 3: 5.

في الحلبة، عن المسرح، وعن المحاكم. . . كان بولس مواطناً رومانياً منذ مولده[1]. هذا يفترض أن عائلته كانت غنية، وأنها كانت منفتحة على العالم الوثني لتشارك في إدارة المدينة. وهذا الانفتاح أتاح لها أن تعطي لهذا الولد ثقافة متينة وتربية واسعة.

وُلد بولس في عائلة فريسية فانطبع بها على المستوى الديني: عرف منذ صغره جوهر الشريعة ومعنى أعياد شعبه. ذهب إلى المدرسة المتاخمة للمجمع، وبدأ في سنه العاشرة دراسة التوراة الشفهية وتعلم لغة الكتاب المقدس. تربى بولس تربية دينية كما نال تربية مهنية مطلوبة من كل الرابانيين. تعلم صناعة حياكة الخيم[2]. وقد تكون مهنة أبيه التي أخذها، فأتاحت له أن يعمل بيديه ليبشر الجماعة دون أن يثقل عليها. وعرف بولس العالم اليوناني وتأثر به. فرسائله تدل على أنه ألَمَّ بالمواضيع الرئيسية في العالم الرواقي. وسيذكر في خطبته إلى أهل أثينا ما تعلمه من بعض الشعراء. ولما بلغ بولس سن الرابعة عشرة، ذهب إلى أورشليم، المدينة الجامعية اليهودية، ليتابع دروسه فيها[3]. كان معلمه جملائيل، وهو عضو في السنهدرين يحترمه الشعب كله، وقد دافع بشجاعة عن الرسل، فدل على حسن إيماني وعلى اهتمام باكتشاف كلمة الله في الأحداث[4]. تلقن بولس عند قدميه تراث شعبه الديني، وتعلم الأمانة للشريعة والغيرة عليها، كما حفظ التقاليد. وهكذا بدأ بولس فعرف الشريعة وعاشها قبل أن يتكلم عن قداستها وحدودها ويُعلن أن المسيح حررنا من نيرها.

كم أقام بولس في أورشليم؟ هذا ما لا نعرفه. ولكن ما هو أكيد هو أنه كان هناك يوم قام يسوع برسالته. لم يتخذ بولس موقفاً من هذا النبي الجليلي ولا يقول إنه التقى بيسوع. كل ما يذكره هو أنه اضطهد الكنيسة[5].

## ثانياً ـ رؤية دمشق:

بدت المسيحية الفتية خطراً كبيراً ليهودي متدين مثل بولس: «كنت أعتقد أنه يجب

(1) أعمال 22: 25 ـ 29.
(2) أعمال 3: 18.
(3) أعمال 3: 22.
(4) أعمال 5: 34 ـ 39.
(5) غل 1: 13؛ أعمال 22: 20.

أن أقاوم اسم يسوع الناصري بكل جهدي»[1]. اضطهد المسيحيين ووافق على مقتل إسطفانس[2]. وذهب إلى دمشق ليوقف المسيحيين ويعود بهم مقيّدين إلى أورشليم. ولكن في الطريق «أمسكه» (أسره) المسيح القائم من الموت[3] فحوله من مضطهد إلى رسول.

يتحدث بولس في رسائله مراراً عن اجتياح المسيح لحياته[4]. ويشدد لوقا على حدث دمشق في سفر الأعمال: يروي ثلاث مرات خبر دعوة بولس[5] ليدل على أهميتها. يجب أن نقرأ هذه النصوص لنكتشف كيف دخل المسيح المنبعث في حياة بولس، كيف ظهر، كيف كشف عن نفسه، وكيف دعا ذاك الذي سيرسله ليشهد لاسمه.

إن رؤية يسوع على طريق دمشق قلبت نظرة بولس إلى الأمور وسارت بإيمانه اليهودي فوصلت به إلى الإيمان بيسوع المسيح وابن الله الذي حقق رجاء إسرائيل: هذا هو ارتداد بولس إلى المسيح القائم من الموت. ثم إن رؤية دمشق هي أيضاً دعوته كرسول: ظهر المسيح له وجعل منه رسولاً وشاهداً للقيامة: «أما أنا رسول؟ أما رأيت ربنا يسوع المسيح؟» وهذا الظهور جعل من بولس رسول الأمم. هذا ما سيفهمه شيئاً فشيئاً. إنه يتكلم عن دعوته ويجعلها في امتداد دعوة المسيح عبد الله الذي جاء يحمل النور إلى جميع الشعوب[6]. كما أن رؤية أشعيا لله قررت دعوة النبي وطبعت بطابعها رسالته، هكذا طبعت رؤية دمشق رسالة بولس. لن نبحث مسبقاً كيف قدم سر المسيح والإنجيل، ولكننا نكتشف في رسائله مكانة المسيح المنبعث، وقوة النعمة، وتشديداً على جسد المسيح («أنا يسوع الذي تضطهده»، أعمال 9: 5) وعلى إعلان الإنجيل للوثنيين.

### ثالثاً ـ بولس الإنسان:

هذا الذي دعاه يسوع يتمتع بغنى بشري وروحي عظيم. مفكر عبقري، صاحب عاطفة إنسانية ورقة في التعامل. محب ويعرف معنى الصداقة. إنسان حقيقي لا يعرف

---

(1) أعمال 9: 26.
(2) أعمال 22: 20؛ 26: 10.
(3) فل 3: 12.
(4) غل 1: 15 ـ 16؛ 1 كور 8: 15 ـ 10.
(5) أعمال 9: 1 ـ 19؛ 22: 3 ـ 21؛ 9: 18 ـ 26.
(6) أعمال 47: 13.

الكذب، حازم وشجاع، متوازن ويعرف كيف يعطي ذاته كلها. أعطى نفسه للمسيح ورسالته، وحمل هم كل الكنائس. خاضع لنداءات المسيح، فيعمل ويوجه عمله باستمرارية ووعي إلى الهدف. برهن حتى مع بطرس على حرية في الرأي والكلام، واهتم بالمشاركة في الإيمان والأمانة للتقليد الآتي من الرب[1]. عرف أن المسيح جاء من أجل الجميع، فطلب أن يكون «كلاً للكل». اهتم برغبات الناس ولغتهم ليحمل إليهم إنجيل المسيح.

كيف بدت سيرة بولس؟ بعد ارتداده الذي جاء بعد استشهاد إسطفانس بوقت قليل (بين سنة 33 وسنة 37)، قضى بولس ثلاث سنوات في بلاد العرب وفي دمشق. ثم قام بسفرة إلى أورشليم قبل أن يعود إلى كيليكية ليقيم فيها[2]. بعد خبرة إنطاكية الرسولية (كرازة لليهود وللوثنيين، أعمال 11: 19 ـ 26)، قام بثلاث رحلات رسولية: قبرص وآسيا الصغرى (45 ـ 49)، آسيا الصغرى، مقدونية واليونان (49 ـ 52)، أفسس، آسيا الصغرى، مقدونية واليونان (53 ـ 58).

عزم بولس أن يحمل الإنجيل إلى غربي حوض البحر المتوسط، إلى إسبانيا حيث يذهب ماراً بروما. ولكنه قبل ذلك أراد أن يحمل إلى كنيسة أورشليم المحتاجة، مساعدة مادية من سائر الكنائس. ولكنه أوقف في عيد العنصرة سنة 58 في أورشليم. سُجن في قيصرية (58 ـ 60) فرفع دعواه إلى قيصر. أرسل إلى روما (60 ـ 61) وقضى فيها سجيناً (61 ـ 63) بحراسة أحد الجنود. أفرج عنه فذهب إلى إسبانيا وإيطاليا والشرق وأوقف مرة ثانية وسجن، ثم مات شهيداً في روما سنة 67.

## رابعاً ـ بولس الرسول:

رسالة بولس هي رسالة من يفتح الطريق. اختار مراكز الانتشار التي هي المدن والمرافئ، فأعلن الإنجيل حيث لم يصل بعد[3]. وإذا نظرنا إلى طريقة أسفاره، نراه

(1) 1 كور 23: 11 ـ 24؛ 15: 1 ـ 12.
(2) غل 1: 16 ـ 21.
(3) روم 15: 20.

مهتماً بأن يحمل هذا الإنجيل دوماً إلى الأمام في العالم. وإذا أردنا أن نبسط الأمور، نميز ثلاث حقبات في نشاطه الرسالي. في البداية، حاول أن يرد الجماعات اليهودية لتكون أساس انطلاق متين من أجل نشر الإنجيل. بعد هذا، استخلص الأمثولة من رسالة إنطاكية فبدأ يعلن الإنجيل في المجمع. ولما رفض اليهود تعليمه توجه مباشرة إلى الوثنيين. أخيراً، أخذ يعظ الوثنيين منذ البداية دون أن يتخلى عن الاهتمام بخلاص شعبه. وتلفت نظرنا سمات عديدة من عمله الرسالي:

**أولاً**: طابعه الشامل. يكرز بولس لليهود وللوثنيين، يكرز لجميع الأوساط، للأحرار والعبيد، للفلاسفة والمثقفين والجهال[1]. ويرفض أن يسجن الوثنيين المرتدين في إطار الممارسات اليهودية.

**ثانياً**: حاول بولس أن يُفهم محاوريه أن الإنجيل يحقق آمالهم ويتجاوزها، يحقق توقهم إلى الحكمة والحرية والخلاص ويتجاوزه، وهو يدخلهم في سر أين منه أسرار العالم الشرقي التي تُبقي الإنسان ضائعاً حائراً.

**ثالثاً**: أدخل في قلب العالم ضمير الإنجيل. هذا ما نجده خاصة في الرسالة إلى فيلمون: لا يكون أونسيموس بعد اليوم عبداً بل أخاً حبيباً في المسيح.

**رابعاً**: أعلن الإنجيل في حياة البشر. ففي 1 كور مثلاً ألقى الضوء على كل مسألة وعلى كل وضع حياتي انطلاقاً من سر المسيح وحياتنا فيه.

**خامساً**: حين نتعرف إلى شخصية بولس القوية، قد نظن أنه عمل بشكل فردي. لا ثم لا. ففي رحلاته الرسولية رافقه أشخاص مثل برنابا، يوحنا مرقس، سيلا، لوقا... ثم إن علاقاته بالكنائس قد أمنها معاونوه مثل تيطس أو تيموتاوس. أرسل عدداً من رسائله باسمه وإسم رفاقه، أو ذكر أسماءهم في السلامات التي تنهي الرسالة[2]. وحيث أعلن الإنجيل، ولدت جماعات وكنائس وبرز رفاق وأصدقاء ومسؤولون نكتشف أسماءهم بصورة خاصة في بداية الرسائل ونهايتها.

---

(1) روم 1: 14.

(2) 1 كور 19: 16 ـ 20؛ 2 كور 13: 12؛ روم 16: 21 ـ 23؛ فل 4: 21 ـ 22.

## خامساً ـ بولس حامل الكلمة:

حمل بولس الكلمة بوعظه ورسائله.

### أولاً: بولس الواعظ:

كان الوعظ أحد أهم أعماله الرسولية. وقد حفظ لنا لوقا في سفر الأعمال نماذج من كرازته لليهود[1]، وللوثنيين[2]. كما ترك لنا وصية بولس الرعائية في خطبته أمام شيوخ أفسس. نجد في هذه الخطبة رقة قلب الرسول كما نجد تعليماً مفيداً لكل مسؤول عن العمل الرعائي[3].

### ثانياً: بولس المراسل:

ومد بولس رسالته في الكنائس، فأرسل إليها رسائل تتجاوب ووضعها، وترد على الأسئلة التي طرحتها عليه. إذا وضعنا جانباً الرسالة إلى روما بوجهها العام، فقد توجهت كل رسالة إلى جماعة محددة وأخذت بعين الاعتبار مشاكلها. وبما أن هذه الرسائل تتوزع حياة الرسول على مدى اثني عشر عاماً، فهي تعرفنا إلى «إنجيله» وإلى نموه في فهم سر المسيح. تجذر فكر بولس في حياة الكنائس والعمل الرسالي، فعمل على التعمق في الإيمان. وحين انتقال الكنيسة إلى الوثنيين، لعب بولس دوراً أول فجعل الكنائس تعبر حدود العالم اليهودي، وأمن الحرية للوثنيين الذين قبلوا الإنجيل، وولدت الكنيسة في العالم اليوناني والروماني، وتغلغل في هذا العالم ضمير الإنجيل.

### ثالثاً: الرسائل في العالم القديم:

قبل أن نتحدث عن رسائل القديس بولس، نتعرف إلى الرسائل في العالم القديم.

ـ تبدأ الرسالة بذكر اسم المرسِل وإسم من ترسل إليه الرسالة.

ـ ثم يأتي فعل الشكر.

ـ وبعد أن يقوم الكاتب باللياقات، يعالج الموضوع (أو المواضيع) الذي يريد معالجتها.

---

(1) أعمال 13: 16 ـ 41، في إنطاكية بسيدية.

(2) أعمال 17: 22 ـ 31، في أثينا.

(3) أعمال 17: 20 ـ 35.

ـ تنتهي الرسالة بالتمنيات والسلامات.

هذه هي طريقة بولس في تدوين رسائله. هو لا يدون مقالاً حسب تصميم جامد. إنه يحاول أن يرد على أسئلة ملموسة واجهت الجماعات التي بشرها. لهذا نراه يعالج سؤالاً، يبتعد عن الموضوع، ثم يعود إليه. وإن بولس لا يكتب رسائله بيده، بل يمليها على كاتب يرافقه[1]. ثم تُرسل إلى جماعة بواسطة شخص أمين. مثلاً، حمل أبفراس رسالة بولس إلى كولسي[2]، وقد يكون استفاناس ورفاقه حملوا الرسالة الأولى إلى كورنتوس[3].

**رابعاً: رسائل القديس بولس:**

تنسب إلى القديس بولس ثلاث عشرة رسالة. ويزيد عليها التقليد الشرقي الرسالة إلى العبرانيين. وها نحن نقدمها حسب تسلسلها الزمني:

ـ الرسالتان الأولى والثانية إلى تسالونيكي.

ـ الرسالتان الأولى والثانية إلى كورنتوس.

ـ الرسالة إلى غلاطية.

ـ الرسالة إلى فيلبي.

ـ الرسائل إلى أفسس وكولسي وفيلمون.

ـ الرسائل الرعائية.

لن ندخل في متاهات نقدية، ولكننا نشير إليها بسرعة. منها أن 2 كور تألفت من رسائل عديدة دونها بولس ثم جُمعت فيما بعد. وأن بولس لم يكتب كو وأف كما لم يكتب الرسائل الرعائية الموجهة إلى تيموتاوس وتيطس (كتبت بعد سنة 70). نحن سنقرأ هذه الرسائل كما يقبل بها التقليد، فنرى فيها بصورة خاصة كشفاً عن إيمان الجماعات الأولى وحياتها.

---

(1) غل 6: 11.

(2) كو 4: 12.

(3) 1 كور 16: 17.

## ـ الرسالتان إلى تسالونيكي:

دونت 1 تس سنة 51 ب. م. إذن، هي أول نص كامل بين نصوص العهد الجديد. عنوانها يدل عليها. وُجهت إلى كنيسة تسالونيكي، وهي كنيسة أسسها بولس منذ بضعة أشهر في مدينة عظيمة هي عاصمة مقدونية (شمالي اليونان).

### أ ـ الرسالة الأولى إلى تسالونيكي:

خط بولس هذه الرسالة في الفرح. كان قد أرسل تيموتاوس إلى تسالونيكي، لأنه خاف أن يرى المسيحيين يتزعزعون بسبب الاضطهاد. فعاد تيموتاوس حاملاً إليه الأخبار الطيبة. فالجماعة التي تركها بولس على عجل خوفاً من اليهود[1]، تحملت المحنة بشجاعة. سُجن ياسون وبعض الأخوة، ولكن أخلي سبيلهم لقاء كفالة مالية. تعزى بولس حين سمع هذا الخبر، فأعاد قراءته على ضوء الإيمان. ذكر ما عاشه في تسالونيكي (2: 1 ـ 12)، ودُهش من شجاعة هؤلاء المرتدين الجدد الذي فعلت فيهم حقاً كلمة الله (2: 13 ـ 17). ونظرة المؤمن هذه نجدها ملخصة في الصلاة التي تفتتح الرسالة (1: 2 ـ 10): «نشكر الله كل حين من أجلكم جميعاً، ونذكركم دائماً في صلواتنا».

نود أن نشير إلى صعوبتين: الأولى تتصل بنهاية ف 2 حيث يتكلم بولس عن اليهود الذين هيجوا الشعب كله في تسالونيكي، وما زالوا يلاحقونه ليمنعوه من تبشير الوثنيين. غضب بولس ووعدهم بغضب الله. هذا لا يعني أن بولس أبغضهم أو أبغض أي جماعة أخرى. وسيدل على محبته لهم في الرسالة إلى روما: «أتمنى أن أكون محروماً ومنفصلاً عن المسيح في سبيل إخوتي بني قومي في الجسد[2].

الصعوبة الثانية ترتبط بالنصائح الأخلاقية التي يعطيها بولس لأهل تسالونيكي[3]. يدعوهم لكي يعيشوا بهدوء، لكي يهتموا بأمورهم الخاصة، لكي يعملوا الخير، لكي يجعلوا الحب الأخوي أمراً ملموساً. مثل هذه النظرة إلى العلاقات بين البشر تصدمنا. لأنها تغلق الإنسان على نفسه وعلى جماعته فلا يعود يوسع آفاقه. هكذا كان الناس يفهمون الحياة في المجتمع: حياة في سلام ووئام حيث تشجب الخلافات. . .

---

(1) أعمال 17: 1 ـ 9.

(2) روم 9: 3.

(3) تس 4: 1 ـ 12؛ 5: 12 ـ 22.

**1 ـ نظرة بولس نظرة مؤمن (1: 2 ـ 10)**. افتتح بولس رسالته كعادته بفعل شكر (1: 2 ـ 10). نستطيع أن نقرأه فنتساءل: ما هي الأحداث التي تلهم صلاته؟

يقول بولس إنه يذكر في صلاته إيمان التسالونيكيين وما فيه من نشاط، يذكر محبتهم بما فيها من جهاد، ورجاءهم بما فيه من ثبات (3: 1). هذه العبارات تُجمل موضوع صلاته. نلاحظ أنه منذ سنة 51، كان الإيمان والرجاء والمحبة ميزات جوهرية في الحياة المسيحية. وتجتمع هذه الفضائل الثلاث مع ثلاث صفات تدل على العمل: النشاط، الجهاد، الثبات. إذن، ليست موجودة في ذاتها، بل في تحققها في الواقع. ويفسر بولس في ولِيْ صلاته الطريقة التي بها عاش التسالونيكيون الاضطهاد، فرأى فيها علامة على اختيار الله لهم (لقد اختارهم الله كشعبه)، علامة على حضور الروح الناشط. ينطبع فعل الشكر هذا بطابع ملموس ومحدد في الزمان والمكان. لن نقوله في أي وقت كان، ولكنه يفتح أمامنا طريقاً للصلاة.

**2 ـ مصير الموتى**[1]:

ونقرأ أيضاً 4: 13 ـ 5: 12 لنكتشف فيها الأسئلة التي يحاول بولس أن يجيب عليها، ولنلاحظ الصعوبات التي جابهته. وهذه نقاط تساعدنا في اكتشافنا لغنى النص الرسائلي.

**أولاً: سؤالان:**

عالج بولس سؤالين طُرحا على الجماعة ونقرأهما في 4: 13 و5: 1. السؤال الأول يعني موت المسيحيين الأولين. وهذا الموت يعارض الإيمان بالمسيح الرب الذي ننتظر عودته في مستقبل قريب. ماذا سيكون مصير هؤلاء الموتى؟ هل سيشاركون في العالم الجديد؟ والسؤال الثاني: حاول هؤلاء المسيحيون أن يحسبوا الزمن الذي ستحصل فيه هذه العودة المجيدة. إذن، متى يأتي يوم الرب؟

**ثانياً: ألفاظ غريبة:**

حين نقرأ النص نصطدم بألفاظ غريبة. نجد في 4: 15 ـ 18: الهتاف، رئيس الملائكة، البوق، السماء، السحاب، الفضاء. وفي 5: 1 ـ 10: يوم الرب، النور،

---

(1) 4: 13 ـ 5: 11.

الظلمة. كل هذه الكلمات جزء من صور تبدو بعيدة عنا. يبدو ف 4 وكأنه حلم. ويبدو ف 5 بشكل دراماتيكي: أما نحن أمام دينونة قاسية؟ إذا أردنا أن نتعدى الصعوبات نضع هذه الصور في سياقها النصوصي.

**ثالثاً: العالم الجلياني:**

جلا أي كشف شيئاً خفياً فجعلنا وكأننا نراه. أراد بولس أن يجيب على سؤال طرحه موت بعض المسيحيين، فاستعمل في ف 4 ألفاظاً وصوراً صيرتها كتب الرؤى شعبية. ففي السيناريو العادي، الملائكة والبوق والسحاب... كل هذا لا نستغني عنه لنجعل تدخل الله يظهر بشكل ساطع. ونفهم هذه الطريقة في التفكير في عالم يحيط فيه الملوك نفوسهم بحاشية وأبهة ليفرضوا سلطانهم: يتبع الكاتب هذا النموذج ليصور قدرة الله السامية.

أخذ بولس بالنظرة الجليانية والشعبية التي تقوله إن مسكن الله هو في السماء. هذا التمثل يعكس عقلية تقسم الكون إلى إثنين: السماء والأرض. أما الأرض فمطبوعة بعلامة سلبية. واستعمل بولس أيضاً في ف 5 رسمات عرفتها كتب الرؤى. فـ «يوم الرب» عبارة بيبلية قديمة تدل على يوم تدخل الله النهائي، على يوم الدينونة: إنه يوم شر للأشرار ويوم خلاص للأبرار. وهكذا يظهر الله كالديان السامي. نستلهم سلطة الملك القدير حين يمارس العدالة ونطبق الصورة على الله. حين استعمل بولس هذه الصورة، ترجم يقيناً أساسياً وهو: أن الله لا يترك الشر ينتصر، ولا يترك الكلمة الأخيرة للأشرار. إن مستقبل العالم لا يصل إلى حائط مسدود، بل هو منفتح على الرجاء، على الخلاص.

**رابعاً: بشرى سعيدة:**

يدعونا بولس لكي نؤمن أن الموت ليس نهاية كل شيء، وأن الشر لن ينتصر في العالم. ولكنه يقول لنا ما يقوله بكلام من عنده، منطلقاً من نظرة إلى الكون ورثها من كتب الرؤى. وهو يجتذبنا إلى البعيد: إنه ينفصل عن إيمان ورثه من العالم اليهودي الذي فيه وُلد. فإذا أردنا أن نفهم هذا، نعود إلى النص ونتساءل: من الذي يفعل؟ هناك كلمة تعود دوماً، هي كلمة «الرب». هي لا تدل على الله نفسه، ولا تدل على كائن سماوي كما في كتب الرؤى، بل على يسوع الذي صار رباً بقيامته. فبيسوع ومع يسوع

قُهر الموت. والحدث أساسي جداً، لهذا جعله بولس في بداية برهانه (4: 14)، وتحدث عنه مرة ثانية في الخاتمة (5: 9 ـ 10). ما يؤسس إيمان بولس هو إيمان بيسوع وقيامته. إنهما يدشنان العالم الجديد ويساعداننا على التيقن من أن قيامتنا ليست مجرد تخيل وحلماً محضاً. إنهما واقع وحقيقة. قد نحتفظ بهذه النواة الأساسية بعد أن نعريها من لباسها الجلياني. ولكننا قد نحسبها صرخة نطلقها فتبقى بعيدة عنا. لا. فحين نؤمن أن يسوع قام، نؤمن أن حياته تفعل اليوم، وهي أقوى من الموت. إنها تفتحنا على عالم جديد.

**ب ـ الرسالة الثانية إلى تسالونيكي:**

سيكون تقديمنا للرسالة الثانية قصيراً. فهي تنسخ مرات عديدة الرسالة الأولى. إنها جواب على رسالة منسوبة إلى بولس، جعلت الناس يظنون أن يوم الرب جاء (2: 1). نجد الجواب في 2: 1 ـ 12. في هذا النص يستعيد بولس عناصر أخرى من الأدب الجلياني: يتحدث عن نكران الإيمان، عن رجل الإثم. يبدو هذا النص وكأنه لغز. لن نبحث فيه عن حقائق أبدية، بل نرى فيه محاولة تفسير تأخذ بعين الاعتبار التأخير الحاصل في مجيء الرب. ما الذي يمنع الرب من المجيء؟

**ـ الرسالتان إلى كورنتوس:**

كورنتوس هي مدينة هلنستية تعد نصف مليون نسمة. ازدهرت بفضل موقعها الجغرافي. هي تمتلك مرفأين: واحد على بحر إيجيه، والثاني على البحر الأدرياتيكي. جمعت، شأنها شأن سائر المدن العظمى في ذلك الزمان، شعباً اختلط فيه العبيد بالأحرار والأغنياء بالفقراء. أقام فيها بولس سنة ونصف السنة، فشيد جماعة ظل مرتبطاً بها بعد ذهابه[1]. والرسالتان إلى كورنتوس هما جزء من مراسلة الرسول مع هذه الجماعة المطبوعة بالخلافات الداخلية، وبتحولات في طريقة التعبير عن إيمانها وعيشه.

**أ ـ الرسالة الأولى إلى كورنتوس:**

يشير بولس بنفسه إلى مناسبة هذه الرسالة: مر أهل خلوة في أفسس وأعطوه أخباراً مقلقة. فعزم على الكتابة (1: 11). واستفاد من الظرف فأجاب على أسئلة

(1) أعمال 18: 1 ـ 18.

أخرى طرحها عليه بعض الكورنثيين[1]. لم يؤرخ بولس رسالته. ولكن يبدو أنه كتبها في بداية سنة 56 في أفسس (8: 16).

بعد هذا يبقى لنا أن نقرأ هذه الفصول الستة عشر حيث يعالج بولس عدداً من المواضيع. كلها مهمة وهي تساعدنا على التعرف إلى حياة الكنسية في مدينة كبيرة من مدن الإمبراطورية الرومانية. نقدم أولاً نظرة إجمالية ـ ثم ندرس مقطعين مهمين.

**1 ـ نظرة إجمالية:**

**أولاً: سؤال أهل خلوة[2]:**

بعد أن أنهى بولس فعل الشكر، عالج سؤالاً طرحه عليه أهل خلوة. أكد بعض الكورنثيين: «أنا أنتمي إلى بولس، وأنا إلى أبلوس، وأنا إلى كيفا (بطرس)» (1: 12). وهكذا دلوا بكلامهم على ارتباطهم بالرسول، كما يرتبط العبد بسيده. هم كالعبيد ينتمون إلى رئيس مشهور. اشتعل بولس غيرة وأدخل توسعاً طويلاً حول معنى الصليب، وهذا ما أتاح له أن يقلب كلام الكورنثيين وأن يؤكد: انقلبت العلاقات التراتبية في المسيح: الرسل هم خدام في الكنيسة وليسوا رؤساء أو أسياداً.

**ثانياً: حادث زنى ومحاكم[3].**

يعالج ف 5 ـ 6 حادث زنى (ف 5) ومسألة الدعاوى بين الأخوة (6: 1 ـ 11). فإذا أردنا أن نكتشف فائدة هذين الفصلين، نبحث عن الأسباب التي دفعت الكورنثيين ليتصرفوا بهذا الشكل. ظنوا حين ارتدوا أنهم بلغوا إلى عالم الله،فلم تعد الأعمال التي يعملونها في هذا العالم الدنيء بذات أهمية. فعارض بولس هذه النظرة إلى الحياة المسيحية التي تغلغلت فيها عقلية ثنائية لا يستطيع فيها هذا العالم أن يتصل بعالم السماء، وشرح موقفه خصوصاً في 6: 12 ـ 20. فإذا أردنا أن نفهم هذا النص، علينا أن ندرك معنى كلمة «جسد»، في نظر بولس: الجسد لا يعارض النفس ولا الروح. الجسد هو الكائن كله العائش على الأرض. لهذا نقرأ النص فنجعل مكان الجسد

---

(1) 7: 1؛ 18: 1؛ 1: 12.

(2) ف 1 ـ 4.

(3) ف 5 ـ 6.

«الإنسان» أو «الكائن البشري» أو الضمير «نحن»، «أنتم». حينئذ نعرف أن بولس يعارض تصرف بعض الكورنثيين. ويؤكد أن الكائن البشري كله مدعو لكي يقوم (6: 14)، ليكون عند المسيح (15: 6)، ليكون هيكل الروح القدس (19: 6).

**ثالثاً: الزواج والبتولية**[1].

يجيب بولس في هذا الفصل على اعتراض متطرفين يعتبرون أن كل علاقة جنسية (حتى في الزواج) هي خطيئة، ويورد في آية 1 كلامهم: «خير للرجل أن يمتنع (أن لا يمس) عن المرأة». نصح بولس المتزوجين بأن تكون لهم علاقات جنسية لئلا يحترقوا من الشهوة (7: 5 ـ 9). أجل، بولس هو إنسان من عصره الذي لم يكن يعتبر العلاقات الجنسية تعبيراً عن الحب. وأكد الرسول أيضا أن المتزوجين منقسمون، فلا يستطيعون أن يهتموا بخدمة الرب وحده. وهكذا يقر أنه لم يدرك كيف يدخل هموم الدنيا في الحياة المسيحية. وبعد هذا يعلن قولاً ثورياً. ففي حضارة يسيطر فيها الرجال، يتجاسر ويتحدث عن المساواة. قد تضللنا اللغة التي يستعملها. إنه يتحدث عن «الواجبات» ويستعمل كلمات لم نعد معتادين عليها: تسلط، امتنع. ولكن بولس أراد أن يشدد على أن العلاقات الجنسية هي علاقات يعيش فيها الرجل والمرأة المساواة، وهي مساواة غير معقولة في تلك الأيام. ما هي أسباب هذه الثورة؟ لا نجدها في 1 كور 7 بل في غل 3: 27 ـ 28: «لا فرق بين رجل وامرأة. فأنتم كلكم واحد في المسيح يسوع».

وفي نص آخر من هذه الرسالة يحدد بولس موقع المرأة في الجماعة المسيحية[2]. واجه ممارسات أغضبته، فاستعمل براهين تصدمنا، ولكنها مأخوذة من القرن الأول المسيحي. لا نستطيع أن نحمل هذا النص أكثر مما يقدر أن يحمل. ولا ننسى أن بولس أقر بمكانة المرأة في نشاط الكنيسة الرسالي. هو يحيى فيه الشماسة في الكنيسة ويسمي برسلكة معاونة له، مثل أكيلا ويونياس رسولة مشهورة. لم يتوصل بولس أن يجمع الفكر اللاهوتي مع الممارسة اليومية بشكل مرضٍ. إنه يقدم تعليماً جديداً، ولكن التعبير عن هذا الجديد في الواقع اليومي ظل محدوداً.

---

(1) ف 7.

(2) 11: 2 ـ 16.

**رابعاً: ذبائح الأوثان[1].**

ووصل بولس إلى سؤال آخر طرحه الكورنثيون: اللحوم المذبوحة للأوثان. ما هو الموضوع؟ اعتاد الوجهاء أن يقدموا ذبائح (من البقر أو الخراف) لآلهة المدينة العديدة. وكانت هذه اللحوم تؤكل في حرم الهيكل خلال ولائم مكرسة أو تُباع على يد الكهنة في السوق بأسعار بخسة. وكان عدد من الفقراء يستفيدون من الظرف ليأكلوا طعاماً لا يحصلون عليه عادة. ولكن كان لهذا اللحم شبه سلطان وهو بأن يوحد الإنسان مع الآلهة الوثنية. لم يعتقد بعض الكورنثيين بهذا، فكانوا يأكلون من هذه اللحوم ولا يهتمون. فتشكك الآخرون بسلوكهم.

أجاب بولس في ف 8 أن المؤمنين هم أحرار بأن يأكلوا من اللحوم المذبوحة للأصنام. غير أنه زاد أن هذه الحرية تزول إذا كنت أشكك أخي. من شكك أخاه أو جعله يسقط أخطأ ضد المسيح[2]، وهكذا ترجم يقيناً مشتركاً بين كتاب العهد الجديد: حب الله وحب القريب فضيلة واحدة.

**خامساً: اجتماعات المسيحيين[3].**

وعالج بولس ممارسات يعيشها المسيحيون حين يجتمعون. بعد أن ذكر بولس بقواعد خاصة جداً[4]، عارض طريقة الكورنثيين في الاحتفال بعشاء الرب[5]. بعضهم يسكر والآخر يجوع، لأن ليس له ما يأكله. تتسجل هذه الممارسة في المناخ الديني في ذلك العصر. يعتبرون أن المهم ليس الاتحاد بالأخوة والمشاركة معهم بل الاتحاد اتحاداً فردياً بقدرة الله. شجب بولس هذا السلوك بقساوة (11: 20) منظماً فكره حول كلمة «جسد». تذكرنا الأفخارستيا بالعشاء الذي فيه أسلم يسوع جسده (حياته). وإذ يُعيد المسيحيون هذا العشاء يتحدون في الجسد (وفي حياة) الذي أسلمه يسوع. وعليهم أن يدلوا على أن هذا الاتحاد صحيح في اتحادهم بالأخوة، في المشاركة مع الأخوة

---

(1) ف 8 ـ 10.
(2) 8: 11 ـ 12.
(3) ف 11 ـ 14.
(4) 11: 2 ـ 16.
(5) أي القداس، 11: 17 ـ 34.

في الجسد الذي يكونون[1]. وتعالج ف 12 ـ 14 أموراً تظهر في الجماعات المسيحية: الانخطافات (المواهب). هناك بعض المتدرجين يحركهم الروح فيدخلون في انخطاف ويتلفظون بكلمات لا يمكن فهمها. هذه الظاهرة المعروفة في الديانات السرانية تدل على علاقة فريدة بين هؤلاء «المخطوفين» والله. لا يعارض بولس وجود هذه الظاهرة ولكنه يود أن يجعلها في خدمة الجماعة[2]. وإذ أرادهم أن يدركوا الانقلاب الذي يقوم به، صاغ تشبيه الجسد ودون نشيده الشهير عن الحب.

**سادساً: القيامة[3].**

ذكر بولس في هذا الفصل أنه تسلم من الكنيسة الإيمان بقيامة المسيح. تدخلنا آية 1 ـ 11 إلى سؤال طرحه بعض الكورنثيين حول قيامة الموتى. ورأوا أنه لا يُعقل أن يستطيع الموتى أن يقوموا. فالبشرية الأرضية هي في نظرهم لباس لا يليق بالحياة الأخرى. نظرتهم هي نظرة عالمهم المنغمس في الثنائية على طريقة الديانات السرانية أو الفكر الغنوصي.

استند بولس إلى الإيمان الذي تسلمه، فأكد أن قيامة المسيح هي باكورة (أول ثمرة) كل قيامة. ولكي يركز برهانه، قدم المسيح على أنه آدم الجديد. وهكذا صاغ تبريراً إيمانياً أصيلاً، تبريراً يرتبط بقراءة سفر التكوين قراءة خاصة تستلهم بعض الأوساط اليهودية. فهناك بعض اليهود المتأثرين بالحضارة الهلينية، قد فسروا خبرَيْ سفر التكوين كخبرين يتعلقان بإنسانين مختلفين. الأول يعني الإنسان السماوي، الأبدي. يعني آدم الحقيقي. والثاني يعني إنسان هذا الأرض، الإنسان المائت والغارق في المادة. استلهم بولس هذا التفسير وقلبه. فآدم الجديد في نظره ليس نموذجاً سماوياً أول، بل يسوع التاريخ، يسوع القائم من الموت.

ويهتم ف 16 بأمور عملية: اللمة من أجل كنيسة أورشليم، مشاريع سفر، توصيات وسلامات. وتنتهي هذه الرسالة الطويلة: «محبتي لكم جميعاً في المسيح يسوع».

---

(1) 10: 16 ؛ 29: 11: 17؛ 12: 12 ـ 12 ـ 31.

(2) 12: 4 ـ 11؛ 14: 1.

(3) ف15.

2 ـ مقطعان مهمان:

نتوقف هنا عند مقطعين: الأول هو جزء من جواب بولس إلى أهل خلوة. والثاني يُبرز الطريقة المسيحية لنعيش مواهب الروح.

**أولاً: لغة الصليب[1].**

حين نقرأ هذا النص، نتذكر مقطعاً آخر يعرفنا إلى الوضع الاجتماعي لعدد من الكورنثيين (1: 26 ـ 31، محتقر، مزدرى، ضعيف). لماذا يورد هذه الصفات؟ ليشدد على عظمة الاختيار الذي قام به الله[2]. ماذا يعني هذا الكلام؟ هل يميز الله الفقر كحالة نعمة خاصة؟ هل يشبه هؤلاء الذين يمتدحون الفقراء دون ان يبذل حالتهم؟ هذا ما نكتشفه بالعودة إلى النص.

**ـ قراءة أولى:**

نجد في النص سلسلتين من التعارضات: الحماقة/ الحكمة، الضعف/ القوة. من هو صاحب هذه الكلمات؟ من جهة، المصلوب، الكورنثيون، بولس. من جهة ثانية الحكماء في هذا العالم والأقوياء. ونلاحظ أيضاً أن مفردات الحماقة والحكمة، والضعف والقوة، تخص تارة الفئة الأولى وتارة الفئة الثانية. هناك انقطاع بين الظاهر والواقع: ما هو حكيم وقوي في نظر العالم ليس كذلك في نظر الله والعكس بالعكس.

ما هو سبب هذا الانقطاع؟ ما الذي قلب الأمور رأساً على عقب؟ صليب المصلوب[3]. كل هذا يذكرنا بحدث يحملنا على الشك بقدرة الله. فالصليب عذاب محفوظ للعبيد والثائرين على المملكة الرومانية. وقد رأى فيه اليهود علامة اللعنة الإلهية[4]. في هذا الصليب صار يسوع مسيحاً. وأوضح بولس ما يعني بكلمة مسيح فقال: «قوة الله وحكمة الله». المصلوب هو «قوة الله» لأنه يكشف تدخل حب الله في هذا العالم. المصلوب هو حكمة الله،لأنه «بر وقداسة وفداء». هكذا فسر بولس العبارة

---

(1) 1: 18 ـ 2: 5.

(2) دعاكم، 1: 26؛ اختار 1: 27 ـ 28.

(3) 18: 1، 23 ـ 24، 30؛ 2: 2.

(4) غل 13: 3.

فدل عبر هذه الكلمات الثلاث على أن المصلوب يخلصنا. هذه اللغة لا يفهمها إلا الذين يتجرأون بأن يعيشوا الصليب. أما الآخرون فهي لهم حماقة وشك على مثال ما نجد عند بعض الكورنثيين.

ـ **بحث عن الحكمة:**

في هذا النص نجد لغة الحكمة حاضرة حتى في الحديث عن المصلوب، وهي لغة لا تُستعمل كثيراً في سائر نصوص العهد الجديد. أخذها بولس من بعض الكورنثيين الذين يعيشون إيمانهم على أنه حكمة جديدة. هم يبحثون لدى معلم روماني، على مثال الداخلين في التيارات الغنوصية، عن معرفة موحاة تثبتهم في العالم الإلهي. وهكذا يصبحون «كاملين في امتلاك أسرار الله».

عارض بولس هذه النظريات وجعل من الصليب الحكمة الحقة والخلاص للذين يتقبلونه. فعل هذا، لأن الكورنثيين مالوا إلى إلغاء الصليب والمصلوب ليحلوا محله مسيحاً مجيداً. وأراد أن يشدد أيضاً على القول بأن الخلاص لا يمتلك وكأنه حكمة. إنه نعمة وعطية. ويبرز بولس الظروف التي فيها حمل إنجيله، كما يُبرز أصل الكورنثيين الاجتماعي. هو إنسان من عصره يعرف أن التبدل في الجماعات أمر صعب. ولكنه يؤكد أن الانقلاب الذي يتممه الصليب يحصل في تراتبية القيم. وهذا الانقلاب يرمز إليه الاختيار الذي به اختار الله الكورنثيين.

**ثانياً: جسد واحد وأعضاء كثيرة[1].**

حين قابل بولس المسيحيين بأعضاء في جسد (في كائن بشري)، قدم صورة جديدة. فهو الكاتب الوحيد في العهد الجديد الذي يستعمل هذه الصورة.

في قراءة أولى، نبدأ فنلاحظ تكرار «واحد» واستعمال «كل» تجاه لفظة «كثير». هكذا يشدد بولس على وحدة الجسد. ونستشف أهمية هذه الوحدة في الكلام الذي يضعه في «فم» كل عضو من الأعضاء: «لا أحتاج إليك». بما أن بعض الأعضاء لا يملكون مواهب خارقة، يظنون أنهم مُبعدون. ومقابل هذا، يحتقر الآخرون أولئك الذين لم يحصلوا على مثل هذه المواهب.

---

(1) 12: 12 ـ 31.

قدم بولس موقفه، فماثل بين المسيح وبين الجسد الذي يكونه المسيحيون. أكد في آية 12: «وكما أن الجسد واحد وله أعضاء كثيرة هي على كثرتها جسد واحد، فكذلك المسيح». وفي آية 27: «فأنتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو فيه». هذان التأكيدان يقدمان توازياً بين المسيح وبين الجسد الذي يؤلفه المسيحيون. تأكيدان فريدان في كل العهد الجديد. لماذا صاغهما القديس بولس؟

**ـ الجهاد الذي يقوم به بولس:**

منذ البداية ارتبط العماد بعطية الروح القدس. ولكن ظن بعض الكورنثيين أن الروح يُقيم في المسيحيين بدرجات متفاوتة، وأن مستوى كمالهم يظهر في انخطافات لا يستطيع أحد أن يسيطر عليها[1]. لا حاجة إلى القول في أن السلطان يعود إلى الذين ينعمون بهذه «الانتقالات». وحين فهم الكورنثيون عطية الروح بهذا الشكل، ترجموا الإيمان الذي نالوه في عقليتهم الفردية. ونقلوا مفهوم السلطة إلى عالمهم التراتبي. كما أن السلطة تعود في المدن الهلنستية إلى الوجهاء الذين يستطيعون أن يبسطوا غناهم، كذلك تعود السلطة في الجماعة إلى الذين يدلون على تفوقهم بمواهب الانخطاف. وقلب بولس هذه الأفكار رأساً على عقب. لم يقلل من قيمة موهبة الروح القدس، بل جعلها عامل وحدة لا عامل اختلاف. وعارض إمكانية الحصول على هذا السلطان بالأمور الظاهرة. فذكرهم أن السلطة تخص أولئك الذين يبنون الجماعة لا أولئك الذين يبنون أنفسهم. واتخذت عبارة «أنتم جسد المسيح»، كل وزنها في هذا السياق. أكد بولس: «تعيشون متحدين في المسيح حين تكونون شعباً واحداً. تظهرون حضور المسيح معاً أو لا تظهرونه». وهكذا حارب بولس الفردية الدينية لدى الكورنثيين وقلب سلم القيم الذي تعودوا عليه.

**ب ـ الرسالة الثانية إلى كورنتوس:**

دونت هذه الرسالة «الملتهبة» حوالي سنة 57. رسالة واحدة وهي تدلنا على توترات خطيرة بين بولس والكورنثيين. وهذه التوترات تتركز على سلطة الرسول، فتملأ أحد عشر فصلاً من أصل ثلاثة عشر هي كل الرسالة.

---

(1) 1 كور 14.

1 ـ سلطة بولس على المحك:

اتهموا بولس بأنه لا يفي بوعوده. واعتبروه قوياً في رسائله ضعيفاً بحضوره. واعتقدوا أنه ليس على مستوى السلطة التي يطالب بها[1]. مهما يكن أصل المتهمين، فهم يرون في الاضطهادات التي تصيب بولس مع النتائج التي تليها (هرب، تبدل في المشاريع...) علامة بأنه لا يستحق أن يكون رئيس الجماعة. تلك هي الصورة التي يكونونها عن رئيسهم. تقر به الجماعة بسبب صفاته الباهرة: إنهم ينقلون إلى عالمهم الديني نموذج السلطة الذي يمثله الوجهاء في الحواضر الهلنستية. وبولس نفسه يجاريهم في نظرتهم. هذا ما يظهر لنا حين نقرأ 14: 2 ـ 4: 15 حيث يحدد خدمة العهد الجديد. يكرس المفردات التي تبرزه وترفع من قيمته (المجد، النور، الحياة)، ويستعمل صوراً تعطيه مهابة وسلطاناً على الموت والحياة (النصر، البرقع). إنه يرى تماثلاً بين السلطة من جهة، وبين السلطة والمجد من جهة أخرى. يظن هذا، وفي الوقت عينه يرى أن الرسل يعيشون الضعف والانسحاق (صورة الآنية من خزف، صورة المحاربين في الحلبة. وسيقول في النهاية: حين يعيشون هذا الجهاد (النزاع)، يعيشون خدمة المجد[2]. وحين يكونون ضعفاء، يكونون أقوياء.

هذه المفارقة ليست حيلة يستعملها بولس لكي يخفي الحقيقة. إنه يجد أصلها في موت يسوع وقيامته اللذين يعيشهما التلاميذ على خطى معلمهم. منذ الآن، ظهرت لهم الكرامة والمجد في آلام المسيح وموته اللذين فيهما تسطع قوة الله. وإذ فهم بولس السلطة حسب مقاييس عصره، بدل هذه المقاييس بواسطة إيمانه بالمسيح. وفي مجتمعنا هناك مقاييس أخرى منها الخبرة والأهلية والمشاريع التي حققناها... مثل هذه المتطلبات تحول نظرة الكنيسة إلى السلطة. ولكنها سلطة يجب أن تدل دوماً على سر موت المسيح وقيامته.

2 ـ اللمة من أجل كنيسة أورشليم:

في ف 8 ـ 9 ذكَّر بولس الكورنثيين بالتزامهم بهذه اللمة. تكلم فشدد على حياة يسوع، وفسرها على أنها عمل سخاء وفقر اختياري، وأكد أن الله يغمر المعطي

---

(1) 16: 2؛ 3: 1 ـ 2.

(2) 4: 10 ـ 12؛ 6: 1.

بعطاياه. إن هذه البراهين الدينية تبرز الأهمية التي يعلقها بولس على هذه اللمة، على هذا التبرع و(الإحسان) من أجل الفقراء في أورشليم. وإذ أراد بولس أن تجري الأمور بأحسن حال، اتخذ وسائل غير عادية: أرسل الموفدين[1]. ذهب هو شخصياً إلى أورشليم مع ما في هذا الذهاب من مخاطرة بأن يوقف[2]. وهكذا أراد أن يردم الهوة التي تفصل كنيسة أورشليم عن الكنائس التي أسسها في العالم الوثني. وأراد أيضاً أن يسد عوز المحتاجين، أن يسد حاجات (المادية) الأخوة القديسين. نحن نعرف أن مجاعة قوية اجتاحت اليهودية سنة 49 ـ 51. ارتفعت الأسعار، وزادت الديون على الناس، وسيطر الفقر والعوز. لقد عمل بولس ما عمله ليترجم في الواقع اليومي المتطلبات الاجتماعية الموجودة في الإنجيل، وهكذا عادت المساواة: الذي جمع كثيراً لم يفضل عنه. والذي جمع قليلاً لم ينقصه شيء.

### ـ الرسالة إلى غلاطية:

#### أ ـ تعليم واحد في رسالتين:

الرسالة إلى غلاطية والرسالة إلى روما تعالجان الموضوع الواحد: الجهاد من أجل الحرية في المسيح. تقديم إنجيل واحد لجميع الناس كانوا يهوداً أو وثنيين.

**1 ـ رسالتان:**

دوَّن بولس الرسالة إلى غلاطية والرسالة إلى روما خلال رحلته الرسولية الثالثة. ولهذا يفصل الواحدة عن الأخرى بضعة أشهر أو سنة على الأكثر. تعود غل إلى سنة 57 تقريباً، وروم إلى شتاء 57/ 58. دون بولس غل في أفسس وروم في كورنتوس. ولكن وحدة هاتين الرسالتين لا تقتصران على الزمان والمكان. فما يكوِّن وحدتهما هو موقعهما بالنسبة إلى حدث واحد حرك الكنيسة الأولى، ألا وهو أزمة المتهودين. والسؤال المطروح هو: هل نفرض على المسيحيين الآتين من العالم الوثني ممارسات دينية خاصة باليهود؟ واحتدم الجدال. وتجند له بولس بكل قواه وهو الباحث عن الحرية المسيحية في هذا المجال كما في غيره.

---

(1) 8: 16 ـ 24؛ 9: 1 ـ 6.

(2) روم 15: 30 ـ 33.

دونت رسالته إلى الغلاطيين في قلب هذا الجدال فجاءت رسالة حرب وهجوم. ومع الوقت، هدأ الجدال. فكتب بولس رسالته إلى الرومانيين، وفيها استعاد مجمل تفكيره وتعمق فيه. وهكذا تلقي الرسالة الضوء على الأخرى. غير أن روم تقدم لنا فكر بولس على مستوى من العمق لم تبلغه غل.

**2 ــ جدال مع المتهودين:**

وبرزت أزمة المتهودين (مسيحيون جاؤوا من العالم اليهودي وأرادوا أن يحافظوا على فرائضه) في كنيسة تنتقل إلى العالم الوثني. هذه الأزمة هي أخطر أزمة عرفتها الكنيسة الأولى. أو أنها تنفتح على العالم كله، أو تنعزل على ذاتها فتصبح شيعة على مثال الفريسيين والصادوقيين. . . ما هو الوضع؟

في البداية كان مجمل المسيحيين من أصل يهودي. فحافظوا على عادات حددتها الشريعة اليهودية. ولكن حين انفتحت الكنيسة على الوثنيين، طرح السؤال: هل نطلب من هؤلاء المسيحيين أن يحافظوا على هذه العادات؟ أراد المتهودون أن يفرضوها، فعارضهم الآخرون. وهكذا وُلد الجدال الذي كاد يسير بالكنيسة إلى الإنقسام.

ظن المتهودون أن وجود الكنيسة يصبح سهلاً إن حافظت على بعض الفرائض اليهودية: تكون الكنيسة فرعاً من اليهودية فتحميها الشرائع الرومانية. فقد أعفي اليهود من المشاركة في العبادة المقدمة للإمبراطور. وهكذا يُعفى المسيحيون مما يعتبر علامة ولاء من قبل المواطنين تجاه الدولة. هنا نفهم كلام يسوع عن المتهودين: «لا يريدون أن يُضطهدوا من أجل صليب المسيح»[1]. ولكن هل نحن أمام اضطهاد يثيره الرومان؟ أما نحن بالأحرى أمام يهود لا يرضون أن يصير أخوتهم مسيحيين؟ وخاض بولس الحرب ضد المتهودين. لم تكن القضية بالنسبة إليه قضية طقوس وممارسة ختان. بل أن يؤكد على أن الإنجيل يقدم إلى جميع الشعوب من دون تمييز: في هذه الحالة لن نُكره أحداً على الدخول في الشعب اليهودي قبل أن يصير مسيحياً. وفوق ذلك، أراد بولس أن يؤكد أن يسوع المسيح هو المخلص، هو وحده مخلص البشر جميعاً. فإن فرضنا بعض هذه العادات ظننا أن الإنسان يخلص بهذه العادات لا بواسطة المسيح وحده.

---

(1) غل 6: 12.

هذا هو سبب تصرف بولس خلال أزمة المتهودين: حارب بعزم ليحافظ على حرية الوثنيين في مسيرتهم إلى الله. وشدد في وقته وفي غير وقته على الإيمان بيسوع المسيح الذي هو المخلص الوحيد لجميع البشر.

### ب ـ الرسالة إلى الغلاطيين:

#### 1 ـ بولس وكنائس غلاطية:

بشر بولس خلال الرحلة الرسولية الثانية أهل منطقة غلاطية وعاد في الرحلة الرسولية الثالثة يثبتهم في الإيمان[1]. هذه المنطقة هي غلاطية الشمالية الواقعة بين كبادوكية والبحر الأسود. كان موقعها حول «أنقير» أي أنقرة الحالية (شمالي تركيا الوسطى)، وسميت كذلك باسم السكان الذين جاؤوا إليها من «غالية» (أي فرنسا الحالية). ولكن جاء إلى «كنائس غلاطية» هذه التي بشرها بولس بنفسه، جاء أناس من الجنوب ورموا البلبلة فيها، فأعلنوا إنجيلاً غير الذي يعلنه بولس[2]. هذا «الإنجيل الجديد» يجعل ممارسة العادات اليهودية، ولا سيما الختان ضرورية للتبرير، للحياة لا المسيح. هذا يعني أن المسيح لم يعد المخلص الوحيد لجميع البشر (2: 1: «لو كان الإنسان يتبرر بالشريعة، لكان موت المسيح عبثاً» 24:5). ورافق إعلان إنجيل يختلف عن ذلك الذي يعلنه بولس، هجومٌ قوي على الرسول: أرادوا أن ينزعوا من عقل المسيحيين الثقة بالرسول ثم الثقة بتعليمه: إذ يعلن الإنجيل كما يفعل، يحاول أن يرضي الناس لا أن يرضي الله. وسيجيب بولس: «لو كنت أطلب رضى الناس لما كنت عبداً للمسيح».

#### 2 ـ تصميم الرسالة:

بعد العنوان وتذكير عادي بالوضع، تتوسع الرسالة في ثلاثة أقسام. **الأول:** أجاب بولس على الهجوم ضد شخصه، فذكر دعوته، واتصاله على مستوى الإيمان والرسالة مع المسؤولين في الكنيسة الأم بأورشليم، وأخيراً الإنجيل الذي يعلنه بحرية.

---

(1) أعمال 16: 6؛ 18: 23.

(2) 7: 1 ـ 9.

**الثاني**: جعل مراسليه مع الإنجيل الوحيد الذي بموجبه يتبرر الإنسان بالإيمان بالمسيح، لا بممارسة الشريعة: ويحدد موقع الشريعة، ويدل على دورها الحقيقي في تاريخ الخلاص. ويشدد بصورة خاصة على ثلاث نقاط: التبرير بالإيمان يجعل المؤمنين أبناء إبراهيم الحقيقيين والمستفيدين من مواعيد الله. المؤمنون هم أبناء الله بالإيمان بالمسيح. الحرية تطبع حياتنا في العهد الجديد.

الثالث: نتجت دعوة من الدفاع عن رسالة بولس والتذكير بالإنجيل، نتجت دعوة لنعيش في حرية الروح القدس الذي نناله من المسيح، ولئلا نعود فنضع رقابنا تحت نير الشريعة القديمة. نلاحظ في هذا القسم الرباط بين الروح القدس والحرية المسيحية والمحبة الأخوية. وهذه المحبة الأخوية ليست إلا «شريعة المسيح».

**ـ نقاط هامة:**

**أولاً**: نلاحظ في القسم الأول[1]، في جواب بولس على مهاجميه، النقاط التالية:

**ـ الدعوة:**

يتحدث بولس عن دعوته، عن نداء الله له (15:1 ـ 16). ويربط هذه الدعوة بمبادرة من الله. ويتحدث عنها مستعيداً عبارات أخذها من إرميا (1: 5، دعوة إرميا) ومن أشعيا حول عبد الله (49: 1 ـ 6). من المعلوم أن الجماعات المسيحية الأولى أعطت يسوع مراراً لقب «عبد الله». حين نقرأ هذه النصوص نكتشف أن بولس يرى دعوته آتية من الله. هي عطية ونعمة، وهي تدل على حب الله له. وهي امتداد لدعوة الذين حملوا كلمة الله،النور إلى جميع الشعوب. والوحي الذي ناله بولس من المسيح، قد ارتبط بإرساله في مهمة إلى الوثنيين[2].

**ـ المشاركة:**

نجد عند بولس اهتماماً بالمشاركة، بالاتحاد مع الأخوة ومع المسيح (2: 1 ـ 14). ويبرز هذا الاهتمام بالمشاركة في نقطتين مهمتين: الأمانة في الإنجيل، العمل الرسولي (2: 2، 6؛ 2: 7 ـ 10). ويبرز أيضاً في أن بولس لم يذهب

---

(1) 1: 11 ـ 2: 12.

(2) أعمال 22: 17 ـ 21.

وحده إلى أورشليم، بل مع برنابا وتيطس (2: 2). وهذه المشاركة في الأمانة للإنجيل والرسالة مع التعاضد الأخوي (2: 10)، يعيشها بولس في صراحة تامة مع بطرس والمسؤولين في كنيسة أورشليم، يعيشها في علاقات صادقة ومؤسسة على الإنجيل (2: 11 ـ 14).

**ـ الاتحاد بالمسيح:**

قال بولس: «فما أنا أحيا بعد، بل المسيح يحيا فيَّ». الحياة المسيحية هي اتحاد حي مع ابن الله الذي أحبنا وبذل حياته عنا. وهذا الاتحاد هو حقيقي بحيث إن المسيحيين يشاركون في سر المسيح ولا سيما في صليبه. ونقرأ عند بولس هذه الآية المعبرة: «مع المسيح صُلبت». وهي مشاركة حياة عميقة، فنستطيع القول إن المسيح يقود عمل المسيحيين: هو يعمل في حريتهم ويدفعها إلى آخر مداها. فمن ترك المسيح يقوده كان حراً كل الحرية على مثاله.

**ثانياً**: ماذا نلاحظ في القسم الثاني[1]؟ حين يجعل بولس الغلاطيين تجاه الإنجيل، يتكلم من جديد عن هذه الوحدة في المسيح وعن هذا الاتحاد مع الأخوة في المسيح وبالمسيح. وشدد على حياتنا في المسيح، على أننا أبناء الله.

**ـ حياتنا في المسيح:**

يستعمل بولس في 3:26 ـ 29 سلسلة من الألفاظ تدل على أننا نحيا حقاً في المسيح: نحن أبناء الله في يسوع المسيح. تعمدنا في المسيح فلبسنا المسيح. نحن نخص المسيح. وهذه الحياة في المسيح هي معطاة للجميع من دون تمييز على المستوى الوطني أو الديني أو الاجتماعي. إن واقع حياتنا في المسيح واتحادنا به وفيه، هو قوي جداً وجذري إلى درجة إلغاء كل الاختلافات مهما كانت أساسية (يهودي ـ يوناني، عبد ـ حر، رجل ـ امرأة). نكون في المسيح وحدة ملموسة لا نظرية، نكون وحدة كائن حي. فجميع المعمدين في نظر بولس يعيشون حياة جديدة. هي شخصية وهي تجمعهم بعضهم إلى بعض في الوقت عينه. وهكذا يكونون واحداً، يكونون شخصاً جديداً وفريداً في المسيح.

---

(1) 3: 1 ـ 4: 31.

ـ أبناء الله:

وأكد بولس مرة ثانية في 4: 4 ـ 6 أننا أبناء الله فجعلنا نكتشف آفاقاً مذهلة. إذا كان الله أرسل ابنه ليفدينا، فقد فعل ليجعل منا أبناءه. لم نعد عبيداً، بل أبناء. جعل الآب منا أبناء ميراثه، وارثيه. أرسل الروح القدس إلى أعمق أعماق شخصنا، إلى قلوبنا. ويستعيد الروح فينا صلاة يسوع في جتسميناني: «أبا، أيها الآب»[1]. وبكلام آخر، يجعلنا نتوجه إلى الله كما يتوجه الأبناء إلى آبائهم في جو حميم ومحب تعبر عنه اللفظة الآرامية «أبا» (كما في اللغة العامية. تدل على بساطة الطفل وحبه لأبيه).

**ثالثاً**: ويدعو بولس المسيحيين في القسم الثالث ليحيوا في حرية الروح. فيتحدث عن الحرية المسيحية وعن ثمار الروح.

ـ الحرية المسيحية:

يجعل بولس الحرية المسيحية تعارض الأنانية وحب الذات (لا تجعلوا هذه الحرية حجة لإرضاء شهوات البدن. والبدن يدل على كل ما يفصلنا عن الله). تقوم هذه الحرية بأن نحب أخوتنا ونجعل ذواتنا في خدمتهم فنحقق الكلمة التي تجمل الشريعة كلها: «أحب قريبك مثلما تحب نفسك»[2]. وفوق هذا صارت الحياة المسيحية مسيرة يقودنا الروح فيها.

ـ ثمر الروح:

عدد بولس ما تنتج الأنانية، ثم تحدث عن ثمر الروح. قال ثمر (في المفرد) لا ثمار في الجمع، لأن المحبة تجمل كل ما يتبع. ثمر الروح هو: المحبة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، الصلاح، الأمانة، الوداعة، العفاف. في حياة الكنيسة، اعتبر المسيحيون المحبة الأخوية الملموسة كعلامة تدل على عمل الروح القدس.

هذه بعض وجهات من الرسالة إلى غلاطية. والتعليم الذي تعرفنا إليه، سيعود بولس ويعمقه في الرسالة إلى مسيحيي روما.

---

(1) مر 14: 36.
(2) لا 18: 19.

ـ الرسالة إلى روما:

أ ـ كنيسة روما:

ماذا كانت عليه روما يوم كتب بولس إليها، ولماذا كتب رسالته؟

اختلفت روم عن غل. توجهت غل إلى كنيسة عرفها بولس وأسسها وأحبها. أما روم فتوجهت إلى كنيسة لم يؤسسها ولم يعرفها شخصياً، بل عرف بعض المؤمنين الذين يؤلفونها.

كانت روما عاصمة الإمبراطورية. عدد سكانها مليون نسمة، كانت أكثريتهم من الطبقة الشعبية. أن يذهب بولس، رسول الأمم الوثنية، إلى روما عاصمة العالم الوثني، أمر مهم وله معناه بالنسبة إليه[1]. يعود تأسيس هذه الكنيسة أقله إلى زمن الإمبراطور كلوديوس. هذا يعني أنها كانت كنيسة قديمة. تألفت في بدايتها من مسيحيين جاؤوا من العالم اليهودي، وقد ساعد وجود «مستوطنة» يهودية هامة في روما (بين 20,000 و50,000 حسب التقديرات) على نمو الكنيسة. وانضم إلى هذه النواة من المسيحيين من أصل يهودي، مرتدون جاؤوا من العالم الوثني: هذا يفهمنا لماذا ظلت الكنيسة حاضرة في روما يوم أصدر الإمبراطور كلوديوس قراره بأن يترك اليهود عاصمة الإمبراطورية.

يوم كتب بولس رسالته، تألفت الجماعة من مسيحيين جاؤوا من العالم الوثني وآخرين من أصل يهودي. ولكننا لا نستطيع أن نعرف نسبة اليهود بالنسبة إلى الوثنيين. وحين نقرأ الرسالة، نحس وكأن جماعة روما تساوي في الأهمية كنيسة كورنتوس.

هل كان بطرس قد جاء إلى روما؟ لا شيء يبرهن على ذلك. وبما أن بولس لا يتكلم عنه، فنظن أنه لم يكن بعد وصل إلى روما يوم خط بولس رسالته. ويبدو في ذلك الوقت أيضاً أن الجماعة لم تكن عرضة للاضطهادات. وحين يتحدث بولس في ف 13 عن السلطة السياسية، فهو يرى دورها الإيجابي. لهذا يقول: «على كل إنسان أن يخضع لأصحاب السلطة، فلا سلطة إلا من عند الله».

---

(1) 1: 8 ـ 15؛ أعمال 28: 13 ـ 14.

ـ هدف الرسالة:

ما استطاع بولس أن يذهب في القريب العاجل إلى روما، لهذا كتب إلى المسيحيين هناك ليثبتهم في الإيمان معلناً لهم بدوره إنجيل الله. وليهيىء مجيئه معرفاً بكرازته. إذا أخذنا بعين الاعتبار أزمة المتهودين، وكيف أن بولس يستعيد مسألة الشريعة والتبرير بالإيمان، ندرك أن بولس أراد أيضاً أن يزيل كل سوء تفاهم بين المسيحيين الآتين من العالم اليهودي، وأولئك الآتين من العالم الوثني: للتبرير والخلاص ينبوع واحد هو الله الذي يخلص البشر في يسوع المسيح.

**ب ـ نظرة أولى:**

اعتبرت روم نصاً صعباً. وقد تحدث القديس بطرس في رسالته الثانية عن «أمور غامضة يحرفها الجهال وضعفاء النفوس». سنكتفي بتقديم بعض المعطيات، ثم نورد ثلاث ملاحظات.

**1 ـ بعض المعطيات:**

**أولاً: أساس روم.**

نجد في 1: 16 تأكيداً هو أساس الرسالة كلها: الإنجيل هو «قدرة الله لخلاص كل من آمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني». نحن هنا أمام سلسلة من الأقوال:

ـ إنجيل (الخبر السار) المسيح هو قدرة. ـ يأتي من الله. ـ جُعل ليخلص البشر. ـ نتقبله بالإيمان. ـ هو يعني جميع البشر بدون استثناء. كان اليهودي العائش في محيط يوناني يقسم الناس إلى يهود ويونانيين. هاتان هما المجموعتان الدينيتان اللتان تؤلفان البشرية. سنعود إلى هذه الأفكار فيما بعد.

**ثانياً: نقطتان هامتان في الإنجيل.**

كيف يؤلف بولس؟ يطرح موضوعه ثم يتركه. ويعود إليه من جديد ليتوسع فيه. وهو يعلن نقطتين هامتين في الإنجيل ويفسرهما ويتوسع فيهما. «بر الله»، «غضب الله».

يعلن في 1: 17 بر الله. ثم يعالج تجاهه غضب الله. بعدها، يستعيد موضوع بر الله ويتوسع فيه حتى نهاية ف 3.

**ـ حب الله:**

ويقدم في 5: 1 ـ 11 موضوع حب الله الذي به يرتبط موضوع السلام وعطية

الروح القدس. وبعد توسعات طويلة، يصور بولس في ف 8 حياة المسيحيين في الروح، وهي حياة في الرجاء يتأسس على حب الله لهم.

**ثالثاً: يسوع ربنا.**

يستعمل بولس في نهاية ف 4 عبارة. «يسوع ربنا». وسيستعمل العبارة نفسها (يسوع المسيح ربنا) في نهاية الفصول الأربعة التالية[1]. لقد استعاد بولس هذه العبارة ليدل على توسعات فكره المتتالية.

**رابعاً: من العهد القديم إلى العهد الجديد.**

اهتم بولس في رسالته بأن يبين التواصل بين العهد القديم والعهد الجديد: لقد وعد الأنبياء بالإنجيل في الكتب المقدسة. الشريعة وكتب الأنبياء تشهد لبر الله الذي ظهر الآن... وهذا يظهر في مقطعين اثنين:

- في ف 4 الذي دون ليبين أن إبراهيم، أب المؤمنين، صار باراً لأنه آمن بالله، وأن «التبرير بالإيمان» بدأ في العهد القديم.

- في ف 9 ـ 11 التي دونت لتفهمنا أن لا أمانة إسرائيل لا تلغي أمانة الله،كما لا تلغي مواعيد العهد القديم.

**خامساً: لوحات متعارضة.**

حين نقرأ روم نلاحظ حالاً أن بولس قال ما قاله في لوحات متعارضة: لوحة مظلمة تبرز لوحة مضيئة ترتبط بعمل الله الخلاصي. مثلاً، لوحة العالم الخاطئ (وثنيون ويهود) في ف 1 ـ 3 تعارض إعلان بر الله الذي ظهر في يسوع المسيح. ثم لوحة آدم ويسوع المسيح في 5: 12 ـ 21. لا يهدف هذا العرض بأن يجعل آدم على مستوى المسيح، بل أن يبرز عظمة عمل الخلاص الذي تحقق بالمسيح. ونقول الشيء عينه عن ف 7 ـ 8: إن لوحة الإنسان الذي تسحقه الشريعة وقبل أن تصل إليه نعمة المسيح، تُبرز عمل خلاص المسيح وتُلقي نوراً لامعاً على صورة حياة المسيحيين في المسيح.

---

(1) 5: 21؛ 23: 6؛ 7: 25؛ 8: 39.

### ج ـ مسيرة فكر بولس:

حين يعرض بولس إنجيل الله،حين يحمل إلينا خبراً سعيداً فحواه أن الله يخلص البشر في يسوع المسيح، فهو يلفت انتباهنا (وانتباه أهل روما) إلى أربع نقاط:

**الأولى**: بشرى الإنجيل هي أن إله يسوع المسيح هو إله أمين لوعده. ويبين لنا مجيء المسيح أن الله وعد ووفى فخلص. وكل الذين يؤمنون بالمسيح، مهما كان أصلهم، ينالون موهبة الله بأنهم يحيون من المسيح وفي المسيح.

**الثانية**: بشرى الإنجيل هي أن الله يحبنا حباً قوياً جداً. فبعد أن أعطانا نحن الخطأة (والموتى) أن نصير أحياء في يسوع المسيح، أدخلنا في مجده معه: هذا هو الحب الذي يجعل رجاءنا أكيداً.

**الثالثة**: ولكن، لماذا لم يقبل إسرائيل الإنجيل؟ لماذا لم يدخل شعب العهد القديم كله في الشعب الجديد؟ ألَمَ يكن الله أميناً لمواعيده؟ أجاب بولس: رغم الظواهر، ظل الله أميناً لوعده كل الأمانة، وحبه ظل هو هو[1].

**الرابعة**: الحياة المسيحية هي أن نقدم لله عبادة روحية، أن نقدم له حياتنا بما فيها من الحب والأمانة للروح القدس. بهذه الطريقة يتفتح الإنجيل في قلب العالم[2]. أشارت النقطتان الأوليان إلى الإنجيل وإلى نتائجه فينا. البشرى تعني أن الله يخلصنا في يسوع المسيح. فالتبرير (النقطة الأولى) يجعلنا ننتقل من الخطيئة إلى الحياة في المسيح. والخلاص (النقطة الثانية) يدل على عمل المسيح الذي يحولنا بكليتنا ويجعلنا شركاء كاملين بالسعادة معه في المجد.

وحاولت النقطة الثالثة أن تجيب على اعتراض يتوجه إلى الإنجيل: أين أمانة الله ومحبته تجاه اليهود الذين رفضوا الإنجيل ولم يقبلوه؟ والنقطة الأخيرة تتعلق بدخول الإنجيل إلى حياتنا: كيف يتفتح الإنجيل في حياة مسيحية في قلب العالم وحسب أبعاد حياة البشر ودعوتهم.

---

(1) ف 9 ـ 11.

(2) 12: 1 ـ 13: 15.

**د ـ قراءة متواصلة:**

**1 ـ العالم خاطئ ويحتاج إلى الخلاص[1].**

**أولاً: بولس المربي.**

قبل أن يعلن بولس ما صنعه الله في المسيح، لامس حاجتنا إلى الخلاص بيد الله. فبدون عمل المسيح نحن كلنا خطأة. ويأخذ الرسول عدداً من الخطايا التي تميز العالم الروماني واليوناني المنحط، وعدداً من الرذائل المعروفة في العالم اليهودي في عصره. انطلق من كل هذا، وأفهمنا أننا كلنا خطأة، وأنه يجب علينا أن نلجأ إلى رحمة الله وأن نؤمن بالإنجيل لنتقبل عطية الله.

**ثانياً: معنى الصور.**

يجب أن نفهم الصور ولا نحجزها. إذا كان بولس قد تحدث عن غضب الله، فهو لا يعني أن الله يغضب كالناس الذين نعارضهم أو نقلل الاحترام تجاههم. بل يريد أن يفهمنا أن الله الذي هو قدوس لا يقبل المساومة مع الخطيئة والشر. الله يحب الخاطئين ولكنه لا يتحمل الخطيئة. ونقول الشيء عينه عن عبارة «أسلمهم»[2]. لا نأخذها على حرفيتها: ليس الله هو الذي يجعل الناس عبيداً لشهواتهم. ولكن هناك علاقة بين رفض الإنسان لله وانحطاط هذا الإنسان. حين ينفصل الإنسان عن الله، يرفض العون الذي يساعده على التفلت من هذا الانحطاط.

**ثالثاً: معرفة الله.**

احتلت الديانة مكانة أساسية في حياة البشر في القرن الأول المسيحي. لهذا لم يرَ بولس في خطيئة الوثنيين شيئاً يمنعهم من معرفة الله. بل رأى أناساً يعرفون الله، ولكنهم لم يكونوا منطقيين مع هذه المعرفة. بدل أن يشكروا الله ويمدحوه، وثقوا بنفوسهم وبعقولهم، وبالتالي خسروا معرفة الله الحقة وأخذوا يعبدون الأصنام. إذن، هناك تسلسل في نظر بولس: رفض الله الحي، إرادة الاكتفاء بالذات، خسران حس الله، انحطاط الإنسان.

---

(1) 18 :1 ـ 3 :20.

(2) 1 :24، 26، 28.

رابعاً: صوَّر بولس الخطيئة كشر يصيب الإنسان: في نفسه. في علاقة الرجل بالمرأة[1]، في مجمل العلاقات بين البشر. وهذا يعني في النهاية أننا نحتاج إلى الله لنجد نفوسنا.

خامساً: قيمة هذه اللوحة.

لا يهتم بولس هنا إلا بوجهات الخطيئة ليجعلنا نحس أننا ـ خارجاً عن المسيح وعمل روحه ـ كلنا خطأة ونحتاج إلى الخلاص. انطلق بولس من العالم الروماني والعالم اليهودي كما رآهما في أيامه، وشدد على حاجتنا إلى الخلاص. أبرز هنا الخطيئة وفي 2: 14 ـ 16 سيتحدث عن الضمير الذي يجعل شريعة الله مكتوبة في ضمير الإنسان وفكره.

2 ـ وظهر بر الله[2]:

نستطيع أن نقرأ هذا النص فنرى في الله دياناً يعاقب، ومتسلطاً يفرض موت ابنه لقاء غفران خطايانا. إن نظرنا إلى الأمور بهذا الشكل، كنا خائنين لفكر بولس الذي قال لنا في 8: 5 إن المسيح مات بسبب حب الله لنا، لا بسبب غضبه علينا. «ولكن الله برهن عن محبته لنا بأن المسيح مات من أجلنا».

أولاً: نفهم بر الله على ضوء العهد القديم. فقد تحدثت الشريعة والأنبياء عن هذا البر. نقرأ في أش 13: 46: «جئت ببري، ليس بعيداً، وخلاصي فلا يبطئ». وقال صاحب المزامير (40: 10): «قد بشرت ببرك في الجماعة العظيمة». فبر الله هو أمانته لمواعيد الخلاص: وعمل الخلاص الذي يتمه الله في المسيح يتجذر في مواعيده ويدل على أن الله آمين».

ثانياً: يظهر هذا البر في فداء يتم في يسوع المسيح. لن نفهم الفداء بالمعنى اليوناني: يحرر أسير أو عبد لقاء فدية، لقاء كمية من المال. بل نعود إلى الكتاب المقدس: تحرر من مصر، تحرر من أسر بابل، تحرر يحققه المسيح المنتظر، نداء يتمه الله بصورة مجانية فيكون لنفسه شعباً يدخله (أو يجذره عميقاً) في عهده. هذا

---

(1) 1: 26 ـ 27.
(2) 3: 21 ـ 30.

هو معنى موت المسيح: إنه يحرر من الخطيئة ويكون الشعب الجديد ويحقق الميثاق (العهد) الجديد.

**ثالثاً**: يقول لنا بولس في 3: 25 إن الله أعد المسيح ليكون كفارة في دمه. ترتبط هذه العبارة بتذكرات بيبلية وعادات ليتورجية في إسرائيل. حين ختم موسى العهد في سيناء، رش نصف دم الذبائح على المذبح (الذي يمثل الله) والنصف الثاني على الشعب[1]. وهذا الاحتفال بالعهد يعني أنه منذ الآن ستكون حياة واحدة، ستكون علاقة قرابة بين الله وشعبه. وحين خُتم العهد، التزم الشعب بأن يعيش حسب الشريعة، ولكنه أخطأ مراراً: فخيانات إسرائيل للشريعة التي أعطاها الرب قد تقطع الرباط الذي أقامه العهد بين الله وشعبه. هنا وُلدت طقوس التكفير وخصوصاً عيد التكفير العظيم (يوم كيبور أو التكفير). في ذلك اليوم يأخذ الكاهن الأعظم دم الذبيحة ويدخل إلى قدس الأقداس، إلى المكان السري في الهيكل ويرش عليه من هذا الدم الذي يرمز إلى حياة الشعب. يرش على الكفارة التي هي غطاء مصنوع من الذهب وموضوع على تابوت العهد. فالكفارة هي المكان الذي منه يكلم الله موسى والشعب[2]. ما كان هدف هذا الطقس؟ أن يعيد رباط القرابة الذي يوحد الشعب بربه، وأن يمحو خطيئة الشعب.

إذاً، حين يقول بولس إن المسيح هو «كفارة في دمه» (بعد أن صور خطيئة العالم)، يعلن أن يسوع سفك دمه فحقق الذبيحة الحقيقية والنهائية التي تحرر البشر من الخطيئة وتوحدهم حياتياً بالله في شعب العهد الجديد.

**رابعاً**: بين الله بره «حين برر ذاك الذي يؤمن بيسوع»: إذا كان يسوع هو الموضع الحي الذي فيه يصالح الله البشر معه ليكون شعبه، إذا كان هذا «بر» الله الذي يظهر بصورة مجانية في فدائنا، حينئذ نفهم أن الإيمان ليس عملاً بشرياً، ليس عملاً به نربح الحياة في المسيح. بالإيمان نسلم ذواتنا إلى الله،نستسلم إلى نعمة الله فيكون استسلامنا جواباً لعمله.

**خامساً**: يبرر الله بالإيمان، لا بالأعمال، لا بالعمل البشري. ما هي نتائج هذا الوضع؟ يشير بولس إلى نتيجتين. الأولى: لا يستطيع الإنسان أن يفتخر أمام الله مثل

---

(1) خر 24: 4 ـ 8: الدم يمثل الحياة.
(2) خر 17: 25 ـ 22؛ لا 3: 16 ـ 16.

فريسي الإنجيل[1]، لأن الإنسان لا يتبرر بمجهوده الشخصي بل بعطية من الله لم يستحقها. الثانية: إن مخطط الله الخلاصي هو مخطط شامل: الله هو إله الجميع. فاليهود واليونان هم متساوون أمامه بالنسبة إلى غفران الخطايا والدخول في الحياة مع المسيح[2].

**ـ الرسالة إلى فيليبي:**

فيلبي هي مدينة مهمة في مقدونية (اليونان)، وأول مدينة أوروبية حمل إليها بولس الإنجيل[3]. وُلدت فيها جماعة مؤلفة من وثنيين ارتدوا إلى الإيمان المسيحي، وسيزورهم بولس مراراً. الرسالة التي بين أيدينا قد دونها بولس يوم كان سجيناً، لا يعرف إلى أين ينتهي مصيره. أرسل إليه أهل فيلبي مساعدة حملها إليه ابفروديتس. مرض ابفروديتس بعض الوقت، ولما شُفي أعاده بولس وحمله هذه الرسالة[4]. أين كتب بولس هذه الرسالة؟ هذا ما لا نعرفه. هو سجين، ولكن أين؟ في روما، في قيصرية، في أفسس؟ إذا كان بولس كتبها يوم كان في أفسس تعود الرسالة إلى سنة56/ 57، وإذا كتبها يوم كان في روما تعود الرسالة إلى سنة 60 ـ 62.

تتبع هذه الرسالة الرسمة العادية: اسم المرسِل والمرسل إليه، فعل الشكر، الموضوع، وأخيراً التمنيات والسلامات. سنقدم بعض السمات الخاصة، ثم نقرأ ف 3. ولا ننسَ النشيد الذي دون إكراماً ليسوع الذي جعله الله «رباً» لأنه جعل نفسه عبداً طائعاً حتى الموت على الصليب. فقد شرحناه سابقاً.

**أ ـ قلب رسول:**

اعتاد بولس أن يكتب رسائله بسبب خلافاته مع كنائس أسسها. أما فل فتختلف عن سائر الرسائل، وهي تشدد على الاتفاق التام بين الرسول وجماعته. ولهذا، يعبر عن فرحه[5] وهو فرح ينكشف فيه قلبه الرسولي. إنه يفيض حباً وحناناً لأهل فيلبي وهو

---

(1) لو 9: 18 ـ 14.
(2) 3: 27 ـ 30.
(3) أعمال 16: 11 ـ 40.
(4) 2: 25 ـ 30.
(5) 1: 4، 18، 25؛ 2: 2، 17 ـ 18، 31؛ 4: 1، 4، 10.

حنان لم يبقَ من دون فائدة. وهم أيضاً دلوا على تقديرهم للرسول، فساعدوه مرات عديدة بأموالهم. وقَبِل بولس عطيتهم متجاوزاً القاعدة التي وضعها على نفسه بأن يكفي رسالته بعمل يديه. فهو يعرف قلب أصدقائه.

في هذا المناخ من الحب، عبَّر بولس عن إيمانه في صيغة المتكلم المفرد (أنا). وإذ كان سجيناً أعلن: «الحياة عندي هي المسيح والموت ربح. وأما إذا كنت بحياتي أقوم بعمل مثمر، فلا أعرف ما أختار»[1]. هذا الإيراد لا يحتاج إلى تعليق. ولكنه يكشف الحد الذي فيه تغلغل الإيمان في شخصية بولس، إلى أي حد عجنته الرسالة التي تقبلها. ولنا مثال عن هذه الدينامية التي ولدها الإيمان في ف 3.

**ب ـ رجل أمسكه المسيح[2]:**

انطبع بولس بسنوات جهاد قادته إلى السجن، فكشف لنا تعلقه بالمسيح. ويردد في أسلوب شخصي عبارات حركت الإيمان لدى الملايين من الأشخاص. نقرأ النص قبل أن نفسره.

**1 ـ قراءة أولى:**

نتساءل: في أي ظرف دُوِّن النص؟ وما هي ميزاته؟

**أولاً**: الظرف الذي فيه دوِّن النص.

يبدأ ف 3 بتحذير احتفالي يتحدث فيه بولس عن «الكلاب»، عن «عمال السوء»، عن «المختونين الكاذبين». من هم هؤلاء الخصوم الذين يستحقون مثل هذا الكلام القاسي؟

إنهم يهود ارتدوا إلى الإيمان المسيحي وظلوا يؤمنون أن ممارسة الشريعة اليهودية (والختان رمز لها) هي ضرورية للخلاص. نحن نعرف الشر الذي فعله هؤلاء في كنائس غلاطية. وبولس يتخوف من مجيئهم إلى فيلبي. يبرزون تفوقهم فيجعلون الناس يفهمون أن بولس استولى بالحيلة على سلطة ليس أهلاً لها. وهكذا يزرعون البلبلة في الأفكار ليغرسوا نظرتهم الخاطئة إلى الإنجيل في الجماعات البولسية. عارض بولس تفسيرهم

(1) 1: 21 ـ 22.

(2) 3: 2 ـ 16.

الذي يلغي الخلاص الذي حمله يسوع المسيح. وإذ أراد أن يصل إلى أهدافه أبرز شخصه ودافع عن سلطته.

**ثانياً: قراءة[1].**

أبرز بولس ألقابه المجيدة: هو أيضاً يهودي، مختون، يمارس الشريعة بأفضل وجه[2]. هو يستطيع أن يلقي الضوء على شخصه كما يفعل خصومه.

ولكن هذا التفوق يصطدم بيسوع المسيح. فإذ أراد بولس أن يعبر عن الانقلاب الذي تمناه، نظم آية 7 ـ 11 حول مفردتين: الربح، الخسارة (استعمل الاسم والفعل). نجدهما مرات في هذا النص وقد انقلب معناهما بالإيمان بالمسيح. ويطبق بولس هذا المدلول العام على أسئلة ملموسة طرحها سلوك خصومه. تخلى عن ربح خلاصه بممارسة الشريعة ليعيش سر الموت والقيامة على خطى يسوع[3]. وتابع تفكيره فاستعاد صورة اعتاد عليها: صورة المتسابقين للحصول على الجائزة[4]. وهكذا يجعلنا ندرك الدينامية التي تقيم فيه، فيستعمل أفعالاً مثل: جرى، تبع، جاهد. . .

إن الاعتراف في آية 7 ـ 11 والمقابلة مع السباق يجتمعان ليبرزا الانقلاب الذي تم بعد اللقاء بالمسيح، ليبرزا الانقلاب في سلم القيم الذي يعلنه مجتمع القرن الأول المسيحي.

**2 ـ إنقلاب في سلم القيم:**

من يعرض ألقابه اليوم يُعتبر شخصاً معتداً بنفسه. ولكن هذا العرض لم يكن يزعج الناس في زمن القديس بولس، بل هو ضروري ليُعرف الوجيه في وضعه الحقيقي. وهذا ما فعله بولس ليسند سلطته. وفكر هو أيضاً في لغة الربح والخسارة، وفي الجائزة التي سينالها. ولكن لقاءه بيسوع المسيح قلب النظام المعروف في عصره. إن اللقاء في طريق دمشق، قاد بولس إلى خيارات يتحمل الآن نتائجها: الاحتقار، الافتراء، السجن. . . وهذه الخبرة قادته إلى معارضة تمثلات عصره حيث الغنى والوجاهة يعطيان قيمة رفيعة

---

(1) آ 4 ـ 16.

(2) آ 4 ـ 6.

(3) آ 10 ـ 11.

(4) 3: 12 ـ 14.

للشخص البشري، قيمة تدل عليها السلطة. وفي قلب هذا الانقلاب نجد علامة المؤمن. فحياة يسوع التي كان الموت والقيامة علامتها المركزية، لا تفهم في هذه العقلية الدنيوية: إنها تبرر الانقلاب لا النظرة. فالقيامة المنتظرة تصبح الخير الذي لا يثمن والذي لأجله يقبل بولس بأن يخسر كل شيء. وهكذا يصبح الموت والقيامة الربح والخسارة. وبمختصر الكلام، إن هذا الفصل هو شاهد على الانقلاب الذي قام به الإيمان بيسوع المسيح في العالم الاجتماعي لهذه المدن الكبرى في القرن الأول المسيحي.

## ـ الرسائل إلى أفسس وكولسي وفيلمون:

ثلاث رسائل دوِّنت في السجن. تشبه كولسي أفسس، وفيلمون الذي كتب إليه بولس هو من كولسي. لهذا جمعنا هذه الرسائل في فصل واحد. ونبدأ بالرسالة إلى فيلمون.

### أ ـ الرسالة إلى فيلمون:

رسالة قصيرة جداً[1] وجهها بولس إلى فيلمون وهو مسيحي وجيه في كولسي (تركيا الحالية)، رده بولس إلى المسيح. دُوِّنت في ظرف محدد. كان بولس سجيناً (في أفسس، في قيصرية، في روما) فرد إلى الإيمان أونسيموس وهو عبد هرب من وجه سيده فيلمون. تصرف أونسيموس كما يتصرف كل عبد يحاول أن يستعيد حريته. وإذ أراد الرومان أن يضعوا حداً لهذا «النزيف» في اليد العاملة، لاحقوا الفارين وأعلنوا شرائع تعطي الأسياد الذين فر عبيدهم إمكانية فرض عقوبات قاسية: «يطبعونهم بالحديد الحامي ويمنعونهم من التحرر مدى الحياة». وكان العبيد يُباعون ليعملوا في المناجم أو ليموتوا في حلبات المصارعة.

ماذا سيفعل فيلمون بأونسيموس؟ كتب إليه بولس ودعاه ليتخلى عن حقوقه كسيد يملك عبداً، فيتقبل الفار وكأنه أخ له. لا شك في أن بولس لم يشجب مجتمع العبيد هذا، ولكنه عرض تصرفاً يحول العبيد إلى إخوة. وهكذا صار الإنجيل خمير ثورة في المجتمع. إن قلب بولس يستلهم دينامية الحب الذي ينعش الحياة المسيحية، وهو حب فاعل تجاه الله ومن أجل القديسين. وهكذا نجد هنا معطية ثابتة في الإنجيل: نتحقق من حب الله في محبة للأخوة تتجسد في أعمال ملموسة.

---

(1) فصل واحد و25 آية.

**ب ـ الرسالتان إلى كولسي وأفسس:**

نتعرف أولاً إلى الظروف التي كتبت فيها هاتان الرسالتان، وإلى الأزمات التي حاولتا أن تتصديا لها. ثم نتوقف عند نظرة بولس إلى المسيح والكنيسة من خلال نشيدين سنتأمل فيهما.

نستطيع أن نجمل هاتين الرسالتين بهذه العبارة: «مسيح واحد، شعب واحد». سُميت هاتان الرسالتان: رسالة الأسر أو السجن. كل واحدة منهما تتضمن تلميحاً إلى وضع السجين الذي يعيشه بولس[1]. ولكن هذا اللقب يليق أيضاً بصاحب الرسالة إلى فيلبي وفيلمون[2]. ونحن نعرف أن بولس سُجن في قيصرية (58 ـ 60)، في روما (61 ـ 63) وفي أماكن أخرى. وتشارك هاتان الرسالتان في مقاطع عديدة. ونظرتهما واحدة إلى المسيح والكنيسة والعالم. ولكن تبدو كو رسالة عادية مثل 1 تس. أما أفي فتتكون من مقاطع تقال في الاحتفالات المسيحية: أناشيد، عظات، أقوال ترافق المعقدين حين يلبسون الثوب الجديد[3].

ما هو موقع هاتين الرسالتين؟ تبدو كو قريبة من تدخل بولس في أزمة كنائس آسيا في بداية الستينات. هذا ما يجب أن يعرفه المرسل الذي يهمه وحدة الكنيسة حول شخص يسوع المسيح.

**ـ ظرفان مختلفان.**

حُفظت الرسالتان في منطقة واحدة هي مقاطعة آسيا الرومانية (تركيا الحالية). ففي أفسس، عاصمة هذه المنطقة، وفي الجوار تكونت باكراً جماعات مسيحية هامة. ومع الزمن تنوع وضع هذه المجموعات. وُجد في الجماعات البولسية عدد من الوثنيين اجتذبتهم الديانة اليهودية: رأوا في التوراة نظرة إلى الحياة وممارسات اجتماعية ودينية تتفوق على ما يقدمه لهم المجتمع الذي يعيشون فيه. سمي هؤلاء: المرتدون، المتقون. ولكن نظرتهم إلى اليهودية لم تكن مستقيمة. فمالوا إلى الإكثار من ممارسات تعتبر أنها تؤمن الخلاص، ومن وسطاء بين الله والبشر: سلطات وقوات لا علاقة لها بالحياة، ولكنها كانت ثقلاً على حياة الناس.

في هذه النظرة، كيف يستطيعون بعد أن يثقوا بالمسيح يسوع؟ مصلوب، مسحوق

---

(1) كو 18: 4؛ أف 3: 1؛ 4: 2؛ 6: 20.

(2) آ 1، 10، 13، 23.

(3) أف 4: 24؛ رج كو 3: 9 ـ 10.

كما لم يُسحق مثله إنسان في العالم. كيف يستطيع أن يعطي معنى للعالم والحياة؟ ثم لا مكان لمبادرة الله المجانية. وأكثروا من الممارسات فما عاد الناس يستطيعون الوصول إلى الله في المسيح.

كُتبت كو لترد على هذه الاتجاهات. أرادت من جهة، أن توسع أفق المؤمنين (في المسيح، تصالح العالم كله مع الله) ومن جهة ثانية، أن تبسط الحياة فتخلصها من كل إكراه كاذب[1] وتركزها على الصعوبات الحقيقية في الحياة. وهذه الصعوبات التي نجدها في الحياة الأخوية هي: الغفران، الحياة بين الزوجين، العلاقات بين الآباء والبنين، العلاقات بين الأسياد والعبيد. نحن أمام أسلوب جديد من الحياة في محبة المسيح.

تبدلت العلاقة بين الجماعة اليهودية والجماعة المسيحية. فالسلطة اليهودية بميولها الفريسية، أخذت حذرها من الإيمان الجديد وذلك لسببين. الأول، يتركز هذا الإيمان على «مسيحانية» يسوع. وهذا قد يجر بني إسرائيل إلى اضطرابات تضر بالشعب. الثاني: إن اليهود الذين صاروا مسيحيين لا يحفظون كل فرائض الشريعة. وهكذا بدا تلاميذ يسوع حسب تعليم بولس، خطراً على شعب الله كما يراه الفريسيون. هذا الحذر دفع المسيحيين ليتساءلوا ماذا يمثلون وماذا يعني شعب الله. من هذا المنظار وُلدت الرسالة إلى أفسس.

هذا هو الإطار الذي فيه قدم بولس ورفاقه نظرتهم إلى المسيح والكنيسة. سنتعرف إليها من خلال نشيدين. الأول مأخوذ من كو، وهو يحدثنا عن المسيح، والثاني مأخوذ من أف، وهو يحدثنا عن الكنيسة.

**أولاً: نشيد عن المسيح[2].**

هذه القصيدة هي نشيد استعملته الجماعات الأولى في الاحتفال بسر المعمودية الذي يُدخل الإنسان في جسد المسيح. هذه القصيدة هي إعلان عظيم لأولوية المسيح في كل المجالات:

ـ في مجال الأشياء والوقائع والخليقة. يجب أن لا نخضع للرؤوس والسيادات والسلطات والقوات (نقول اليوم: للحتمية، للمال، للاقتصاد). إذن، في المسيح وحده تجد حياتنا وحدتها. في حب الآب، كل شيء خلق به وله[3].

(1) كو 2: 20 ـ 23.
(2) كو 1: 15 ـ 20.
(3) آ 15 ـ 17.

ـ في مجال الأحياء والمؤمنين. المسيح هو وحده رأس الجسد الذي هو الكنيسة. فيه يصالح الله مع نفسه جميع البشر[1]. كيف نفهم هذه القصيدة الصعبة؟ هناك مفتاحان يدخلاننا فيها.

**الأول**: الصليب[2]. يوم كُتبت هذه القصيدة، حُكم أيضاً على بعض الناس بالصلب، ونحن نعرف ما يعني من ذل وهول عذاب الصليب. ومع هذا، فالمسيح يأخذ «أولويته» و«ملئه» من الصليب. ولا ننس أن هذا النشيد يأتي بعد فل 2:6 ـ 11 الذي يقول إن المسيح «أفرغ» ذاته وصار الأخير.

**الثاني**: الخبرة الرسولية. لم يقل بولس وأصدقاؤه هذا الكلام بصورة مجردة. بل بعد سنوات عديدة من الأمانة للعمل الرسولي في المسيح. وفي النهاية، لا شيء يمر قبل المسيح. إنه حجر الغلقة في حياتنا وفي حياة العالم. إذن، من هو يسوع في نظر بولس؟ خمس كلمات تتحدث عنه:

ـ هو الابن. لا يقول: هو ابن الله. فهناك خطر بأن يُعتبر يسوع كائناً يتمتع بسلطات سحرية. وهناك أيضاً «إبن حبه». نحن أمام نظرة أخرى: إنه الابن الذي يحبه الآب. منه ينال كل شيء ويقدم ذاته كلها من أجل رسالته.

ـ هو صورة الله غير المنظور. ليس هو انعكاساً كما الصورة في المرآة. إنه ممثل الآب وسط البشر. إذا أردنا أن «نرى» الله، ننظر إلى يسوع. قال يسوع لفيلبس: «من رآني رأى الآب»[3]. نقول هنا عن المسيح ما قالته الصفحة الأولى في التوراة عن الإنسان الأول: «خلقه الله على صورته»[4]. ففي المسيح يأخذ البشر كل بعدهم، ويتحملون ملء مسؤوليتهم كصورة لله في الكون.

ـ هو بكر كل خليقة، بكر القائمين من بين الأموات. هذا يعني أن المسيح القائم من الموت هو النموذج الأول للإنسان التام الكامل. فيه يجد جميع البشر نفوسهم بعد أن سبقنا كلنا إلى الوجود في فكر الله.

---

(1) آ 18 ـ 20.
(2) آ 20.
(3) يو 9: 14.
(4) تك 1: 26.

ـ هو رأس الجسد. في الماضي (مثلاً 1 كور 12) بيّن بولس أن المسيحيين هم أعضاء جسد واحد هو جسد المسيح. فأظهر بعضُهم تكبراً واكتفاءً. بما أنهم أعضاء جسد المسيح فهم يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون حتى الفلتان. . . ذكرهم هنا أن الجسد ليس شيئاً من دون الرأس. ونحن لسنا شيئاً من دون المسيح، ولا نتصرف في شيء من دون المسيح.

ـ هو الملء. هو الكل في كل البشر. فمن نظر إلى المسيح من هذه الزاوية، لن يحتاج الخضوع لسلطات ورئاسات أخرى. وإن سار إلى النهاية في اكتشافه للمسيح، سيتجاوز حقاً الأزمة التي يمر فيها.

**ثانياً: نشيد عن الكنيسة[1].**

حين نبدل نظرتنا إلى المسيح، نبدل نظرتنا إلى الكنيسة. هذا ما نقرأه في الرسالة إلى أفسس. تبدأ أف بقصيدة طويلة دونت على شكل «المباركات» في العالم اليهودي. وهي تحدد موقع الكنيسة في مجمل قصد حب الله. وما يشكل بنية هذه القصيدة هو التوسع في هذا القصد.

**ـ الرسائل الرعائية:**

ضعفت الحيوية في هذه الجماعات التي أسسها بولس، على المستوى الأخلاقي وعلى المستوى الديني، فلا بد من إعادة تفسير الإنجيل بالنظر إلى الظروف التي تغيرت. وبالنظر إلى حاجات العصر.

كُتبت هذه الرسائل إلى تيموتاوس وتيطس. الأول هو المعاون الأمين لبولس ورفيقه في العمل الرسولي. كان مسؤولاً عن كنيسة أفسس وقد عُرف بخوفه بعض الشيء وتحفظه. كانت صحته ضعيفة، وكان متردداً في تصرفاته مرات عديدة. ولكنه كان شخصاً يُمكن الاعتماد عليه.

والثاني هو رجل ذو طبع قوي. تسلم مهمات دقيقة فنجح فيها. اهتم بصورة خاصة بجماعات كريت، وهي جزيرة في الجنوب اليوناني. اتسعت رقعة الإنجيل. فوصلت إلى طبقات جديدة في المجتمع. مثلاً، هناك أشخاص ميسورون حقاً يضعون

---

(1) أف 3: 1 ـ 14.

مواردهم بتصرف الآخرين. «هكذا يخزنون لأنفسهم كنزاً يكون أساساً جيداً للمستقبل، فينالون الحياة الأبدية»[1]. ثم إن الذين في الخارج يتطلعون إلى هذه الجماعة. هل ستكون نوراً لهم؟ لهذا يُوضع على رأس هذه الجماعات أشخاص ينعمون بصيت حسن. يكون الأسقف «منزهاً عن اللوم، يقظاً رصيناً محتشماً مضيافاً، صالحاً للتعليم... يحسن تدبير بيته فيعرف أن يعتني بكنيسة الله»[2].

يعيش المسيحيون الصعوبات. وهم يتألمون من أجل إيمانهم. وقد يقعون في تجربة التمرد على السلطات. لهذا يوصيهم بولس بالولاء لهذه السلطات. نقرأ في 1 تم 2: 1 ـ 2: «أطلب أن تقيموا الصلاة من أجل جميع الناس، ومن أجل الملوك وأصحاب السلطة، حتى نحيا حياة مطمئنة هادية». وينبه بولس تيطس قائلاً: «ذكر المؤمنين أن يخضعوا للحكام وأصحاب السلطة ويطيعوهم ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح».

كُتبت هذه الرسائل لأنه كانت هناك نداءات عديدة إلى التوبة. وهذا ما يدفعنا إلى القول إن الحالة الأخلاقية في هذه الكنائس لم تكن على ما يرام. لهذا، تعالج كلمة الله وكأنها قاعدة سلوك يتبعها المؤمنون. قال بولس لتيموتاوس: «علِّم هذا وعظ به. فإن علم أحد غير ذلك فهو رجل أعماه الكبرياء ولا يفهم شيئاً، به هوس بالمناقشات التي يصدر عنها الحسد والشقاق والشتائم والظنون السيئة، والمنازعات بين قوم فسدت عقولهم وأضاعوا الحق وحسبوا التقوى سبيلاً إلى الربح»[3].

جاء معلمون كذبة وتأثروا بتعاليم يهودية مشوهة، فتحدثوا عن السطر (أخبار في صور على مثال ما في الميتولوجيا)، وعن أنساب لا نهاية لها. وشددوا على محرمات تتعلق بالطعام، ومنعوا الناس من الزواج[4]: زاغوا و«انحرفوا إلى الكلام الباطل مدعين أنهم من معلمي الشريعة وهم لا يفهمون ما يقولون».

نحن هنا أمام تيارات، لا أمام مجموعات منظمة في الكنيسة. لهذا يبقى الموضوع

---

(1) 1 تم 6: 19.
(2) 1 تم 3: 2 ـ 5.
(3) 1 تم 3: 6 ـ 5.
(4) 1 تم 1: 3 ـ 7.

الأساسي في هذه الرسائل الثلاث[1]: كيف نوجه الكنيسة، كيف نقودها في خط الإنجيل رغم الصعوبات التي تحيط بها؟ وسميت هذه الرسائل «رعائية» لأنها تتوجه بصورة خاصة إلى الرعاة أي الذين يتحملون مسؤولية الإنجيل في الجماعات المحلية. وتقدم هذه الرسائل قواعد الحياة والعمل للذين طُلب إليهم أن يسندوا الجماعات ويوجهوها. قال بولس لتيموتاوس: «عليك أن تعرف كيف تتصرف في بيت الله،أي كنيسة الله الحي، عمود الحق ودعامته»[2].

كان لهذه المراكز الدينية القديمة حياة ليتورجية خاصة نكتشفها خاصة في الأناشيد الواردة في هذه الرسائل. في 1 تم 1: 17: «الملك الدهور، الإله الواحد الخالد غير المنظور، كل إكرام ومجد إلى أبد الآبدين. آمين». نحن هنا أمام مجدلة أي نشيد يُرفع لمجد الله،وهناك فعل إيمان تتلوه الجماعة خصوصاً في عيد الفصح: «لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد هو المسيح يسوع الذي ضحى بنفسه فدى لجميع الناس». وهناك نشيد يُرفع لمجد المسيح في 1 تم 16: 3: «ظهر الله في الجسد وتبرر في الروح (أو بالروح تلميح، إلى القيامة، روم 1: 4)، شاهدته الملائكة، أُعلن لدى الوثنيين، آمن به العالم وارتفع في المجد» (أي رفعه الله في المجد).

وتحدثت هذه الرسائل أيضاً عن «الخرافات وذكر الأنساب»[3] التي يحملها الخصوم. ولكن هناك تعليماً سلم إلى الكنيسة هو «الوديعة» التي يحافظ عليها الرسول ويتعلق بها. فعلى الكنيسة أن تتمسك بهذه الوديعة وتنقلها دون أن تحور فيها.

لا تحاول هذه الرسائل أن تقنع الناس، ولكنها تكتفي بتحذير المؤمنين من التعاليم الكاذبة. على الكنيسة أن تدافع عن نفسها ضد البدع، فتذكر بالتعاليم في تعابير صارت تقليدية. مثلاً، نقرأ في تي 2: 11 ـ 14: «نعمة الله،ينبوع الخلاص، قد ظهرت لجميع البشر. وهي تعلمنا أن نمتنع عن الكفر وشهوات هذه الدنيا لنعيش بتعقل وصلاح وتقوى في العالم الحاضر، منتظرين اليوم المبارك الذي نرجوه، يوم ظهور مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (نحن هنا أمام إعلان لإلوهية المسيح) الذي ضحى بنفسه لأجلنا حتى يفتدينا من كل شر».

---

(1) 1 تم، 2 تم، تي.

(2) 1 تم 15: 3.

(3) 1 تم 1: 4.

واستخرج الكاتب من هذا الإيمان النتائج العملية. نحن نترجم هذا الإيمان أفعالاً تبرز في لاهوت خلقي متوازن لا يعرف التطرف. فلقد ظهر حنان الله مخلصنا... وخلصنا «بغسل الميلاد الثاني لحياة جديدة بالروح القدس»[1]. أُعطيت الحقيقة (أعطاها الله) للمؤمنين والروح القدس يحفظها: «إحفظ الوديعة الصالحة بعون الروح القدس». ويشدد النص على حياة التقوى أي على أمانة للتعليم ولمتطلبات البر، على المحبة والصبر والثبات.

للكنيسة ماضيها، ويجب علينا أن نبقى أمناء لهذا الماضي الذي اسمه التقليد. والتوصيات المعطاة في كل هذه الرسائل تدل على اهتمام بإعطاء هذه الجماعات بنية تؤمن التواصل والاستمرارية. هناك تنظيم مهم وخدم داخل هذه الجماعات. هناك الأساقفة الذين يرئسون الجماعة، يردون على التعاليم الكاذبة، ويعلمون التعليم الصحيح. وهناك الشمامسة «الذين يحافظون على سر الإيمان بضمير طاهر». وهناك الأرامل اللواتي يقمن بعمل الخدمة في الكنيسة. ويذكر بولس الشيوخ (القسوس، الكهنة) الذين عُرفوا بصورة خاصة في كنيسة أورشليم. وأخيراً نعرف بعض الشيء عن نشاط بولس بعد سجنه الأول في روما سنة 61 ـ 63. حسب 1 تم 1: 23 ذهب إلى مقدونية، وترك تيموتاوس هناك ليهتم بكنيسة أفسس. أما 2 تم فتحدثنا عن سجن قاسٍ عاناه بولس. «حمل القيود كمجرم». وهو عارف كيف ستنتهي محاكمته. عرف أن ساعة رحيله اقتربت. وقد أحس بالوحدة بعد أن تركه ديماس «حباً بهذه الدنيا». سافر كرسكاس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية. ولم يبق مع بولس إلا لوقا وحده. فعلى تيموتاوس أن يجيء إليه بسرعة.

في (2 تم 6:4 ـ 18). يُسر إلينا بولس في هذا المقطع بآخر مكنونات قلبه. هو في السجن وهو يواجه الموت القريب ويعطينا معلومات عن الذين شاركوه في العمل: ديماس، كرسكاس، لوقا... جاءت ساعة الرحيل. استعمل صورة الملاح الذي سحب المرساة وسار في عرض البحر. وصورة الجندي الذي يطوي خيمته وينطلق. واستعمل أيضاً صورة الذبيحة: يُسكب الدم على الذبيحة[2] قبل أن تقدم

---

(1) تي 3: 4 ـ 7.

(2) خر 29: 40؛ عد 7: 28.

لتحرق. وهكذا يسكب دمه. في روم 12: 1 ـ 2 رأى بولس في حياة المعمد احتفالاً بذبيحة روحية. هذا هو المعنى الذي يعطيه لحياته ولموته.

ماذا تضمنت هذه الحياة؟ كانت ملآنة. لقد أتم بولس المهمة. جاهد كما يجاهد المصارع في الألعاب الأولمبية، وثبت حتى النهاية، وحافظ على الالتزامات التي أخذها على عاتقه. ماذا يحفظ له المستقبل؟ يقف بولس موقف الثقة ويرجو من الديان العادل «إكليل البر»، عطية البر الأخيرة المحفوظة للذين اشتاقوا إلى مجيء الرب في المجد. وبعد أن تحدث عن معاونيه[1] قال لنا إنه أحس نفسه متروكاً كيسوع على الجلجلة. ولكنه يغفر مثل يسوع[2] هذا العقوق الذي يؤلمه في الصميم. لم يلفظ القضاء بعد حكمه: نجا بولس من هذا الخطر الجدي (نجوت من فم الأسد) وعرف وقتاً من الراحة. واستفاد من وقوفه أمام محكمة الإمبراطور المؤلفة من وثنيين، ليعلن الإنجيل بجرأته المعهودة: كان الرب له النور والقوة: نجاني الرب وحفظني لملكوته السماوي. ولكن بولس واعٍ للنهاية التي تنتظره. سيُحكم عليه بلا شك. ولكن الله ينتزعه من يد الذين يريدون هلاكه، ليدخله بصورة نهائية في ملكوته ويشركه في ليتورجية السماء. لا نجاة من موت الجسد، بل نجاة من الموت الثاني كما يقول سفر الرؤيا[3].

نحن هنا أمام الصفحة الأخيرة التي أملاها بولس على «سكرتيره»، نحن أمام وصيته. يكشف لنا فيها حقيقة حياته: حبه ليسوع المسيح حتى الجنون، حب وصل به إلى بذل حياته. ولكن المهمة التي بدأ بها الرسول سيتابعها معاونوه، «رعاة» هذه الجماعات. في هذه المهمة، ساعة يحس الإنسان أن الجميع تركوه وأن الملكوت صار قريباً لا محالة، وأنه لم يبق شيء، فهو ينهي حياته في الفرح والرجاء لأنه حافظ على الإيمان. إن هدوء هذا الشيخ الذي عرف بمن آمن، يساعد على النظر إلى سيرة حياة حاول فيها أن يُعطي حياته للرب وللآخرين. هذا هو هدوء يسوع المسيح الذي سلم نفسه من أعلى صليبه للآب كما يفعل الطفل عند المساء. قال: «يا أبت في يديك أستودع روحي»[4]. وهذا ما فعله بولس رسول المسيح.

---

(1) آ 9 ـ 15.
(2) لو 34: 23.
(3) 2: 11.
(4) لو 46: 23.

# المراجع


1 ـ «الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء»، ألن هوايت ط إنكليزية 1890، ترجمة فرج الله إسحق، دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، لبنان، 1981.

2 ـ «الكتاب المقدس الهد القديم».

3 ـ «الكتاب المقدس العهد الجديد»، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، 1994.

4 ـ «محطات كتابية»، مؤلفات الأب بولس الفغالي.

5 ـ «تاريخ الشعوب المشرقية في الدين والسياسة والاجتماع»، مؤلفات المطران يوسف الدبس. دار نظير عبود، لبنان، ج2، ط 2000.

6 ـ «الموسوعة العربية المسيحية»، موقع نؤمن بإله واحد على شبكة الإنترنت www.custodia.org/1god.

7 ـ «تاريخ الكنيسة المفصّل»، عدّة مؤلفين، ترجمة الأبوان أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، المجلد الأول.

# الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
07992000